الأدب الإسلامي

٥٣

العدد (٥٣) ١٤٢٧-١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

القصة النبوية .. المضامين والفن

الأدب الأوزبكي الإسلامي

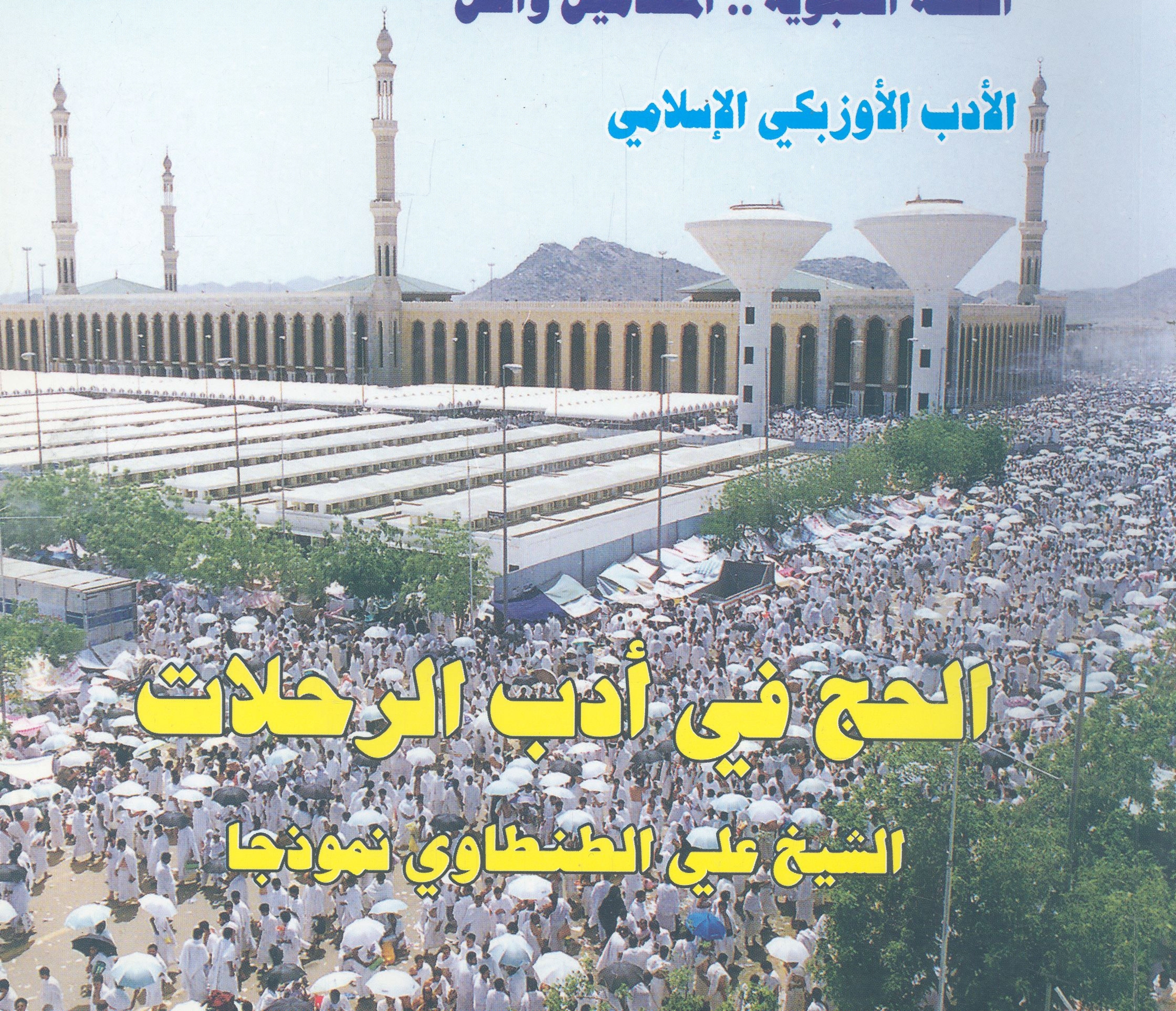

الحج في أدب الرحلات

الشيخ علي الطنطاوي نموذجا

إسلامية المعرفة

مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الاسلامي

الاشتراك السنوي:

في دول الخليج، امريكا، استراليا، اليابان، اوروبا، نيوزيلندا:

للافراد 50 دولاراً امريكياً - للمؤسسات 100 دولار امريكي

في باقي دول العالم:

للافراد 25 دولاراً امريكياً - للمؤسسات 70 دولار امريكي

التسديد:

شيك مصرفي مسحوب على احد المصارف الاجنبية

المركز اللبناني للابحاث والدراسات الحضارية [LCCRS]

او تحويل المبلغ الى العنوان التالي:

LCCRS- Bank Audi, Bechara Khoury Beyrouth

Acc. No: 5828054610020620l

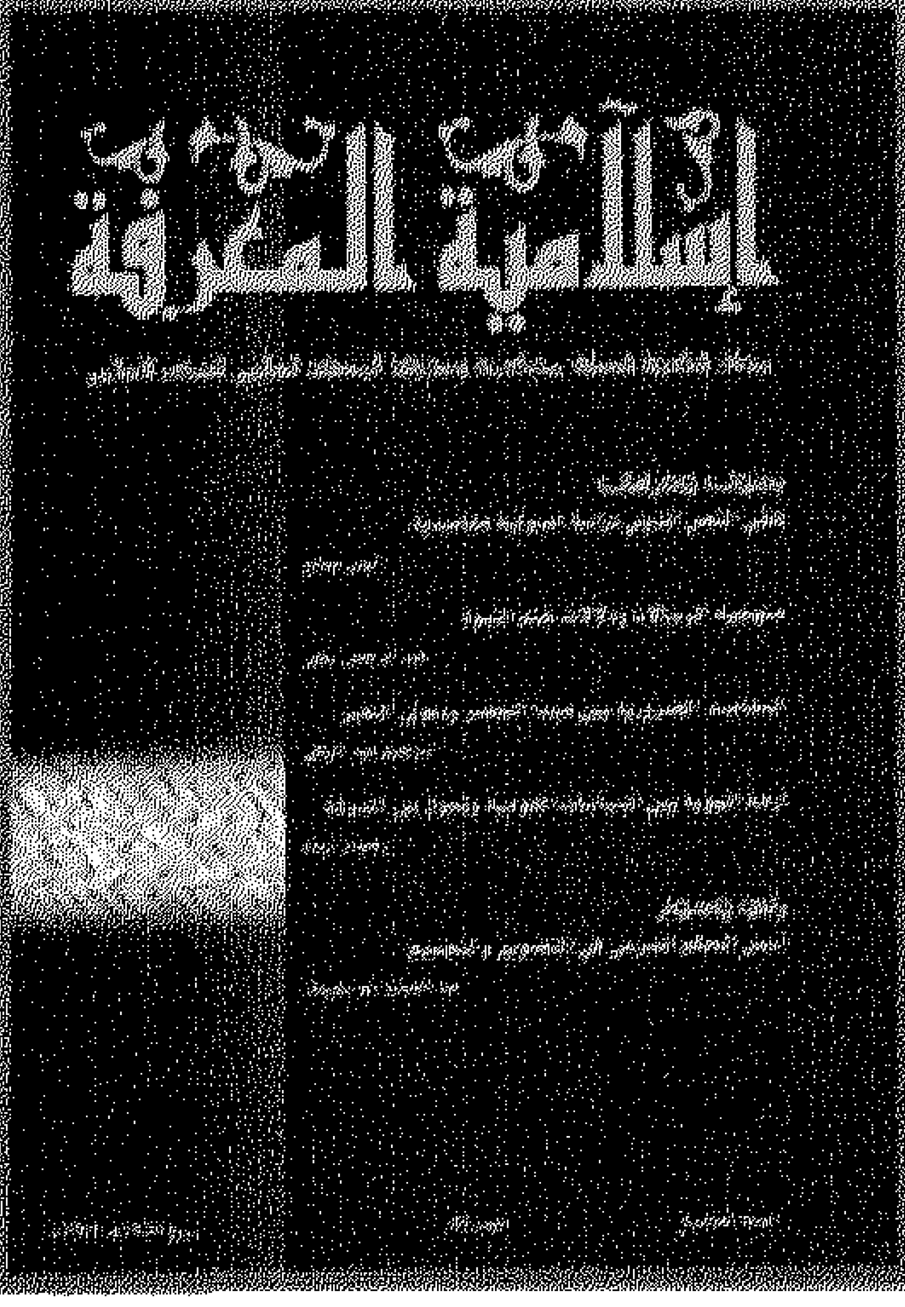

كورنيش المزرعة - شارع احمد تقي الدين

بناية كولومبيا سنتر - قسم أ - طابق 4

بيروت - لبنان

الهاتف: 00961-1-707361

الفاكس: 00961-1-311183

قسيمة إشتراك في إسلامية المعرفة

ارجو قبول / تجديد إشتراكي بـ [ ] نسخة إعتباراً من [ ] ولمدة [ ] عام.

طيه صك / حوالة بريدية بقيمة ....

إرسال فاتورة ....

الاسم ....

العنوان ....

التوقيع .... التاريخ ....

١٤٠١هـ — ٨١
1401AH—1981AC

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

أين أنتم يا معشر الأدباء؟!

يجمع كل من أوتي أدنى إحساس بالواقع ، وأدنى شعور بالمسؤولية على أن الأمة لم تمر في تاريخها بمثل ما تمر به الآن من فتن كقطع الليل المظلم، لا يبين لها أول ولا آخر، ولا يجمع بينها عنوان واحد، وقل كل ما يخطر في الذهن من الوهن الذي أصاب الأمة على مختلف طبقاتها، ومن التمزق الذي أصاب دولها وشعوبها، ومن قابلية الاستعمار التي جعلت الأمم تتداعى عليها تداعي الأكلة على قصعة الطعام ، كما حذر وأنذر رسولها الكريم ﷺ .

وإذا صح ما يقال من أن التاريخ يعيد نفسه ! فها نحن أولاء نجد مآسي الأمة عبر القرون المتوالية تعود كلها مجتمعة في صعيد واحد ، يأخذ بعضها برقاب بعض، وهي تتدافع في موجات تتعانق أو تتلاحق ، وكأن شياطين الإنس والجن أطبقت إطباقة واحدة على من كانت خير أمة أخرجت للناس .

وانظر إلى أمة العرب بل وأمة الإسلام هل تجد بلدا سالما من فتنة عمياء أو بلاء قاصم، أو استعمار جاثم، وقد ضاعت أصوات المصلحين بين صيحات المضللين ، واختلطت آراء الحكماء الراشدين بمبادرات المغرضين ومكر الماكرين وفتن الطائشين.

وإنه لما يلفت النظر ويحز في القلب أن أكثر الأصوات خفوتا ، وأقلها وجودا وذيوعا هي أصوات الأدباء من الكتاب والشعراء وكأن مصيبة الأمة الدهياء عقلت ألسنتهم، وجمدت قرائحهم، ومعظمهم يعلمون وأقلهم يجهلون كيف كان شعراء الرسول ﷺ يلهجون بهجاء كفار قريش ويهود، وكيف كان بعدهم شعراء الأمة يخوضون المعارك بألسنتهم قبل أن يخوضها المجاهدون بأسنتهم.. وكان ذلك في معارك المسلمين مع الروم والتتار والصليبيين إلى معارك الأمة في العصر الحديث مع جحافل الغزاة والمستعمرين .. ولم يكن ذلك أبدا وقفاً على الشعراء وإن حازوا قصب السبق، ولكنه تعداهم إلى الخطباء والكتاب حتى أكد ذلك صلاح الدين الأيوبي إذ قال بعد أن خضّد شوكة الصليبيين مما يعد وساما على صدورالكتاب : «والله ما أخذت البلاد بالعساكر بل برسائل القاضي الفاضل»..

وبعد.. أفليس من حق الأمة على شعرائها وخطبائها وكتابها أن تقول : أين أنتم يا معشرالأدباء؟!..

رئيس التحرير

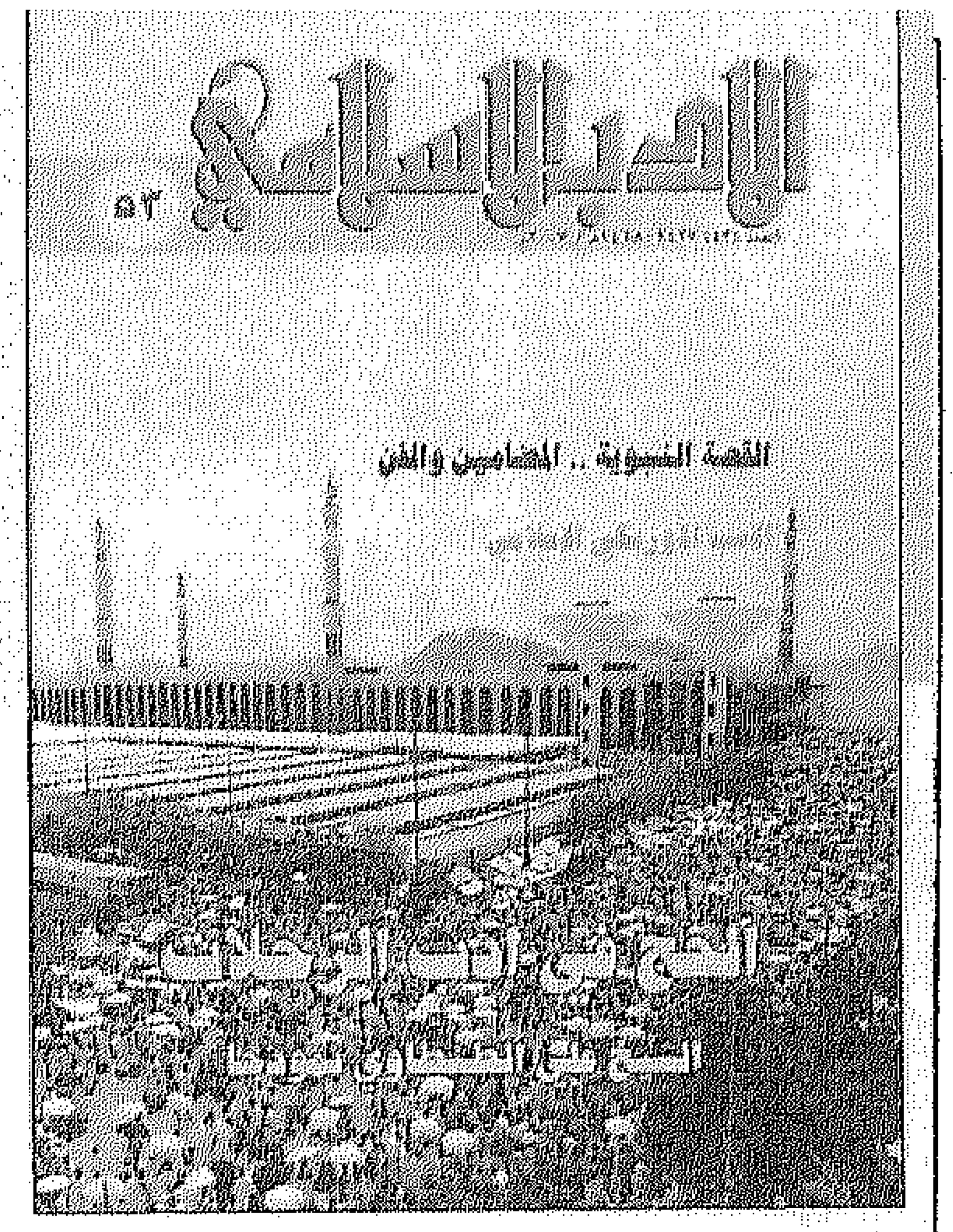

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (١٤) العدد (٥٣)
ذو الحجة ١٤٢٧هـ - صفر ١٤٢٨هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠٠٧م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . عبدالله بن صالح العريني

٣٠

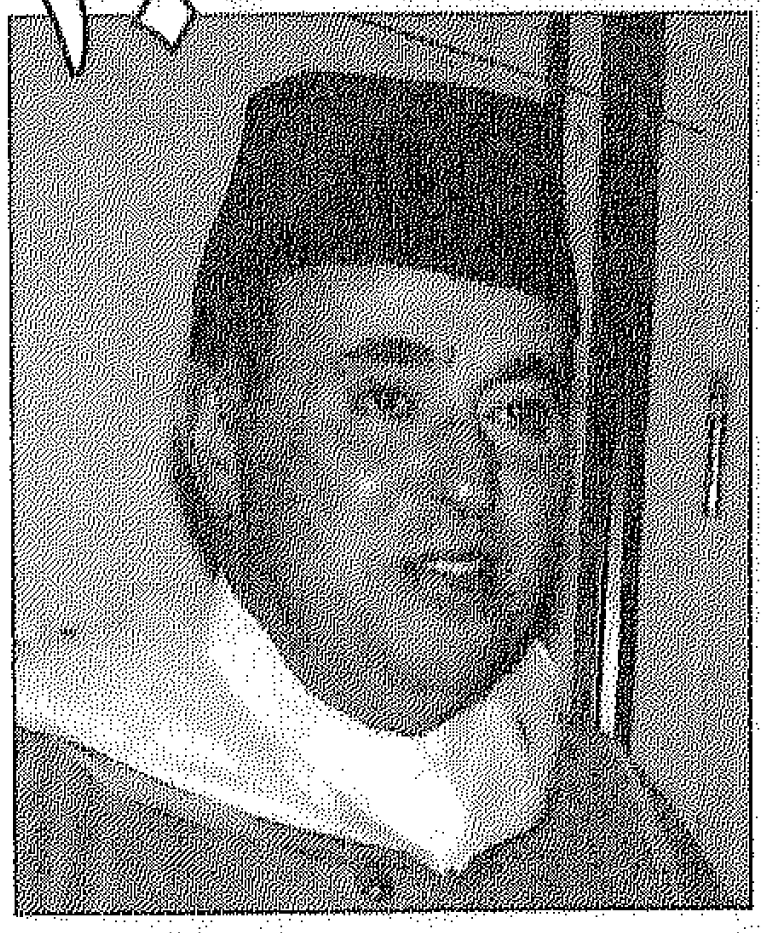

الأدب الإسلامي ضرورة لإعادة التوازن للفرد والمجتمع والعالم

٣٦

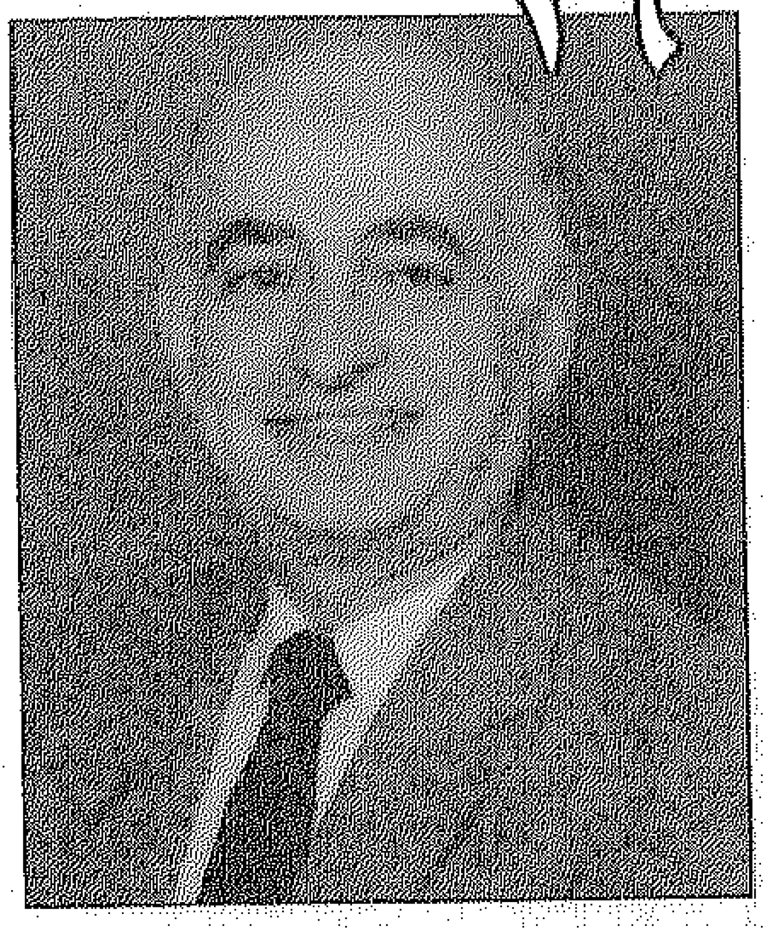

وقفة مع الذات: لغة خطابنا العلمي.. نحن والآخر

٧٤

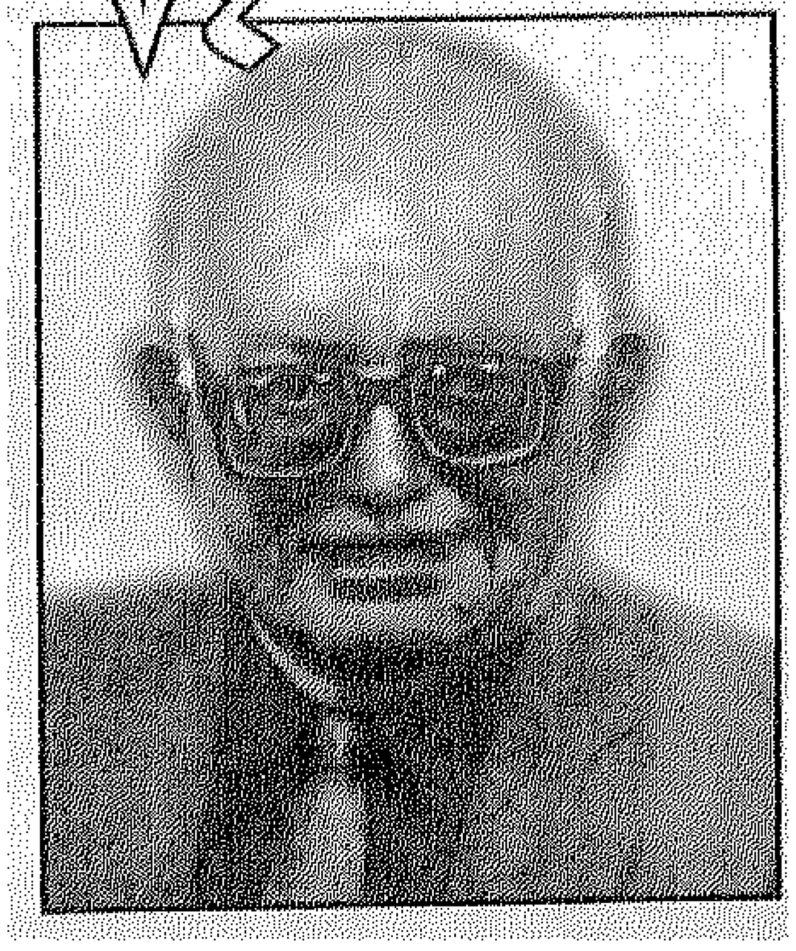

الجيل الراهن متعجل في الأخذ من المذاهب النقدية الغربية

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الإشتراكات

للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة

دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أومايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢٥٠ دينارا، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د. وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ. شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د. حسين علي محمد
د. عبد الله بن صالح المسعود
د. صابر عبدالدايم
د. محمد عبدالعظيم بن عزوز

مستشارو التحرير
د. عبدالعزيز الثنيان
د. عبدالباسط بدر
د. حسن الهويمل
د. رضوان بن شقرون

في هذا العدد

مقالات

- أين أنتم يا معشر الأدباء؟!	رئيس التحرير	١
- في القصة النبوية .. المضامين والفن	د. شلتاغ عبود	٤
- الحج في أدب الرحلات.. الشيخ علي الطنطاوي نموذجا	عبدالله بن حمد الحقيل	١٦
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق	د. حسين علي محمد	٢٢
- لغة خطابنا العملي.. نحن والآخر	د. أحمد بسام ساعي	٣٦
- اصنع لهم معجما	محمد فريد الشريف	٤٨
- تضمين الرمز ورمزية التضمين في قصة الريح والجذوة	د. محمد الحافظ الروسي	٥٤
- طيور المواقيت وحركية الصورة الشعرية في ديوان الأبجدية والمدارات الأخر	هيثم الحاج علي	٦٨
- قراءة في كتاب الأدب الأوزبكي الإسلامي	أمين سليمان السيتي	٧٨
- التاريخ والأدب	د. عبدالباسط بدر	١١٢

الشعر

- معذرة إلى كبريات الدول	شادي الأيوبي	١٤
- أقصانا السليب	محمد عمر فلاته	٢١
- الخيبة المباركة	فيصل محمد الحجي	٢٩
- يا هند	عبدالسلام كامل	٣٤
- أنفاس الأمل	أكرم جميل قنبس	٥١
- عجباً لمثلك	خالد الوقيت	٧٣

القصة

- حب .. لكنه أسود	أحمد صوان	٢٨
- عاقبة الكذب	يوسف بلمهدي	٤٥
- أمومة	سامية حسين	٦٤
- تكوين - خاطرة	مصطفى ملح	٦٧
وصية الرمق الأخير	محمد علي وهبة	٧٦

المسرحية

بائع الحكمة	محمود محمد كحيلة	٨٤

الأبواب الثابتة

❖ لقاء العدد:		
- مع الدكتور اليحياوي مصطفى	محمود أحمد الشرقاوي	٣٠
❖ من تراث الأدب الإسلامي:		
- خلق المؤمن - نثر	الحسن البصري	٥٢
- بين القصر والقبر - شعر	أبو العتاهية	٥٣
❖ أديب إسلامي:		
- يوسف عبداللطيف أبو سعد	التحرير	٦٦
❖ من ثمرات المطابع:		
- من حوار مع د. شكري عياد	جهاد فاضل	٧٤
❖ تعقيب:		
- كلمة أخيرة حول كتاب من شعراء الإسلام	عبدالله إبراهيم الهويش	٩٠
❖ رسائل جامعية:		
- شعر الغزل في ضوء منهج الأدب الإسلامي	بدر علي المطوع	٩٣
❖ أقلام واعدة:	إشراف د. أحمد السعدني	٩٦
❖ مكتبة الأدب الإسلامي:		
- معجم التعبيرات القرآنية	عرض: محيي الدين صالح	٩٨
- معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	عرض: محمد ظافر القحطاني	٩٨
❖ أخبار الأدب الإسلامي	إعداد شمس الدين درمش	١٠٠
❖ بريد الأدب الإسلامي	التحرير	١١٠
❖ ترويح القلوب:		
- أشعبيات	التحرير	١١١

بقلم: د. شلتاغ عبود
العراق

على الرغم من عناية المسلمين بالسيرة النبوية والأدب النبوي في مراحل حياتهم كافة، فإن عنايتهم بـ(القصة النبوية) فيما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث كانت قليلة إلا في المرحلة الأخيرة من هذا العصر، حيث الاهتمام العام بالفكر الإسلامي ومصادره الكبرى من قرآن وحديث وتشريع، وضمن الاتجاه إلى التأسيس لأدب إسلامي يستهدي بتلك المصادر وينطلق إلى التعبير عن مشكلات الحياة المعاصرة بكل ما فيها من تنوع وثراء والتصاق بحياة الإنسان المسلم وأشواقه.

في القصة النبوية .. المضامين والفن

ونحن في هذا البحث لا نطمح إلى دراسة (القصة النبوية) في أبعادها كلها، ولكننا سنحاول التأكيد على تعميق الاتجاه إلى دراسة الأدب النبوي وتوسيع دائرة الاهتمام به، من دون أن نقف عند قضايا أخذت حقها في مجال علوم السنة النبوية، من قبيل توثيق الأحاديث النبوية والبحث في متنها وأسانيدها، مع الإشارة إلى أن عناية المسلمين بالحديث النبوي وتدوينه كانت بدأت منذ عصر الرسول، مثلما هو معروف عن الصحيفة التي كتب فيها عبدالله بن عمرو بن العاص بعض أحاديث النبي في حياته، وأنه لما نهته قريش عن ذلك، أمسك عن الكتابة، وذكر ذلك للرسول، فأومأ الرسول إلى فيه، وقال: «اكتب فو الذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا حق»[1]. وأنه (عليه الصلاة والسلام)، لم ينه نهياً عاماً عن كتابة الحديث، بل سمح لهذه الكتابة حين أمن اللبس والاشتباه.

وكان - بعد ذلك - أن أخذ الحديث النبوي والسيرة النبوية طريقهما إلى بناء الجيل الفريد الذي أسس له القرآن، ووجهه ورباه، فكان جيلاً قرآنياً محمدياً بحق ترك آثاره الجليلة في التاريخ الإنساني، وكان نقطة الضوء المشعة في هذا التاريخ[2].

وسوف نقف في هذا البحث عند عنصرين اثنين هما: مضامين القصة النبوية، وظواهرها الفنية.

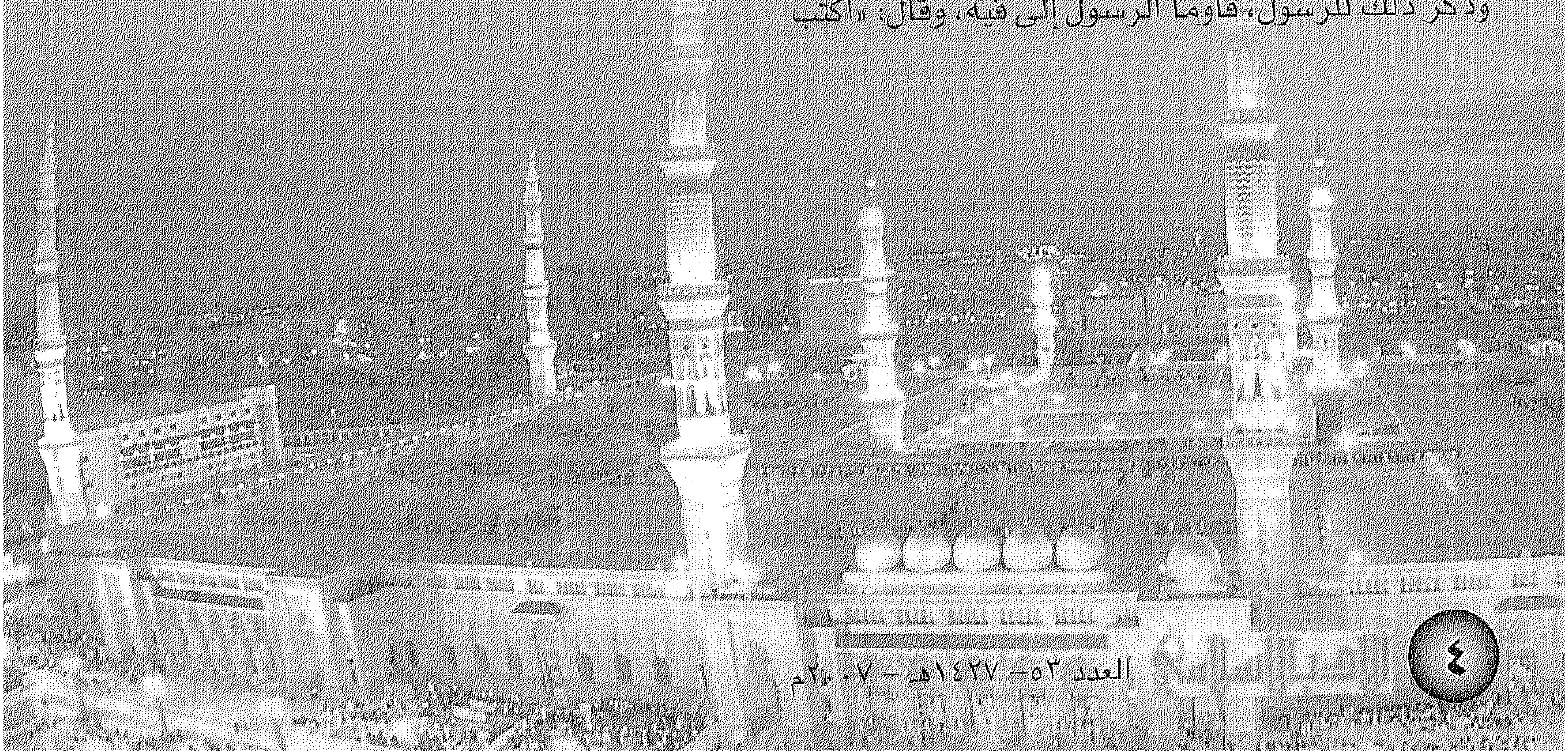

أولاً: مضامين القصة النبوية

ابتداء يمكن القول إن مضامين القصة النبوية هي مضامين تربوية تعليمية، أو هي بمعنى أعم مضامين إسلامية هادفة إلى بناء المحتوى الداخلي للإنسان وتوجيهه إلى الانسجام مع أوامر ربه، وإعمار حياته والحياة الإنسانية عامة، بما يتسق وهذه التوجيهات الربانية، وهذا هدف عام في الحديث النبوي، وليس في مجال القصة وحدها[٣]، وهي بعد ذلك تستهدي القصة القرآنية وتمتاح من مضامينها وروحها، وتتخذها سنداً شرعياً لنظرتها في الوجود والحياة.

والمتأمل في معاني القصة النبوية ودلالاتها يجدها ميداناً واسعاً لدراسة النفس الإنسانية في آفاقها وأعماقها وسجاياها، بما فيها من قوة وضعف وكرم وأريحية، وبخل والتصاق بسقط الحياة الدنيا ومتعها، وبما فيها من ارتفاع إلى المثل العليا، والتسامي بها، وما فيها من استخذاء وركون إلى الدعة والاستسلام للذي هو أدنى من هذه الحياة، سنجد العفاف والصدق والتوبة، مثلما سنجد الكفر والظلم والانحراف في هذه النماذج القصصية في الحديث النبوي، وهي متجسدة في شخوص، ومتحركة في حوادث، ومستخلصة في عبر.

وكان النبي (عليه الصلاة والسلام) يدرك أن هذا هو الطريق الأقصر إلى دخول عالم النفس والتأثير فيها وتحريكها فهي عصية مستعصية على طريق الخير، إلا بسبل الاستدراج والتأثير والكلمة الطيبة، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مضمون شريف، وأسلوب مدح ومورق[٤].

وسوف نقف عند محطات معينة من هذه المعاني، فالإحاطة بها جميعاً مطلب متعذر في هذه المساحة، ومنها:

(أ) تعميق الثقة بالله والاعتماد عليه

وهذا ثمرة من ثمار التوحيد الخالص، ودعامة من دعائمه التي تركزت في النفس المؤمنة التي أسلمت وجهها لله، وأوكلت أمرها إليه، فصارت جزءاً من منظومة (الحياة الدنيا والآخرة) في مسيرة تكاملية تنتهي إلى ما عند الله من ثواب وعطاء، وهذا المعنى لا يتقرر تقريراً كما نفعل في كثير من الأحيان، بل يتجسد في سلوك، ويترجم إلى فعل إنساني، وفعل هذا الإيمان به.

نجد تجسيد هذا المعنى في قصة ذلك الرجل الذي اقترض ألف دينار من رجل آخر، فقال له: ائتني بالشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدا، قال فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى. فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه في الأجل الذي أجله، فلم يجد فاتخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة عنه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت من فلان ألف دينار فسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً. فرضي بك شهيداً. وسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك كفيلاً. وإني جهدت أن أجد مركبا فلم أجد، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان سلّفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بألف دينار وقال: ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: قال هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله تعالى قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا[٥].

للقلب منطقه الذي لا يخطئ وهو لا يتعارض مع منطق (العقل) الذي أسلم مقاليده لله، فمن منطق ذلك القلب، ومنطق هذا العقل، يُتعامل مع هذه القصة، أما إذا كان المحكم هو العقل وحده، والعقل الذي اتخذ قواعده إلهه، فليس له من هذا العالم القلبي نصيب.

هكذا بكل (برود قلب)، ودونما قلق وخوف، كالذي يرافقنا في مثل هذه المواقف، يسلم الرجل أمره للذي فطره، ويضع الأمانة في خشبة، ويرمي بها في لجة البحر، ولا شاهد إلا الله والذي اعتمل في القلب من ثقة بمن استودع الأمانة، ثقة من آمن أن الذي سهل له أمر الاقتراض، وألان له قلوب أهل المال، هو الذي يعينه على الصدق في الأداء، والوفاء بالنذر!! ليكون سبيل المعروف جددا، ومعالم الإحسان مشرعة.

كلا الرجلين جعل ثقته بالله وأسلم الأمر له.. المقرض الذي اكتفى بالله شهيداً، واكتفى به كفيلا، فلم يأخذ من صاحبه رهناً، ولم يصر على طلب الشاهد والكفيل، والمقترض الذي صدق الله على رد الدين في وقته، فوضعه بين يدي الله بعد أن أعيته السبل إلى رده في حينه، فكان الله سبحانه عند حسن ظنهما معاً، الأول حيث رد له قرضه سالماً، والثاني حيث أوصل الله دينه لصاحبه وهو في عرض البحر، حيث أوحى إليه بالفكرة وعرف أنه مطمئن القلب في تنفيذها ثقة بقدرة الله، وأملاً في وعده وعونه للصادقين.

هذه هي (قصة الثقة في الله والكفاية به أبطالها: مقترض، ومقرض، وشهيد كفيل) كما قال الدكتور كمال عزالدين[٦]، بحيث يؤدي الواحد منهم عن الآخر، إذ تنتهي بهذه العبارة: (إن الله تعالى قد أدى عنك!!) الله الذي كان ثالث ثلاثة في هذا القرض، وبمقدار حضوره في قلب الرجلين كان الأداء سلساً والتعامل مطمئناً والنهايات تسير على سجيتها وكأنها قدر مقدور، وعمل ميسر ميسور.

(ب) الزهد في الدنيا:

ربما تكون مفاهيمنا عن هذا المعنى غير صحيحة: فكثير من الناس يعتقد أن الزهد معناه أن تكون فقيراً معدماً لا تملك شيئاً، بينما معناه كما رسخه القرآن والسنة والأجيال التي رباها القرآن والسنة غير ذلك، فهو ليس ألا تملك شيئاً، بل ألا يملكك شيء[٧] فقد تكون لا تملك شيئاً، وأنت حريص على الدنيا، وقد تكون تملك الكثير ولكنك حريص عليها، كذلك!! المهم - في الزهد - هو ألا تكون مملوكاً لما تملك!! وهذه من المعاني السامية التي تحتاج إلى تعميق في النفس.

وجاءت القصة النبوية لترينا المعنى متحركاً في الحياة على يد بشر من لحم ودم، وليس في سلوك ملائكة لا يأكلون الطعام، ولايمشون في الأسواق، هؤلاء البشر كانوا يملكون الدنيا.. بما فيها من مال وسلطة ولكنهم لم يكونوا أسرى لهذا أو تلك، يتجلى هذا في أمر ذلك الملك الذي شغلته الدنيا عن عبادة ربه، أو أنه لأمر ما، لم يستطع أن يقيم العدل في تلك المملكة، (فتسرب، فانساب من قصره، فأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به يضرب اللَّبِن، بالآجر، فيأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقي أمره وعبادته وفضله إلى ملكهم، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه فأبى أن يأتيه، فأعاد، ثم أعاد إليه فأبى أن يأتيه، وقال: ماله ومالي!! فركب الملك، فلما رآه الرجل ولى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه، قال فناداه: يا عبدالله، إنه ليس عليك مني بأس، فأقام حتى أدركه، فقال له: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا فلان بن فلان، صاحب ملك كذا وكذا، وتفكرت في أمري، فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، فإنه قد شغلني عن عبادة ربي عز وجل فقال: ما أنت بأحوج إلى ما صنعت مني، قال: ثم نزل من دابته فسيبها، ثم تبعه، فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل، فدعوا الله أن يميتهما جميعاً، قال: فماتا[٨].

قد لانجد هذا مستساغاً في نظرتنا إلى السلطة باعتبارها وسيلة إلى تحقيق شرع الله، فكيف نهرب منها حين نملكها؟! وما هكذا توجه هذه القصة، بل هي تمثيل لفكرة الزهد في الدنيا في حالة تعارضها مع الطاعة، أو الانشغال عن هذه الطاعة لله، فالمؤمن حين يكون الأمر متعلقاً بالمقارنة بين الدنيا بما فيها من سلطة ومال، وبين طاعة الله، فمامن شك في أنه يختار طاعة الله على حطام الدنيا وإغرائها.

هذه هي الفكرة المراد تثبيتها في القصة، وليست هي دعوة إلى ترك الحياة لأهلها، والانزواء في ركن من أركان العزلة والاكتفاء بالعبادة في صورها المحدودة من صلاة وصيام، فالدين جاء للحياة وإصلاحها، والتعامل معها، وفرصة الحكم فرصة واسعة لتجسيد قيم الدين في الحياة سواء في سلوك الحاكم وزهده ونقائه، أو في حمل الناس على قيم الدين وتشريعاته ونشر الخير واليسر والرخاء والعرف في الناس.

ولأمر يعلمه الله سبحانه في النفس الإنسانية وتعلقها بهذه الدنيا، لم نجد في القرآن ما يرغب فيها أو يثني عليها، ذلك لأن طبيعة النفس البشرية شديدة الالتصاق والتعلق بها، من دون حاجة إلى ذلك الترغيب والثناء، ولهذا جاء التذكير القرآني للإنسان بما هو منصرف عنه من الأعمال التي تضمن الحياة الأبدية الآخرة.

(ج) التوبة:

عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان من قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهب فأتاه، فقال له: إنه قتل تسعا وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال له: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنه أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة[٩].

هذا ليس إغراء بفعل المنكر والقتل، وما كان ذلك ليصدر عن رسول جاء ليقلع فعل المنكر من النفوس، بل هو إغراء بالأمل وعدم اليأس من رحمة الله، حتى لو كان الذنب بمثل هذا الثقل، وبمثل هذه الدرجة من قتل مائة نفس محرمة!! ففي القرآن قوله تعالى: ﴿.. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ..﴿٣٢﴾﴾ (المائدة).

هذا مع النفس الواحدة، فما بالك بالمائة؟!

إن نفساً تقبل على الله بصدق وحق وتستعد إلى تحمل تبعات هذا الإقبال من أعمال يفوق ثوابها ما اقترفت من سوء لا تجد من ربها إلا الاحتضان والرضا، فهو الذي خلقها من ضعف، كما خلق فيها الاستعدادات كلها، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، بل إنه ليجعل لهذا التائب - على عظم جرمه - فضلاً وأجراً، وذلك يتوقف على عمق هذه التوبة النصوح وصدق العمل بما يلي التوبة من العمر.

أن يهب الله لك ذنبك الكبير، لهو أعظم أمارة على غنى الله عن عذاب عباده، وهو أعظم إغراء بعدم الاستمرار في الغي والظلم والفساد، وأن النفس الصالحة التي تذوق مرارة الذنب، لهي أقرب إلى التطهير من الدنس بالتوبة، ولهي الأقدر على الإحساس بطعم الإيمان وحلاوته، هذا المعنى هو الذي نستشفه من القصة، بل من مقاصد الإسلام عموماً.

وأحسب أنه من الخير لنا أن نتعامل مع هذه القصة، ومع غيرها تعاملنا مع الآثار الأدبية التي لا يتطلب منها التحقيق في شخوصها الواقعية، كأن يكون لهذا الرجل الذي قتل مائة نفس وجود حقيقي، وتاريخ ومكان حقيقيان، وإنما المطلوب هو مقدار الأثر الذي تتركه القصة في نفوسنا من حيث توجيهنا إلى مقصدها الذي تسوقنا إليه بطريقة غير مباشرة.

أعرف أن هذا سيقودنا إلى خلاف كان قاد إليه الدكتور محمد أحمد خلف الله في النصف الأول من القرن الماضي حول القصة في القرآن، ولا أحسب أن المجال هنا يتسع للعودة إلى أوليات ذلك الفهم والرد

عليه، ولكنني أقول: إنني لو حاكمت القصة النبوية السابقة محاكمة عقلية، وأرجعت الموقف منها إلى المنطق القرآني لرفضتها جملة وتفصيلا!!

فكيف يمكن أن يكون قتل نفس واحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، ثم يقبل عمل قاتل لمائة نفس بغير حق؟! ثم كيف تتخاصم الملائكة في أمر رجل من حيث أخذه إلى النار أو الجنة، وهي التي لا تعصي الله ما أمرها؟ ثم كيف يكون الحكم بينهما آدمي، (وإن كان ملكاً في أصله) بحيث يدلها على الحل!!

كل هذا لا يمكن قبوله في المنطق العقلي، أو الحكم القرآني.. ولكننا حين نتعامل مع النص تعاملنا مع الأثر الأدبي الذي يفعل فعله في النفس ويوجهها إلى مقصده بطريقته النفسية الإيمائية، فإننا نكون قد أطلقنا العنان للنص في أن يحدث أثره، أما إذا حاكمناه محاكمة عقلية محضة، فإننا نكون قد أذهبنا بكل ماله من أثر وتوجيه في النفس.

(د) الإغراء بالعمل الصالح وثوابه

وذلك ما كان يعنى به رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، فيوجه إليه أهله وأصحابه وأمته بألوان من التوجيه، وصور من التعبير، كي تكون أبلغ في الوصول إلى النفوس، ودفعها إلى العمل بهذا التوجيه الذي هو خلاصة هذا الدين، وعصارة تعامله وأثره في الحياة.

من ذلك هذه القصة التي تتحدث عن هؤلاء الرهط من الرجال وما عملوه في سابق حياتهم، وما كان له من أثر يوم أن عصفت بهم محنة وحل بهم بلاء.

«انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما، حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدّ إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله، لا تستهزئ بي، فقلت إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (١٠).

وهذه القصة لا تثير أمامنا ما أثارته القصة السابقة من إشكالات الواقعية، فهذه ممكنة الوقوع، وأحداثها يمكن أن تحدث لأي واحد منا.

على أننا بصدد الحديث عن عظمة هذه الأعمال التي قام بها أولئك الرجال، وكان لها ما لها من جزاء في هذه الدنيا وما ينتظرهم من ثواب يوم القيامة أعظم.

رجل يبرّ والديه ويسهر على خدمتهما وينتظر استيقاظهما واقفاً حتى يناولهما اللبن الذي يتناولانه عند الفجر، وكم لهذا الحديث من صلة بالقلب الإنساني الذي فطر على حب الوالدين وإيثارهما على النفس،

وما قيم هذا الدين إلا اتساق وانسجام مع هذه الفطرة واستدامة لمسيرتها وفق طبيعتها وإلهامها.

ورجل يتمكن من فعل اللذة التي تغري بها كل شياطين الأرض، فيمتنع لحظتها ابتغاء وجه الله، وأملاً في الآجل عنده، ولا يُلَقّاها إلا ذو حظ عظيم، ولا يُعطاها إلا من أراد الله به الخير كله.

ورجل لا يغريه المال وسحره وشهوته ولا يعده شيئاً إزاء ما في يد الله، يثمر مال غيره، ويسهر عليه ويكون له أميناً، ويسلمه كاملاً بل مزكى ومثمراً إلى صاحبه، وما لصاحبه عليه قوة ولا سلطان إلا ما كان من عهد بينه وبين الله.

رجال.. نماذج عليا من البشر، رفعتهم أعمالهم، فكانوا أحق أن يقطفوا ثمارها في الدنيا، ولثواب الآخرة أجل وأعظم.

فهل بعد هذا من إغراء وتشويق إلى مثل هذه الأعمال؟! وأحسب أن قارئ هذه القصة لا يملك إزاءها إلا أن يتلمس الطريق إلى أي عمل يدخره لمثل ما ادخره أولئك الرجال ليومهم العصيب، وذلك هو فعل القص، وفعل خلق النماذج البشرية في العمل الأدبي، الذي تتضافر معه كل الألوان الأدبية من تصوير، وتخييل وما يعقبهما من تفاعل وجداني ومشاركة عاطفية آسرة.

(هـ) الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

كثيرة هي المكارم الخلقية التي يفيض بها النص القرآني والنبوي، ولكننا بصدد الوقوف عند استيحاء هذه المكارم من خلال الشكل القصصي الذي يكون أبلغ في تجسيد هذه القيم المجردة.

والقصص النبوية التي تستخلص منها هذه المكارم كثيرة، فمنها ما يلقي الضوء على مواقف الصبر والتضحية، كقصة ذلك الغلام الذي علمه الراهب مما علمه الله، فابتلي وعذب على يد الملك، ولكنه صبر على دينه حتى انتهى به الأمر إلى القتل من دون أن يتزعزع عن دينه، وكان ما كان له من أمر الناس من بعد مقتله[11].

ومن القصص ما ينتهي إلى تثبيت قيم الشكر لله على نعمه[12] ومنها ما ينتهي إلى أداء الأمانة، والعفة، والصدق، والرفق بالناس، بل الرفق بالحيوان كذلك[13].

وفي ذلك كله تثبيت لمبادئ الدين وتشريعاته في الأخلاق والمعاملات بين الناس، وفيه كذلك تسليه للمؤمنين عما يعانونه من ابتلاءات في حياتهم، خاصة حينما يشاهدون تلك النماذج الحية التي ابتليت وصبرت.

هذه وقفات قصيرة عند الخطوط العريضة للمضامين التي اشتملت عليها القصة النبوية، وسوف يساعدنا فهمها على تملي عناصر الفن في هذه القصة ومدى قدرة الشكل على التعبير عن تلك المضامين

ثانياً: في الظواهر الفنية

لا نختلف في أن القصة النبوية ذات هدف ديني تربوي أخلاقي يتعاضد مع صور الحديث الأخرى في تثبيت دعائم الدين في النفوس عبر هذا التلوين في الهيكل والأسلوب اللغوي، وحين ننظر إليها في هذا الإطار وفي إطارها الزمني وظروفها الدعوية لانحتاج إلى مقارنتها بالقصة الغربية الحديثة وما وصلت إليه من تقنيات فنية، وما جالت فيه من أفكار واهتمامات، فالدوافع مختلفة ومراحل التطور الفني مختلفة كذلك.

على أننا نؤكد الصلة العامة بين الفن وأهدافه، ولسنا بحاجة إلى الحديث عن التيارات التي عُنيت بالفن لذاته، أو عبدت الجمال لذاته، فهذا مما تجاوزه مسار الفن نفسه من خلال الحاجة إلى بناء الحياة والإنسان عبر أدوات الفن، فما عاد الفن والأدب بعيدين عن الفكر أو الأخلاق، بل إن من النقاد من يرى أن الأدب الراقي هو الذي يثير فينا انفعالاً وميلاً إلى الحياة الراقية، ولن يكون الأدب راقياً إلا إذا كانت له صفة أخلاقية، وكان قادراً على تنمية طبائعنا وإثارة مشاعرنا الصحيحة لا المريضة[14].

نقول هذا لنؤكد هدفية القصة النبوية وأخلاقيتها، وأن الأدوات الفنية والصياغة تأتي موظفة لتحقيق هذا الهدف، وليست سابقة له، ولهذا فالقصة النبوية لها طابعها الخاص المتعلق بهدفيتها وظروفها التاريخية، فهي قصة دينية تستمد مادتها من التاريخ، أو تصوغه بطريقة تمثيلية على أنه حدث في ما سبق من الزمن.

وتأتي القصة النبوية في ثلاثة أنواع هي: **الخبر**، وهي ما تضمن حكاية موجزة للحدث، **والمشهد**، وهو ما قدم الحكاية في صورة ترتفع عن إيجاز الخبر، من دون تفصيل، **والقصة**، وفيها تتوفر العناصر الفنية، أو بعضها بما فيها من أحداث وشخصيات ويشيع فيها الحوار، وتظهر ملامح الزمان والمكان[١٥] بناء على الحاجة إلى إبراز هذا العنصر أو ذاك بما يخدم الفكرة أو الهدف الذي سيقت من أجله القصة، وقد مر بنا بعض من نماذج القصص في الصفحات السابقة، خاصة من النمط الثالث الذي تتكامل فيه عناصر القصة، علماً بأن الطابع العام للحديث النبوي يكاد يأخذ الشكل القصصي إطاراً له من خلال الحادثة التي يعلق عليها الرسول ﷺ بما فيها من شخصيات وظروف وملابسات، وبما فيه من خلاف بين الأشخاص، أو من خلال شخصية تسأل الرسول ﷺ، فيجيبها ويوجهها، فهناك بطل أو شخصية، وحوار بشكل أو آخر حتى في أبعد الأحاديث عن الصياغة الفنية للقصة، كمثل الرجل الذي جاء الرسول فقال له: أوصني يا رسول الله، فقال: لا تغضب، فقال له: أوصني، فقال: لا تغضب.. حتى أعادها ثلاثاً [١٦]، أو في هذا النوع من الخبر الذي تستطيع أن تضعه في إطار قصصي، وتتخيل شخوصه وحركته في الواقع، وهو خبر يبتدئه الرسول ابتداءً من دون سؤال سابق: دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض [١٧]، بل إن السيرة النبوية هي قصة إنسان بدمه ولحمه وظروف حياته، وإن كان في ملامح ملك كريم!

ونأتي إلى الحديث عن عناصر القصة النبوية من حدث وعقدة وشخصيات وبيئة وأسلوب، ونوجز القول في كل واحد منها، استكمالاً للصورة التي نريد أن نوضحها عن هذه القصة.

١ - الحدث:

إن الحدث في القصة النبوية لا يتعدد في الغالب ويتخذ طابعاً محورياً يترك في نفس القارىء انطباعاً واحداً، شأنه الحدث في القصة القصيرة [١٨] وإن كان لهذا الحدث طابعه الذي يتسلسل فيه ويتدرج حتى يصل إلى النهاية، مع شيء من التشويق إلى النهاية المرتقبة، كمثل ما مرّ بنا من قصة الرجل الذي اقترض ألف دينار، وأراد أن يرجعه إلى صاحبه في الأجل، فلم يقدر، وكان ما كان من أمر وضعه المبلغ في خشبة ودفعها في لجة البحر.

ورأينا كيف كانت نهاية الحدث بطريقة لا نقول: إنها مفاجأة، لأن السياق الديني الذي يتدخل فيه الغيب، ويحرك فيه الأحداث ويلهم الأشخاص، لا يجعل القارىء أمام مفاجأة غير طبيعية، فهي طبيعية في سياقها وفي أجوائها.

٢- العقدة:

على أن الأحداث في القصة النبوية غير معقدة جداً، ويستطيع أن يتوقع نهايتها عن قرب، ولكن بعضها يبقى الذهن معها منشغلاً مترقباً الذي سيحدث، كمثل قصة الغلام والراهب والساحر والملك حيث جيء بالغلام أمام الملك «فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، وقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله» وظل كلما دفعه إلى مهلكة في الأرض أو البحر بين جنده، رجع إليه سالماً، ثم قال للملك، إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ماهو؟ قال:

تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني» (١٩).

ويبقى النظارة متعلقين بما يحدث، مترقبين بلهفة لما سوف يحدث كذلك.. مع شيء من عنصر المفاجأة، حيث يسقط في يد الملك ويثور عليه شعبه بعد أن آمن بدين الغلام، وهكذا يتسلسل الحدث، وينتهي نهاية تومىء إليها الحلقات السابقة، ويتشابك سير الأحداث ما بين نظام العلة والمعلول في حركة الواقع، ومابين يد الغيب التي ترفد الحدث بما يغنيه عن ضرورات القوانين الأرضية.

على أننا نلاحظ أن القصة النبوية لا تتكىء على الحدث وحده، بحيث نسميها قصة (الحدث) بل تتفاعل معها العناصر الأخرى، وخصوصاً الشخصيات التي يكاد أثرها أن يكون هو الغالب والفاعل في القصة، لأن العبرة تستخلص في الغالب من حركة هذه الشخصيات وقوة إرادتها وصدقها.

٣- الشخصية:

وكما أشرنا قبل قليل، فإن الشخصية في القصة النبوية هي العنصر البارز، وهي الملمح الغالب الذي يحرك الحدث، وتستخلص من سلوكه العبرة والهدف.

والشخصية في القصة النبوية تجعلك تطل على عالم واسع من الكيان الإنساني الداخلي خاصة، فتعرض لك نماذج من النفوس الصابرة على البلاء كمثل شخصية الراهب صاحب الغلام، والغلام نفسه (القصة السابقة)، ونماذج من النفوس العالية في عفتها كمثل ذلك الذي أبى أن يفعل الفاحشة مع ابنة عمه، بعد أن رأى من عفتها ما رأى، وبعد ما طاف به طائف الفطرة النقية، ويد الإنقاذ الإلهي القريب (٢٠)، وكالذي رأيناه من أمانة ذلك الرجل الذي اقترض وحرص على رد الدين في وقته، فتدخلت يد القدر الإلهي على بلوغ مرامه.

وكذلك الرجل الذي دخل الجنة، ولم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر (٢١).

أو ذلك الرجل الأعمى في قصة (الأقرع والأعمى والأبرص) الذي رد الله عليه بصره وأغناه، فكان حامداً شكوراً إذ منح ما عنده لذلك (الملك) الذي جاءه في صورة إنسان (٢٢).

عالم واسع من النماذج البشرية عالية الهمم والخلق، قريبة من الفطرة، مؤهلة للصلاح والإصلاح، والمنح والعطاء.

ذلك ما تعرضه عليك القصة النبوية، وتضع بين يديك مادة للتحليل النفسي والولوج إلى العالم الداخلي للإنسان، وهو العالم الذي يشكل دوافع الفعل الإنساني في الحياة.

وفي الجانب الآخر من النفس الإنسانية نجد النماذج التي يلهيها العرض القريب، وتسقط أسيرة شهواتها، ولا تصمد أمام محنة أو ابتلاء.

نماذج من النكران والجحود كمثل الأبرص والأقرع اللذين أنكرا نعمة الله، ولم يعينا السائل المسكين، بعد أن أنقذهما الله من نقصهما وعاهتهما اللتين كانتا ثقلاً لايريم على نفسيهما، بل إنه أغناهما بعد فقر، ولكنهما قالا: لقد ورثنا هذا المال كابراً عن كابر!!

أو تلك النماذج التي تسدر في غيها وظلمها، كالذي كان من الملك الذي كان يسارع إلى قتل كل من يخالفه في الدين، وإن كان الذي يخالفه فيه هو الحق، وكان لا يرعوي عن حفر الأخاديد في أفواه السكك فيشعل فيها النيران ويلقي الناس فيها.

أو تلك النفوس الغاوية من النساء التي لا تتردد في فعل الفاحشة، وإلقاء وزرها على غير الفاعل، كما كان من شأن تلك الزانية من بني إسرائيل التي أغوت الراعي بالفاحشة ثم ادعت أن (جريج الراهب هو الذي فعلها لتتآمر مع الذين أرادوا الكيد به) (٢٣).

على أن هذا الرسم للنماذج المتضادة من النفوس البشرية يجعلنا أمام مشاهد من الصراع بين هذه النماذج، فهي ما زالت تعكس لنا طابع الحياة البشرية،

بكل ما فيها من خير وشر، ومن صلاح وفساد، ومن قسوة ورحمة، ومن طيبة وخسة، ومن براءة وخبث.

ففي القصة الواحدة تتراءى أمامك هذه النماذج المتضادة في سلوكها وأهدافها، كمثل الملك الظالم، ومظلوميه من الناس، ومثل الزناة الذين لا ينزعون عن شيء، وضحاياه من النساء العفيفات الفقيرات، ومن السحرة الأشرار الذين لا يترددون من توظيف قدراتهم ومواهبهم في تطويع الناس للبشر وعبودية السلطان(٢٤).

وبناءً على هذا الاهتمام بالعالم الداخلي للإنسان، ورصد أبعاده النفسية، لا نجد اهتماماً كثيراً بالوصف الخارجي للشخصيات لأن القصد غير متعلق به، ولأنه ربما اقتضى إطناباً وتفصيلاً في الرسم والسرد، لا يتناسب مع مقتضى الحال من الإيجاز في القصة النبوية، ولأن رسم البعد الداخلي للإنسان هو الذي يوقفنا على حركة الشخصية ويطلعنا على مخايلها ودوافع سلوكها، ويوقفنا على إيجابيتها أو سلبيتها.

٤ - الحوار:

تلك الأداة التي تقوى على تصوير ما يعتمل من الصراع بين الشخصيات المتضادة في سلوكها، وهي الأداة التي تقرب العمل القصصي إلى أبرز ما في العمل المسرحي من حركة وحيوية مبعثها ذلك التضاد في أهداف الشخصيات وسلوكها.

ولا تكاد تجد قصة نبوية تخلو من هذا الحوار على اختلاف في طوله أو قصره، وإن كان في الأعم الأغلب قصيراً مركزاً يتناسب مع قصر القصة النبوية ذاتها.

ويكون الحوار بين الشخصيات الواقعية - التاريخية ذاتها، كما رأينا من الحوار بين المقرض والمقترض، وكما رأينا من حوار بين الأشخاص الثلاثة الذين أووا إلى الكهف، أو بين الملك والغلام، أو غيرها من القصص، وقد يتدخل عنصر من (الملائكة) ليدير دفة الحوار، ويساهم في رسم نهاية الحدث، كما هو الأمر بالنسبة لتدخل الملك الذي جاء في صورة مسكين، وسأل الأبرص قائلاً: رجل مسكين، وقد انقطعت بي حبال السفر، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك... أسألك الذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال له الأبرص: الحقوق كثيرة. فقال له المسكين: كأني أعرفك: ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله... قال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر.

أو كالحوار الذي دار بين شخصية (الكفل) والمرأة العفيفة، وانتهى إلى نزوع الرجل عن فعلته من خلال الكلمات الحوارية التي أفصحت بها المرأة عن عفتها، وعدم ممارسة هذا الصنيع من قبل.

والحق أن حيوية الحوار ولياقته في القصة النبوية يصلح إلى أن يحول هذه القصة إلى (دراما) فاعلة ترصد الفعل الإنساني، وتستخلص منه ما يعين على بناء الإنسان ويصلح حياته.

٥ - الأسلوب:

لم نشأ أن نقف عند الظواهر الفنية الأخرى من قبيل الهيكل العام للقصة، أو العقدة وتأزمها، وسبل الحل الذي تنتهي إليه، هل هو من قبيل الحلول الواقعية، أو يتم من خلال المفاجآت والخوارق؟ وإن كنا أشرنا إلى شيء من هذا في الحديث عن الحدث وطابعه في القصة النبوية.

ونود هنا أن نقف عند الطابع الأسلوبي في القصة النبوية، وهو طابع لا يخرجه عما نعرفه من خصائص الحديث النبوي، وهي خصائص بشرية مرتبطة بنفسية منشئها وبيئته، وهي غير خصائص الأسلوب القرآني، وإن كانت تستهدي بهدي هذا الأسلوب وتمتاح من توجيهه، ولكن شتان بين الكلام الإلهي والكلام الذي يشعرك بالنفس البشرية، كما قال الرافعي (رحمه الله)(٢٥).

والطابع العام لهذا الأسلوب هو الإيجاز، سواء في الأحاديث غير القصصية أو في القصة ذاتها، فالتركيز الشديد في تقطير اللغة باد في صياغة الأسلوب القصصي، والسرد لا تكرار فيه، بل هي محبوك الحلقات متراصها، تجد فيه حرف العطف (الفاء)

الذي يوحي بالالتصاق والتزاحم في حركة الحدث، أكثر ما تجد في (الواو) التي تعطيك مجالاً لتصور التوالي المشترك بين الأطراف.

وتبقى هذه الخصيصة الإيجازية علماً على الأثر النبوي كله، فلقد قيل إنه كان (يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه)[٢٦].

وتجد أماراته في ذلك الحذف لمتعلقات الجملة من جار ومجرور، أو مفعول.

أو في تلك النهايات القصصية التي تترك للذهن ما يشاء من الرسم و التأويل، وإنزال الحوادث أو الشخصيات منازل يهوى أن تنتهي إليها، كما يلاحظ في نهاية أمر الملك الظالم، إذ ترك الباب مفتوحاً للصراع بينه وبين شعبه، هل يستمر في إلقائهم في الأخاديد أو تعلو كفتهم عليه وينهون سطوته وجبروته.

وأخيراً فإنه أسلوب يعتمد الوضوح وقرب المأخذ، ويمثل طابع البيئة المكانية في المفردة والمصطلح والنفس العام.

الخاتمة:

يمكن القول إننا إزاء القصة النبوية نجد أثراً فنياً يعبر عن محتوى الرسالة الإسلامية التي جاءت لإرساء دعائم التوحيد والخير والصلاح للبشر، فكانت النماذج البشرية التي صورتها هذه القصة معبرة عن الصراع بين الحق والباطل، الخير والشر، الاستقامة والانحراف، ومنتصرة لجوانب الحق والخير والاستقامة، مرغبة فيها، ومغرية للسير في خطها.

ومفصل القول في جمالية هذه القصص هو أثرها في النفوس السامعة أو القارئة، فبمقدار عمق الأثر الذي تحدثه تكون فاعليتها، ويستمر خلودها، ولقد كانت كذلك، وما تزال حتى اليوم.

ورغم ما اطلعنا عليه من صور التطور الفني للقصة، فالقصة النبوية تخاطب الفطرة، وتثير مكامن الخير فيها، والفطرة هي هي في الإنسان في عصوره السابقة، وفي عصوره اللاحقة، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ■

الهوامش:

١ - المدخل لدراسة السنة، وعلوم الحديث، مصطفى عبدالغني شيبة، منشورات جامعة سبها، ليبيا، ط١، ١٩٩٢ ص ٣٢.

٢ - ينظر (جيل قرآني فريد) في (معالم في الطريق)، لسيد قطب (رحمه الله).

٣ - أوضحنا ذلك في بحث سابق (الصورة في الحديث النبوي) مجلة جامعة سبها، ع ٣، ١٩٩٥.

٤ - ينظر الوقوف عند دلالة (الكلمة الطيبة)، كما وردت في آية ٢٤-٢٦ من سورة إبراهيم في (الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي) للباحث، دار عصمي، ط٢، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٠٩ و١٨٩.

٥ - أخرجه البخاري.

٦ - الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ٤٨٠.

٧ - ينظر مثلاً، السنة النبوية بين أهل الفقه، وأهل الحديث، محمد الغزالي، صحارى للنشر، ط ٥، ١٤٠٩، ١٩٨٩، ص ١١٥.

٨ - أخرجه مسلم، وأحمد.

٩ - أخرجه البخاري، وأحمد، وابن ماجة.

١٠ - أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبوداود.

١١ - الحديث أخرجه مسلم والترمذي.

١٢ - من مثل قصة الأقرع والأبرص والأعمى (أخرجه البخاري ومسلم).

١٣ - من مثل حديث «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها (خف غليظ فوق الخف) فسقته فغفر لها به».

أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، ومسلم في السلام، وعلى النقيض من ذلك «دخلت امرأة النار في هرة فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» أخرجه البخاري ومسلم.

١٤ - في النقد الأدبي، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ص ٣١.

١٥ - ينظر: خصائص القصة الإسلامية، د. مأمون فريز جرار، دار المنارة، جدة، وقد أفدنا من عرض الدكتور السيد مرسي أبوذكري للكتاب، في مجلة الأدب الإسلامي، ع ٣٠، ١٤٢٢هـ، ص٥٠.

١٦ - أخرجه البخاري وأحمد والترمذي.

١٧ - أخرجه البخاري ومسلم.

١٨ - مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، د. شلتاغ عبود، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص ١٨٠.

١٩ - أخرجه مسلم والترمذي.

٢٠ - قصة الثلاثة الذين أووا إلى الكهف، وتجدها في قصة (الكفل) وهو الرجل الذي لم يكن ينزع عن شيء، ولكنه حين تمكن من فاحشة الزنا، رجع وآب، ولم يفعل، بعد ما رأى ما رأى في اضطراب المرأة وقولها: هذا عمل ما عملته قط. أخرجه الترمذي.

٢١ - أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

٢٢ - أخرجه الشيخان.

٢٣ - أخرجه الشيخان.

٢٤ - ينظر، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص ٣٧٤.

٢٥ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، دار الكاتب العربي، بيروت ب ط، ب ت، ص ٧٩٢.

٢٦ - نفسه، ص ٩٣٣.

معذرة إلى كبريات الدول

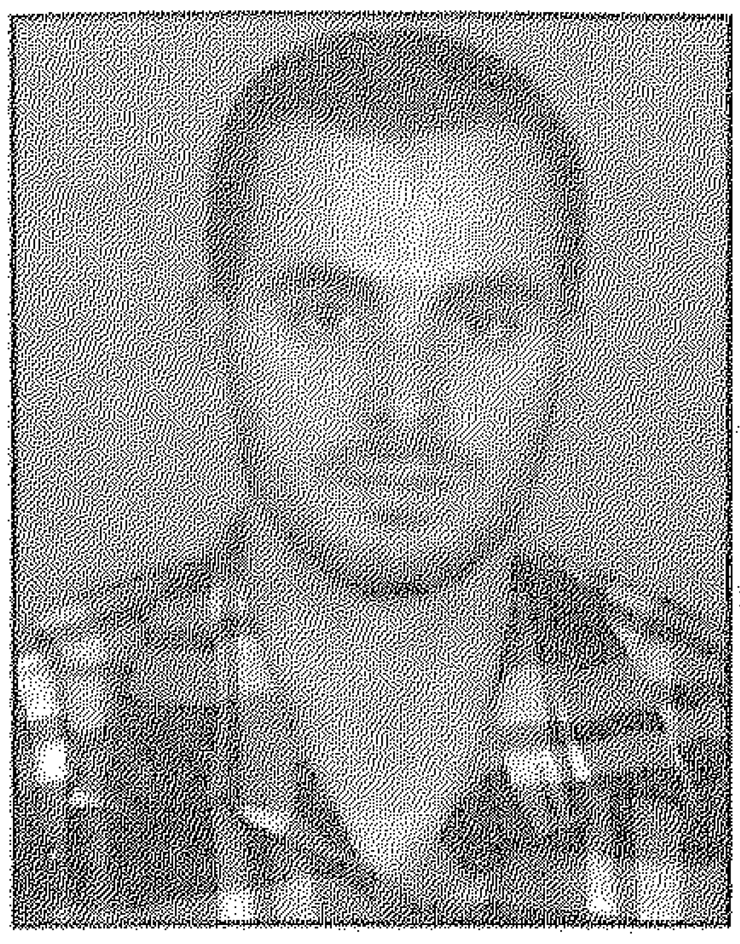

شعر: شادي الأيوبي
لبنان

أحرقوا الأرض واستبيحوا الديارا ... وازرعوا البؤس بيننا والدمارا
وارقصوا فوق جرحنا واشربوا الـ ... ـخمر عليه وعربدوا يا سكارى
واهتكوا حرمة البلاد وجولوا ... صلفاً، واسلبوا حياء العذارى

* * *

نحن نبكي جراحنا في خفاء ... قد جعلنا أحزاننا أسرارا
وعلينا أن نبكيَ الجرح منكم ... إن جرح الكبار يدمي الصغارا

* * *

ذا قضاء الزمان فينا وفيكم ... وحرام أن نرفض الأقدارا
إن يصبنا من طيشكم ألف جرح ... فجروح الصغار تبقى صغارا
بهواكم نموت أو بقناكم ... ما تركتم لنا بذاك خيارا

* * *

فعلينا إما سلكتم طريقاً ... بعماء أن نقتفي الآثارا

وعلينا رغم الأسى جاء منكم ... أن تغني حبا لكم وانبهارا
وعلينا إن أينعت أرضنا أن ... نتنحى، نهديكم الأثمارا
وعلينا إن أجدبت أرضكم أن ... نحرق الأرض، نحبس الأمطارا
وعلينا إما اعتراكم مصاب ... أن نزيل الشموس، والأقمارا
وعلينا إن مر موكبكم أن ... ننحني كالعبيد أو نتوارى

❖ ❖ ❖

وعلينا من أجل نيل رضاكم ... أن نعاني ونركب الأخطارا
وعلينا أن نقبل الذل منكم ... برضانا، ونعشق الاحتقارا
وعلينا أن نرتضي الليل منكم ... في هوان، وأن نسب النهارا
وعلينا أن نحمل الداء عنكم ... إن سقمتم، ونحمل الأوزارا
وعلينا أن نعشق الظلم فيكم ... ونرى البغي شيمة وفخارا
وعلينا وقد غدوتم عبيدا ... للرزايا، أن نقتل الأحرارا
وعلينا أن نخمد العزم فينا ... لتسودوا، ونقتل الإصرارا
وعلينا معْ كل قول سفيه ... أن نعيد القول السفيه اجترارا

❖ ❖ ❖

وعلينا لأنكم في ضلال ... أن نكون المضللين الحيارى
وعلينا لأنكم في ظلام ... لرضاكم، أن نطفئ الأنوارا
وعلينا لأنكم قد عميتم ... أن نداجي ونغلق الأبصارا
وعلينا لأنكم قد عقمتم ... أن نعادي نساءنا والصغارا

❖ ❖ ❖

وعلينا لأنكم قوم جهل ... أن نرى الجهل هادياً ومنارا
وعلينا لأنكم قوم بغي ... أن نرى مسلك الشهامة عارا
وعلينا لأنكم قوم بطش ... أن نرى البطش هيبة واقتدارا
وعلينا لأنكم قوم سوء ... أن نعادي وننبذ الأخيارا
وعلينا لأنكم قوم شر ... أن نحب الأشرار والفجارا

❖ ❖ ❖

فاقتلونا ولتقبلوا العذر منا ... لم نقدم عن قتلنا الإعتذارا
واجعلونا اختبار كل سلاح ... فلنا الفخر أن نكون اختبارا
ولنا الفخر أنكم قاتلونا ... واسمحوا أن تبادلونا الفخارا
واعذرونا عن الغبار فإنا ... ما مسحنا عن السيوف الغبارا
واعذرونا عن الحياة فإنا ... لا نعيش الحياة إلا اضطرارا

الحج في أدب الرحلات

الشيخ علي الطنطاوي أنموذجاً

بقلم: عبدالله بن حمد الحقيل
السعودية

لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام الكثيرين، وكان موضع اهتمام الأدباء ومحل عناية المؤرخين، وعني به أعلام عبر مراحل التاريخ.

وكانت الرحلات في الزمن القديم تعد مجازفة بالحياة ومغامرة بالمال والوقت والراحة سواء كانت للحج أو لطلب علم أو تجارة أو سياحة.

وكان المسافر يجعل نصب عينيه حين عزمه على السفر عدم العودة إلى أهله فكان يكتب وصيته، ويقضي ديونه ويخرج كمن يريد أن يخوض معركة أو يركب متن البحر إبان هياجه واضطرابه، هذا إلى جانب ما يتكبده من عنت وإرهاق في جوب الفيافي والقفار، والتعرض للفح الهجير وبرد الزمهرير، والسير البطيء الممض، والغذاء الخشن الجاف، والماء العكر المالح، والمواصلات العقيمة القليلة الجدوى. كل هذا وأمثاله يقف في طريق الرحالة سدا منيعا، ومع ذلك فقد امتطى الكثيرون متن هذا الخطر، وخاصة إلى الحج حيث إنه أمل يداعب المؤمنين.

فقد كانوا يمتطون متن السفر، ويضربون آباط الإبل في مجاهل الأرض. وتضمنت رحلاتهم وصفا للبلدان التي زاروها، والمعالم التي شاهدوها، والأهوال التي صادفوها، وتحدثوا عن الناس وعاداتهم وتقاليدهم في مختلف الأصقاع. وما زالت كتبهم التي دونوا رحلاتهم فيها تشكل حتى اليوم خير خدمة للتاريخ والجغرافيا معا.

ولقد اشتهر عدد من الرحالة المسلمين بتدوين رحلاتهم حيث حفلت رحلاتهم بالمباحث العلمية، والنواحي التاريخية، والأمور الفكرية، وبصنوف الآداب وفنون المعارف، ووصف المواقع والمواقف والمشاهد، مما يستحق التسجيل والذكر مع إبراز ما شاهد الرحالة من مرئيات بأصدق العبارات، وأحسن الكلمات.

وتمثل رحلة الحج حجر الزاوية في أدب الرحلات، فهي الباعث القوي، والمحور الذي يطوف الحاج به في قدومه، وإفاضته من عرفات وأداء المناسك والوداع.

إن الحج رحلة إيمانية سامية الغايات، وهي أمنية العمر ومناط الأمل، ونلتقي اليوم مع الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله - وهو من العلماء الأفذاذ، والأدباء النابهين، ونشأ على حب اللغة العربية والأدب والثقافة الإسلامية الواسعة، حيث تولى القضاء، والتدريس في كلية الشريعة في دمشق والرياض ومكة المكرمة، وله كتب كثيرة، ومقالات متنوعة، وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وقد استقر في نهاية عمره في مكة المكرمة وتوفي سنة ١٤٢٠هـ - رحمه الله - . ولقد استهل حديثه عن الحج بأسلوبه الأدبي السهل قائلا:

«يا عازمين على الحج، يا من يشد الرحال، ويعد الأحمال، ليصل إلى فناء الحرم، ويقوم عند الملتزم، ويشرب من ماء زمزم: قفوا قليلا فاستمعوا مني كلمة ثم امضوا

☆ **حفلت كتابات الرحالة المسلمين بالمباحث العلمية، والنواحي التاريخية، والأمور الفكرية، وبصنوف الآداب، وفنون المعارف ..**

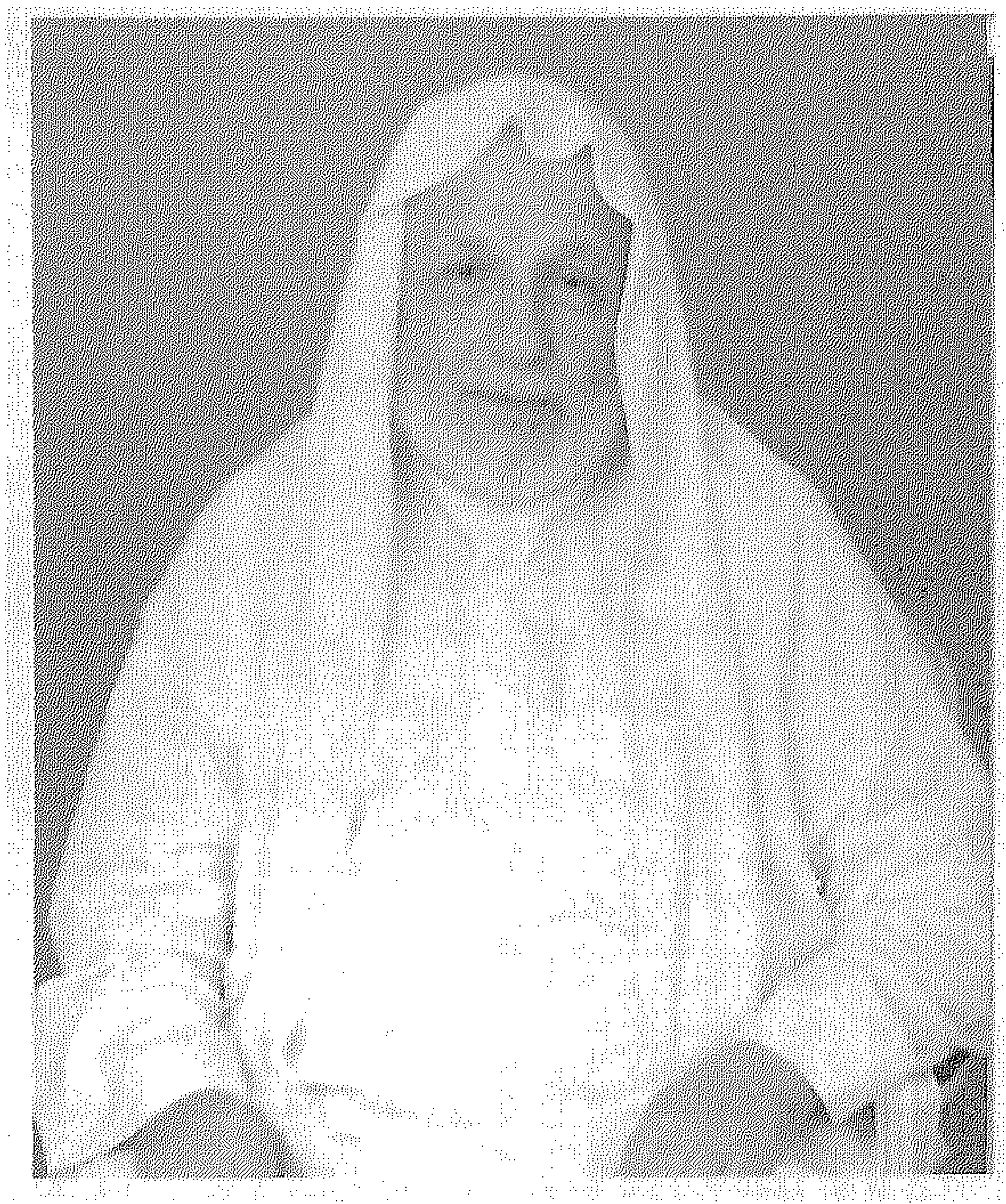

الشيخ علي الطنطاوي

على بركة الله.. إنكم ما تحملتم مشاق السفر، ولا رضيتم بفراق الأهل، ولا أنفقتم هذا المال إلا ابتغاء ثواب الله، وادخارا من الحسنات ليوم الحساب، فهل علمتم قبل أن تمشوا أن الحج حجان: حج مبرور وردت الأحاديث الصحاح بأنه ليس له ثواب إلا الجنة، وأن صاحبه يرجع منه كيوم ولدته أمه، وحج ما فيه إلا إنفاق المال وإرهاق الجسد، وفراق العيال، فماذا تعملون ليرفع الله حجكم إليه، ولا يرده عليكم، فيضرب به وجوهكم.

أنا أقول لكم: هل ترتفع الطيارة إذا أثقلتها بالحديد، وحملتها أضعاف ما تطيق ثم ربطتها بحبال الفولاذ إلى صخور الجبل؟

إنها لا ترتفع إلا إذا خففت أحمالها، وقطعت عنها حبالها، وكذلك الأعمال، فإذا أردتم أن يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم أثقال الذنوب، واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات، أو حلوها.

فاقعد يا أخي الحاج وحدك، وأحضر فكرك قبل أن تخطو أول خطوة في طريق الحج، وحاسب نفسك، وانظر في حياتك في بيتك، وفي مصادر ثروتك، وطرق إنفاقك، فكر فيها كلها، وقسها بمقياس الشرع، فما وجدته منها محرما فتب منه، واستسمح أصحابه قبل أن تمضي إلى الحج.

ثم تدبر أمورك وأمور عيالك في غيبتك لتريح بالك منها، فلا تفكر فيها وأنت في الحج، فتعطي أهلك من النفقة ما يكفيهم في غيابك، وتوكل بهم من يقوم بأمرهم إلى حين عودتك، وتعهد بعملك إلى من تثق به، وتعتمد بعد الله عليه

ويمضي مسترسلا في الحديث وذكر الحج وشعائره وآدابه قائلا:

« واعلم يا أخي الحاج أن الحج غسل للقلب من أوضار الذنوب، فهل يغسل أحد جسده من الأوساخ بالماء الوسخ؟ فكيف إذن تبغي أن تتخلص بالحج من تبعات الحرام إذا كان حجك بمال حرام؟ إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، فليكن أول ما تصنعه أن تعد لنفقات حجك مالا حلالا».

ويوصي بأهمية اختيار الرفيق قبل الطريق للحج قائلا:

«واعلموا أن على ألسنة الناس أقوالا سائرة يلقونها، لا يفكرون بمعناها، وكأنها من كثرة الترداد قد صارت ألفاظا بلا معان، وهي ثمرة تجارب بشرية طويلة منها قولهم : (الرفيق قبل الطريق).

وأولى سفرة باختيار الرفيق الصالح سفرة الحج،ورب رفيق حججت معه فاستفدت من علمه، واسترحت إلى حلمه، واطمأننت إلى أمانته، ورب رفيق نغص عليك حجتك، وأضاع عليك ثوابك.

رفيق يجعل الحج مردودا ومرفوضا، ورفيق يجعله مبرورا ومقبولا، فاختر لك رفيقا عالما بالمناسك، فإن لم تجد فخذ كتابا من كتب المناسك لعالم موثوق به، ولا تركن إلى هذه الكتب التي يؤلفها من ليسوا بعلماء، ولو رأيت الإعلان عنها، والدعوة إليها، فإن فيها خطأ كثيرا.

ولا تأخذ كلام المطوفين قضية مسلمة فإن أكثرهم من غير العلماء.

ولا تقبل من كل من يتكلم في العلم، فربما تكلم في العلم في زماننا وتصدر للإفتاء من ليس بعالم ولا بطالب علم.

فإذا أعددتم المال الحلال، وانتقيتم الرفيق الصالح، وتبتم من ذنوبكم، وأديتم الحقوق التي عليكم، فأخلوا أذهانكم من هموم العيش، وخلفوها وراءكم، وفرغوا قلوبكم ما استطعتم لربكم فإنكم تفكرون في الدنيا العمر كله، ففكروا في الآخرة هذه الأيام فقط، وتعملون طوال حياتكم لما لا ينفعكم بعد موتكم، فاعملوا هذه الأيام فقط لما يبقى لكم، ويفيدكم يوم العرض على ربكم».

ثم يوجه الحديث بالنصح والإرشاد والحفاظ على الوقت وحكمة الحج وشعائره واستشعار معنى الحج ومناسكه، وآداب الزيارة،وفتح الأبصار والبصائر على هذه الأماكن المقدسة قائلا:

☆ إذا أردتم أن يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم أثقال الذنوب واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات.

« يا إخواني الحجاج:

إنكم تقومون للصلاة، تنظرون إلى مسير الشمس في النهار، وتبحثون عن نجم القطب في الليل، وتضعون (البوصلة) أمامكم وتستحضرون موقع البلد في أذهانكم لتعرفوا أينتقع الكعبة، فتجعلوها قبلتكم في صلاتكم، وبينكم وبينها الأبعاد والآماد، وبينكم وبينها الصحارى والبحار، والجبال والأنهار، لا يمنعكم بعدها ولاتصدكم العوائق دونها أن تتوجهوا إليها بأجسادكم وقلوبكم، وأن تتصوروها على الغيبة، وتحنوا إليها على البعد، فها أنتم هؤلاء تمشون إليها كما يمشي المحب إلى لقاء المحبوب، ودونه الحُجُب والأستار، فكلما جزتم إليها بادية، أو ركبتم

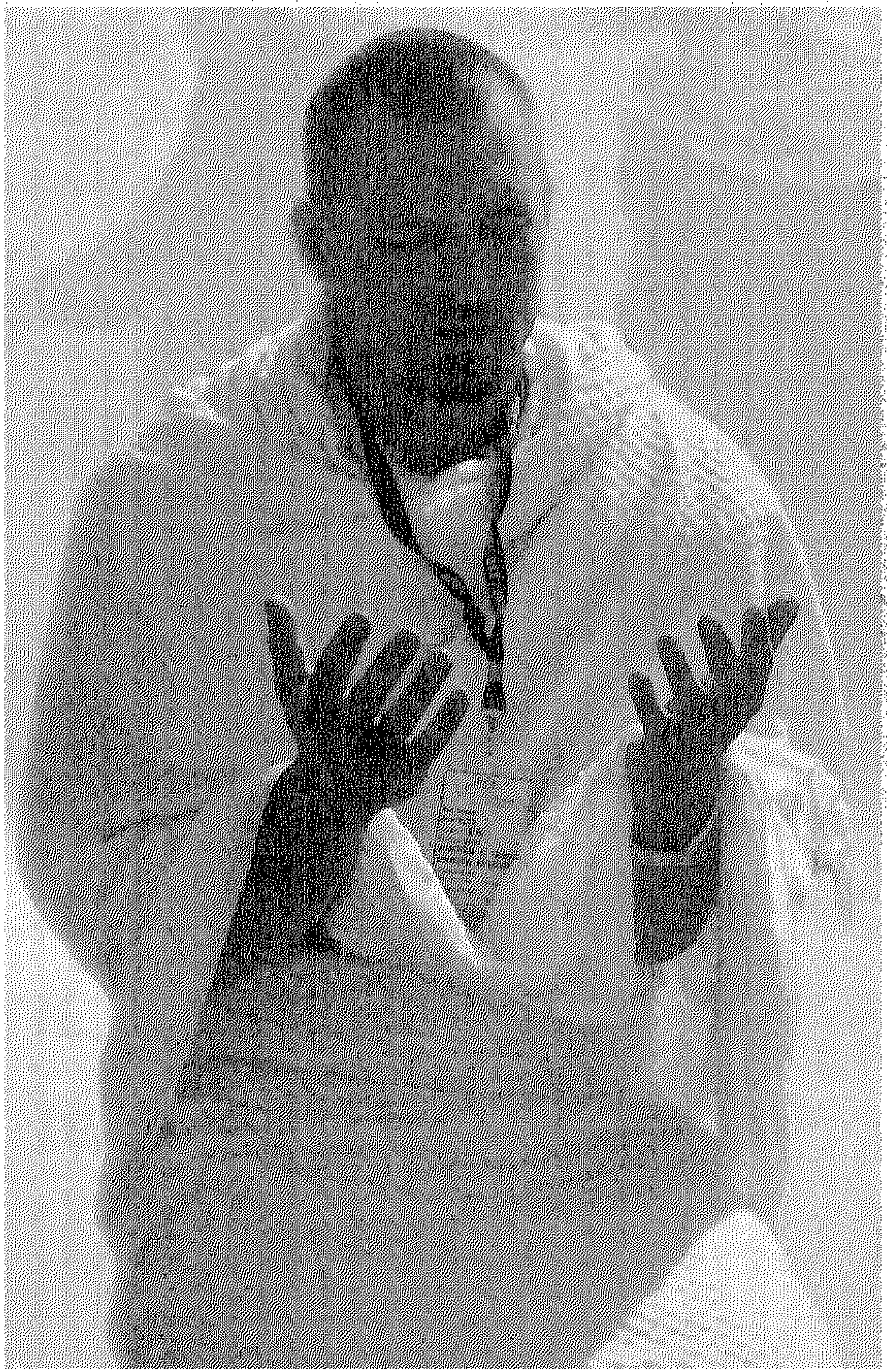

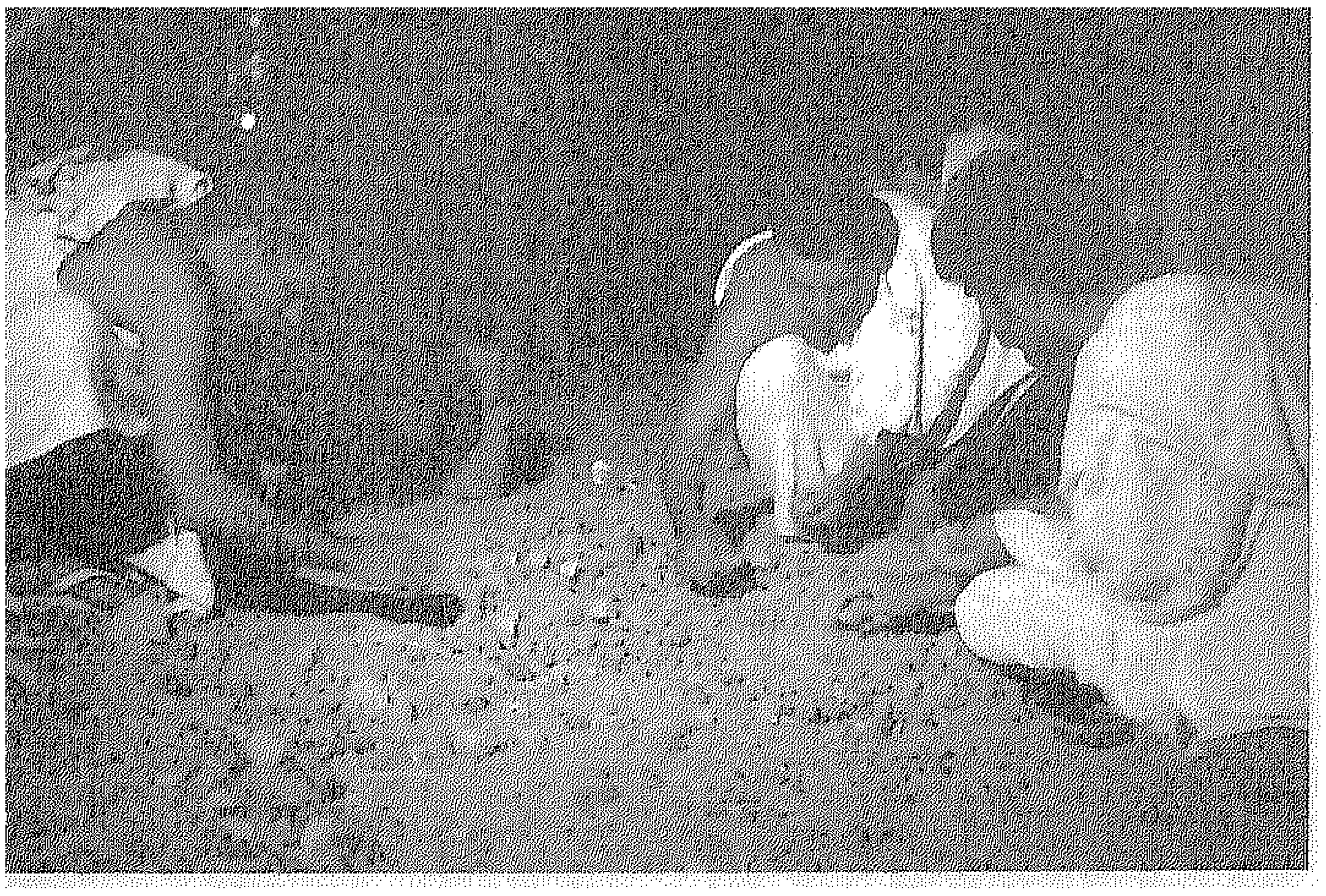

بحرا، رفع لكم من دونها حجاب، وكلما دنوتم منها شبرا رفع لكم ستر، حتى وصلتم إلى المواقيت».

ويواصل الحديث حول مواقيت الحرم، وهذه الفريضة - التي أكرم الله بها هذه الأمة - قائلا:

« هذي مواقيت الحرم يا حجاج.. قفوا، هذه أعتاب ديار المحبوب، هذه مشارف بيت المليك، إن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا، يلبس للمقابلة لباسها الرسمي، وهذه أبواب حضرة ملك الملوك، رب العالمين، فاخلعوا عن أجسادكم ثياب الدنيا، والبسوا للنسك لباسه الرسمي.

البسوا ثياب الإحرام التي لا يمتاز فيها غني عن فقير، ولا أمير من أجير، وانزعوا مشاغلها ومشاكلها عن قلوبكم، واغسلوا بالماء أجسادكم، واغسلوا بتجديد التوبة نفوسكم.. ».

ويدعو للتواصي بالسكينة والصبر في الحج قائلا:

« ثم أصغوا تسمعوا صوت الشرع في قلوبكم يأمركم بالتوحيد وإخلاص العبد لله، واتباع سبل الخير، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، اسمعوا أوامر الله في آيات كتابه وأقوال نبيه، فإذا تمثلت لأذهانكم، فأجيبوا بألسنتكم وبقلوبكم:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

لبيك أمرتنا فأطعنا، ونهيتنا فأجتنبنا، فأعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فإنا لا نستطيع أن نقوم بغير معونتك، لا شريك لك، فنطلب منه، ولا إله سواك فنفر إليه، لقد فررنا إليك، وجئنا قاصدين بيتك، فهل تردنا عن بابك خائبين، وأنت أكرم الأكرمين؟

ثم يفيض في الحديث عن المواقيت والالتزام بها قائلا:

« هذه يا حجاج مواقيت الحرم (آبار علي) على أبواب المدينة، و(الجحفة) عند رابغ، و(قرن) عند السيل الكبير، ووادي محرم قرب الطائف، و (يلملم) في جنوب الشرقي من مكة.

هذه حدود منزل الوحي، لقد جزتموها الآن محرمين، فجدوا السير، واحدوا المطي، أو استحثوا سائق السيارة.

لقد دنوتم الآن من الحرم، أتعرفون يا إخواني ما الحرم؟

هنا دار السلام إن عمت الأرض بالحروب، هنا دار الأمن إن شمل الناس الخوف.

كل حي هاهنا آمن: الناس والحيوان والنبات، ليس هاهنا حرب ولا قتال، الحيوان هاهنا لا يصاد، والأشجار لا تقطع، لا عدوان على أحد، ولا تجاوز على شيء.

هذه حدود الحرم ألا ترون أعلامها؟

لقد أقام هذه العلامات أبو الأنبياء إبراهيم، وبقيت حيث أقامها.

لقد دخلتم الآن الحرم، فجددوا التلبية واجهروا بها، وقولوا بقلوبكم مع ألسنتكم : لبيك اللهم، قد دعوتنا فأجبنا، سمعنا المؤذن يؤذن بالحج فجئنا رجالا وعلى كل ضامر، أتينا من مكان بعيد، نذرع الأرض، نطوي البيد، نركب الريح، ونمتطي اللجج، امتثالا لأمرك، وابتغاء رضاك.

لبوا ياحجاج، واجهروا بالتلبية، لبوا عند كل رابية وجبل، تلب معكم الروابي والجبال، لبوا كلما صعدتم نشزا، لبوا كلما هبطتم واديا، لبوا فهذه جبال مكة بدت لكم.

لقد وصلتم، لم يبق إلا قليل، فجدوا المسير.

هذه مكة فادخلوا من أعلاها، من جهة ذي طوى - حي الزاهر- ثم اهبطوا من الحجون، من عند المقبرة، فمن هناك دخلها رسول الله ﷺ، ثم امشوا من عند المسعى حتى تدخلوا من باب السلام (باب بني شيبة).

فهنيئا لكم، نلتم المرام، هذا باب السلام، وهذه زمزم، وهذا المقام، وهذه الكعبة البيت الحرام.

فلبوا وهللوا، وادعوا، فإن دعاء المسلم أول ما يرى الكعبة مستجاب، هذا هو المشهد الذي قطعتم من أجل رؤيته الآفاق، وتحملتم المشاق، إني لن أنسى يوم وقفت هذا الموقف أول مرة، من إحدى وثلاثين سنة[1]، لقد سلكنا الصحارى من دمشق، فكنا كلما دنونا زاد الشوق بنا شهرا تمنيت أن تطوى لي الأرض وأن يتصرم الزمن.

وأكثر ما يكون الشوق يوما
إذا دنت الخيام من الخيام

حتى إذا وقفت على باب السلام صفق من الفرح اللب، وبكت من السرور العين، فما رأيت الكعبة إلا من خلال الدموع.

هــــذه دارهـــــم وأنـــــت محب

مــا بــقــاء الــدمــوع في الآمـــاق!

إني لا أتمنى إلّا أمنية واحدة، هي أن أنسى هذا المشهد لأستمتع برؤيته من جديد، هذه مكافأة الحاجة، إنها لذة من لذائذ الروح لا مثيل لها، فأشبهه بها لأدل عليها من لم يعرفها.

لذة لا يدرك مداها إلا من ذاقها، لذة لا توصف ولا تعرَّف:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

أسأل الله أن يمن بذلك على كل راغب فيه، مشتاق إليه(٢).

وجملة القول فقد استعرضنا ما كتبه الشيخ علي الطنطاوي عن الحج بلغة سهلة ملائمة لموضوعها، ووصف حي بليغ، وهو بطبعه حين يتحدث أو يكتب يترك النفس على سجيتها، فلا يتكلف في عبارة ولا فكرة، ونراه يحسن مخاطبة المتلقي، ويصور ما بداخله من مشاعر وأحاسيس إزاء بعض المواقف.

وجاء حديثه مفعما بالشوق والحنين إلى هذه البقاع المقدسة، وعامرا بالتوجيهات السديدة والأمور العلمية والمعاني العظيمة للحج وآدابه، واللقاء في هذه الرحاب الطاهرة ميدان عظيم فهو مهوى أفئدة المؤمنين تحقيقا لدعوة إبراهيم عليه السلام، حيث يكتظ الحرمان الشريفان من كل عام بمئات الألوف من الحجاج في غبطة وبهجة روحية عميقة، وأمن وأمان وسط أجواء مفعمة بالإيمان، وخدمات متميزة فائقة بالحرمين الشريفين والأماكن المقدسة من توسعات متتالية، وإنشاءات للمرافق هائلة خدمة لضيوف الرحمن وخدمة للحرمين الشريفين، وهما مصدر فخر وشرف واعتزاز لقادة بلاد الحرمين وشعبها لتمكين حجاج بيت الله من أداء مناسكهم في يسر وسهولة واطمئنان ليؤدوا فريضة الحج ويشهدوا منافع لهم من اجتماعية وأدبية ومادية.

وهكذا رسم الشيخ الطنطاوي في رحلة الحج مناهج عمل من خلال دعوته الإيمانية لهؤلاء الحجاج ليتفيؤا ظلال دوحة الإسلام وتعاليمه السمحة، ولأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وتبقى راية التوحيد خالدة خفاقة، إلى

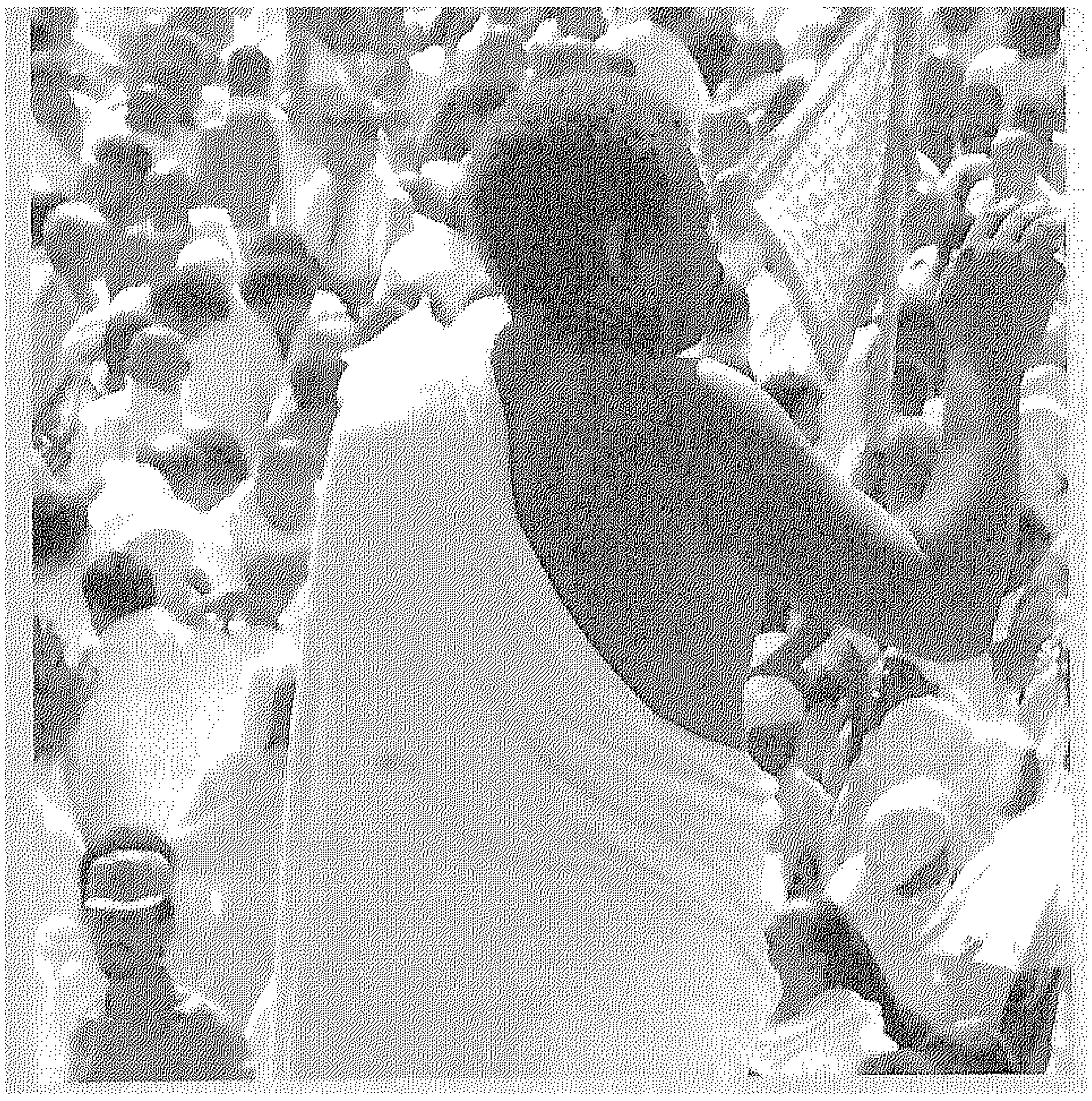

☆ إني أتمنى أن أنسى هذا المشهد لأستمتع برؤيته من جديد.

جانب شمولية الوصف الطبيعي للمكان، إلى جانب جملة خصائص تتمتع بها رحلته، وهي موضوعات حميمة الأثر في النفس غنية بالمشاعر والصور.

وأخيراً : فإن من نعم الله علينا أن هدانا للإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وخصنا بما حبانا به من رحمة وفضل في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإذا تمسكنا به فلن نحيد عن الطريق المستقيم، ولا يزال منارا للأمة، ومثارا للهمة، وأن في الحج إلى بيت الله إعلاء لشأن الملة، وسقيا لجمع الكلمة، وسبيلا لوحدة المسلمين، وتحقيقا لحكمة الحج. أعاده الله على المسلمين بالخير والقوة والسعادة والعزة.. وفي هذه الأجواء المفعمة بالإيمان، والعامرة بالعبق الروحي وبشتى أنواع الخدمات لحجاج بيت الله حتى ينعموا بالنفحات الروحية في أطيب جوار بقرب بيت الله الحرام■

الهوامش:

(١) كان ذلك عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٥م، انظر وصف الرحلة في كتاب نفحات من الحرم للشيخ علي الطنطاوي، ص٧٢، وما بعدها، ط٣، ١٤١٧هـ، دار المنارة، جدة.

والجزء الثالث من ذكريات علي الطنطاوي ص٥٣-١٦٦، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار المنارة، جدة

(٢) مجلة الوعي الإسلامي - ذي الحجة، ١٣٨٥هـ، العدد١٢، الكويت.

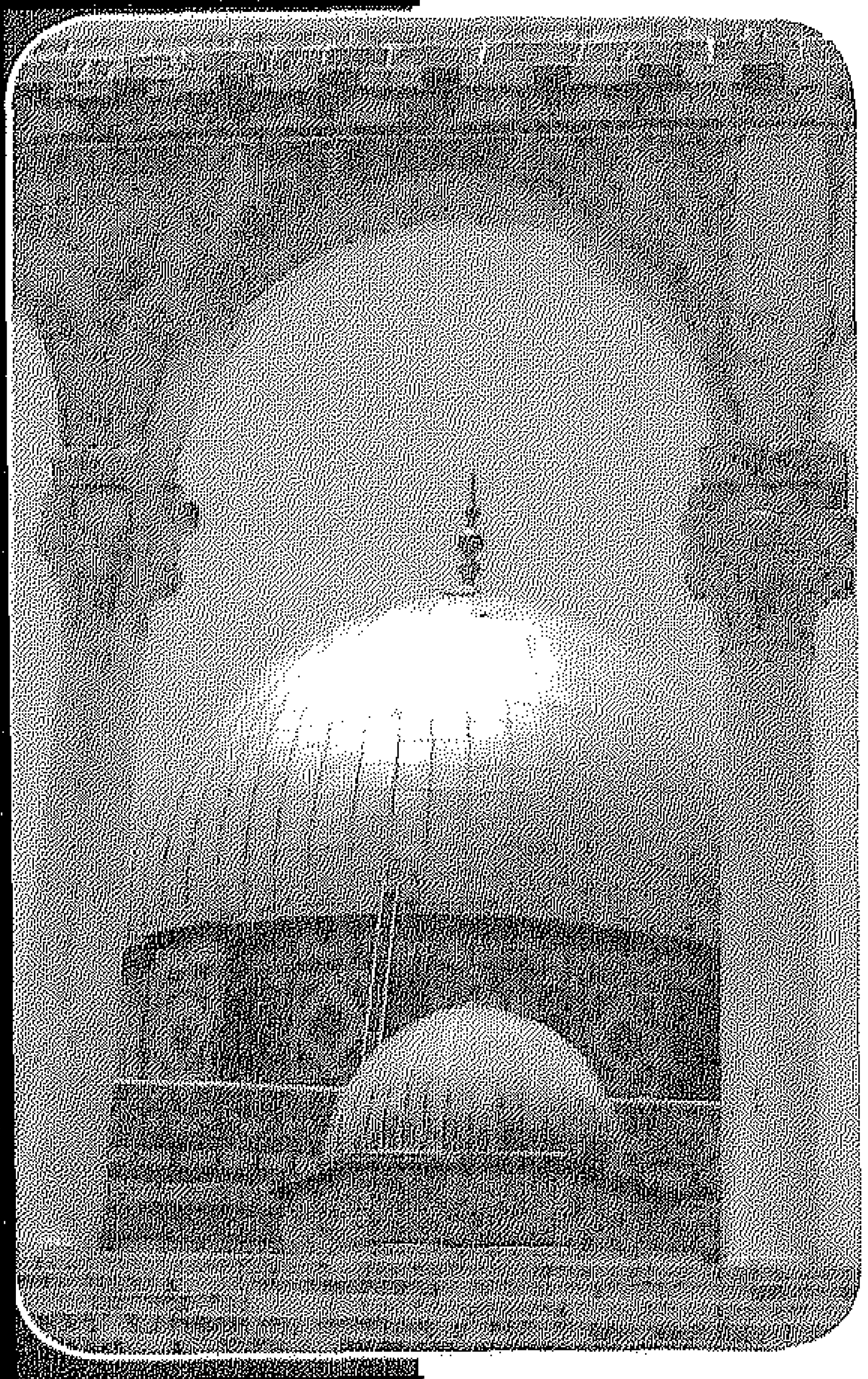

أقصانا السليب!

شعر: محمد عمر فلاته
مكة المكرمة

شكا وأنّ فلا راقٍ وترياقُ ... وراح يبكي أسى ترثيه أعماقُ
مسافر عن هواه ماله قلم ... ولا قصيد .. ولا نثر .. وأشواق
خمسون صيفا.. وأقصانا له نغم ... من الشقاء .. ويا بؤساه ما فاقوا
خمسون صيفا حروف الحرب ما انطفأت ... وبيرق الحزن في الأجواء خفاق
خمسون صيفا حداد القهر منتصب ... وقد شكت في بساط الطهر أخلاق
خمسون صيفا.. محاريب الندى شجن ... وكوكب الشرق إخفات .. وإملاق
خمسون صيفا .. فلسطين الهوى أمل ... مورّق ! مات فيه الغصن والساق
تطاول البغي .. واشتدت مجادفه ... في وضحة .. والدنا صمت وإطراق
تبكي جنين .. وفي دمعاتها شرقت! ... وفي الخليل ليال الأنس إحراق
والضفة اكتحلت بالبؤس .. وانفجرت ... آهاتها .. وبلاء القدس مغداق
في وجه عكا بدا الزيتون منتحبا ... والكرم ناح .. فلا سَمْر وطُرّاق

* * *

أين البطولة والأمجاد ترقبها ... ربا ..! تخطّفها قيد.. وأطواق؟
أين العمومة؟ كم نادوا بها فذوت ... وعاد ذاك الصدى والحظ مهراق!
أين اللقاءات ..؟ ماذا أفرخت خطب..؟ ... هل كفكف الحزن تحنان وإشفاق..؟
أين القصائد..؟ ماتت في مجرتها..! ... ضاقت بها في دياجي الذل أوراق

* * *

من أخبر الدهر أن الوردة قنبلة..؟ ... وأن مجدا هوى.. للمجد سباق؟
نبض فلسطين.. في روح المدى ألم ... ما زال ترمقه بالشوق أحداق
بات القرود على شريانها.. أسفا!! ... وقد كواها مدى الأيام إرهاق
عاشوا بكل قداسات ومكرمة! ... مات الكتاب..! فلا سلم وميثاق
هم يتموا الجذع لكن لم يزل ألقا ... وحطموا النور.. لكن ثَم إشراق

* * *

فتيان غزة مازالوا على رمق ... في كفهم حمم .. والعزم دفاق
من كل زيتونة ينمو لهم بطل ... له تذوب خرافات .. وأبواق
من كل حبة رمل قادمون فدا ... والثأر ماض.. كمثل السيف.. براق
سينبتون لظى من كل زاوية ... ومن تجاعيد روح العز .. إحداق
هم البراكين.. صيحات .. ودمدمة ... تحدوهم في طريق المجد أعناق
غدا.. تعود فلسطين المنى .. قسما ... فينتشي فوقها بالحب إشراق

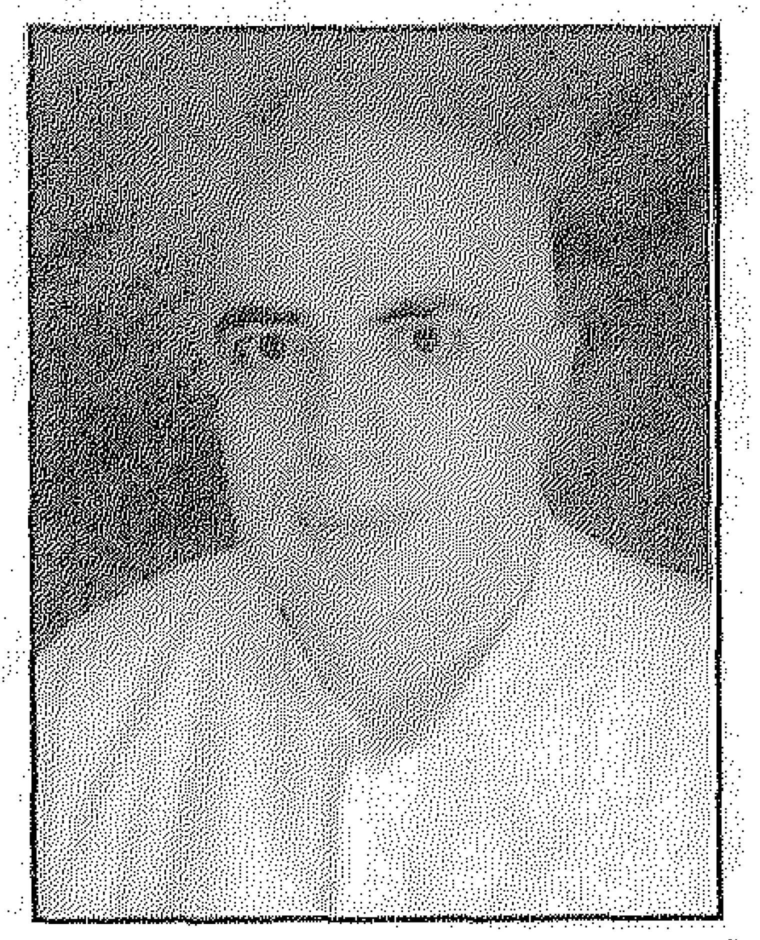

بقلم: د. حسين علي محمد
مصر

ظهر في ربع القرن الأخير كثير من الدراسات عن الأدب الإسلامي، يدفعها الطموح إلى ارتياد عوالم وآفاق جديدة، حتى لا تظل تدور في دائرة محكمة لا تتعداها.

وتجيء دراسة (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للدكتور صابر عبد الدايم في هذا الإطار، متضمنة عدة بحوث يجمعها خيط فكري واحد هو البحث عن نبض الإسلام في الآثار الأدبية شعراً كانت أم نثرا ، قديمة كانت أم معاصرة.

الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق

والكتاب يضم قسمين: قسماً بعنوان: "من معالم التأصيل"، وآخر بعنوان "من ثمار التطبيق".

والقسم الأول "من معالم التأصيل" يتضمن ثلاث دراسات تنظيرية تطمح إلى تأصيل معالم الأدب في ظل الإسلام اتكاءً على القيم الإسلامية، وموقف الإسلام من الكون والإنسان والحياة. واتجه جهد الباحث إلى استكشاف الأبعاد الفنية والجمالية في النص الأدبي، فالمضمون الجيد لا بد أن يُقدَّم في إطار فني جميل ومؤثر.

❖ والدراسة الأولى عنوانها "معالم التجربة الأدبية في ظل خصائص التصور الإسلامي":

وتتجه هذه الدراسة إلى تأصيل معالم التجربة الأدبية وفلسفتها في ظل خصائص التصور الإسلامي ؛ فالأديب المسلم في ظل هذا التصور تنطلق تجاربه من نبع إيمانه الفياض بالتسليم المطلق لخالق الكون جل وعلا، وهو يمزج هذه الانطلاقة الإيمانية بالتأمل في

مشاهد الكون، والنظر في ملكوت السماء والأرض، واستجلاء معالم القدرة الإلهية في صنع هذا الكون البديع المتناسق، وهو في غمرة تجاربه الإيمانية والتأملية لا يكون بمعزل عن واقع الحياة، ومشاغل الإنسان، وآماله وأحلامه، فهو في إيمانه يتأمل ما خفي من أسرار الكون، وهو في تأملاته يستجلي أسرار الحياة.

وفي معرض إرساء هذه الخصائص في حقل التجارب الأدبية، ناقش المؤلف الدكتور صابر عبد الدايم كثيراً من المواقف والآراء التي شاعت في حقل النقد الأدبي قديما وحديثا، وكشف كذلك عن زيف بعض القيم الفنية والموضوعية التي خلفتها المذاهب الأدبية والنقدية في العصر الحديث.

وفي هذا القسم قراءة أدبية لكتاب (خصائص التصور الإسلامي) لسيد قطب، مع الاسترشاد ببعض الكتب الأخرى مثل (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) لأبي الحسن الندوي، و (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) لمحمود محمد شاكر، و(العلمانية) لسفر بن عبد الرحمن الحوالي.. وغيرها.

ومن ثم فنحن نرى أن هذا القسم له طبيعة تنظيرية خاصة، اكتفى فيها المؤلف بأن يكون شارحاً لآراء سيد قطب، وواصلاً إلى نتائج الخصائص نفسها التي تؤسس لمعالم التجربة الأدبية في ظل التصور الإسلامي رؤية ومضمونا، وهي " الربانية - الثبات - الشمولية - التوازن - الواقعية - التوحيد ". وقد أشار بجلاء

د . صابر عبدالدايم

☆ تتجه هذه الدراسة إلى تأصيل معالم التجربة الأدبية وفلسفتها في ظل خصائص التصور الإسلامي.

ص (٤٥) حينما قال في ذيل هذا القسم: "هذه الدراسة قراءة أدبية لكتاب سيد قطب "خصائص التصور الإسلامي"... ". ورغم أهمية هذه الدراسة التي تحتل حوالي ربع الكتاب، فإنها تظل جزءاً غريباً على الكتاب، وليتها تسلّلت إلى ثنايا التطبيق، كأن يسترشد بها في دراسته للأدب الإسلامي، أما بهذا الشكل فهي تظل جسماً غريباً في ثنايا كتاب له دوره، الذي نطمع أن يكون مؤثراً ومهماً في توجيه الدراسات الأدبية والإسلامية توجيهاً جديدا.

❖ وأما الدراسة الثانية من القسم الأول فترصد أربعة أبعاد للرؤية الإسلامية في الشعر المعاصر:

١ - البعد الأول يكشف عن تأثر الشعراء المُعاصرين بالبيان القرآني، وجاء هذا التأثر مختلفا في الرؤية، متعددا في الاتجاه:

أ- فبعض الشعراء جاء تأثره بالبيان القرآني تأثرا كليا شموليا صياغة وفكرا وشعورا والتزاماً بمنهج التصور الإسلامي. ومنهم محمد بنعمارة في ديوانه (مملكة الروح)، وصابر عبد الدايم في ديوانيه (المرايا وزهرة النار) و (المسافر في سنبلات الزمن)، وأحمد فضل

شبلول في ديوانه (مسافر إلى الله) وعبد العليم القباني في ديوانه (لله والرسول).

ب- وفريق ثان من الشعراء جاء تأثره شكليا أدائيا.. بعيداً عن نسيج الرؤية الإسلامية الطامحة إلى فعالية الوجود الحضاري المسلم، فالتأثر جاء صدى للمعجم القرآني، وللأساليب الموجودة في النصوص القرآنية، وكذلك في القصص القرآني، ولم يتعدّ هذا التأثر الأسلوبي هذه الدائرة إلى النفاذ إلى أعماق معالم التجربة الإسلامية، وتوضح ذلك بعض قصائد ديوان (السفر في أنهار الظمأ) لمحمد أبي دومة.

جـ- والفريق الثالث جاء تأثره سلبيا مضادا، وذلك لأن شعراء هذا الاتجاه استخدموا الألفاظ والتراكيب والمعاني القرآنية ولكنهم أساءوا إليها، ويقصد المؤلف الدكتور صابر عبد الدايم بالإساءة " أن يضعها في غير مكانها اللائق، أو أن يسوقها في معرض السخرية والتهكم، أو أن يحاول - جهلاً وغروراً وادعاءً - محاكاة أسلوب القرآن الكريم، ظنا منه أنه قادر على إبداع بيان يكافئ القرآن العظيم، ومثل هذه المحاولات تبوء بالفشل الذريع، ولا تحظى إلا بالرفض الكامل شكلاً ومضمونا" ص (٧٠). ويوضح الباحث ذلك المنهاج الخاطئ من خلال مناقشة لبعض قصائد خليل حاوي، ومحمد أبي دومة.

لكننا نتوقف عند فقرة في آخر هذه الفصلة التي تحمل عنوان (التأثر السلبي بالبيان القرآني) تقول:

" والشاعر (حسين علي محمد) يصور مكة بالأنثى التي يشتاق إليها العاشق، وحين يلتقي بها يخاصرها قدّام الناس.

وهذا التصوير مهما كان رمزيا، ومهما كانت أبعاده الفنية واستدعاءاته الباطنية ومبرراته النفسية.. فإنه يظل بعيداً عن التوظيف الفني الصحيح لمسميات الأمكنة في الرؤية الشعرية الدائرة في فلك التصور الإسلامي.

يقول الشاعر:

ظل يخاصر مكة قدام الناس ويصرخ
أنت عروس، يا قمري الناصع
غبت سنين عن القلب
تعودين الآن.. فتمتلئ الدنيا بالبهجة
يشتعل الجسد الفارع
كان الوجه الطيب يتلو آيات النصر
ويعرف أفراحك يا مكة والأتراح
وكانت عيناك تقولان كلاما
محفوراً في أفئدة العشاق "

ولنا على هذا المقطع عدة ملاحظات:

أولاً: إن هذه الفقرة غريبة على

السياق، فأنا أتعامل مع مكان إسلامي هو مكة، ولا أتعامل مع نص قرآني.

ثانيا: إن هذا المقطع جاء في قصيدة تحمل عنوان (الرحيل على جواد النار) وتحت العنوان إشارة إلى أن هذه القصيدة تستبطن مكابدات عبد الله ابن الزبير.

ثالثا: حينما كتبت القصيدة، كان يحرّكني الصدق في تلهف عبد الله بن الزبير على رؤية مكة، التي أشرق منها النور، وكلمة (يخاصر) هنا توحي بشدة الفرحة واللهفة والشوق، و (أنت عروس) و (يا قمري الناصع) و (غبت سنين عن القلب) تدور في هذه الدوائر المحمومة من اللهفة.

رابعاً: لماذا الاعتراض على (يخاصرها). وهل الأدب الإسلامي يوجب على المسلم ألا يحتفي بالحياة وألا يحتفل بأسبابها وألا يفرح كما تفرح الناس؟ (*).

٢ - والبعد الثاني من أبعاد الرؤية الإسلامية يرصد تأثير التراث الإسلامي في تشكيل التجربة الشعرية، ويكشف عن بعض محاور ذلك التأثير ومنها:

أ- استدعاء الشخصيات التراثية الإسلامية: فالشخصية التراثية في النسيج الشعري ليست تاريخا يُروى، وليست سيرة يحكيها الشاعر، وإنما استدعاؤها يكون في إطار شعري غير محدَّد بأسوار التاريخ، وقد

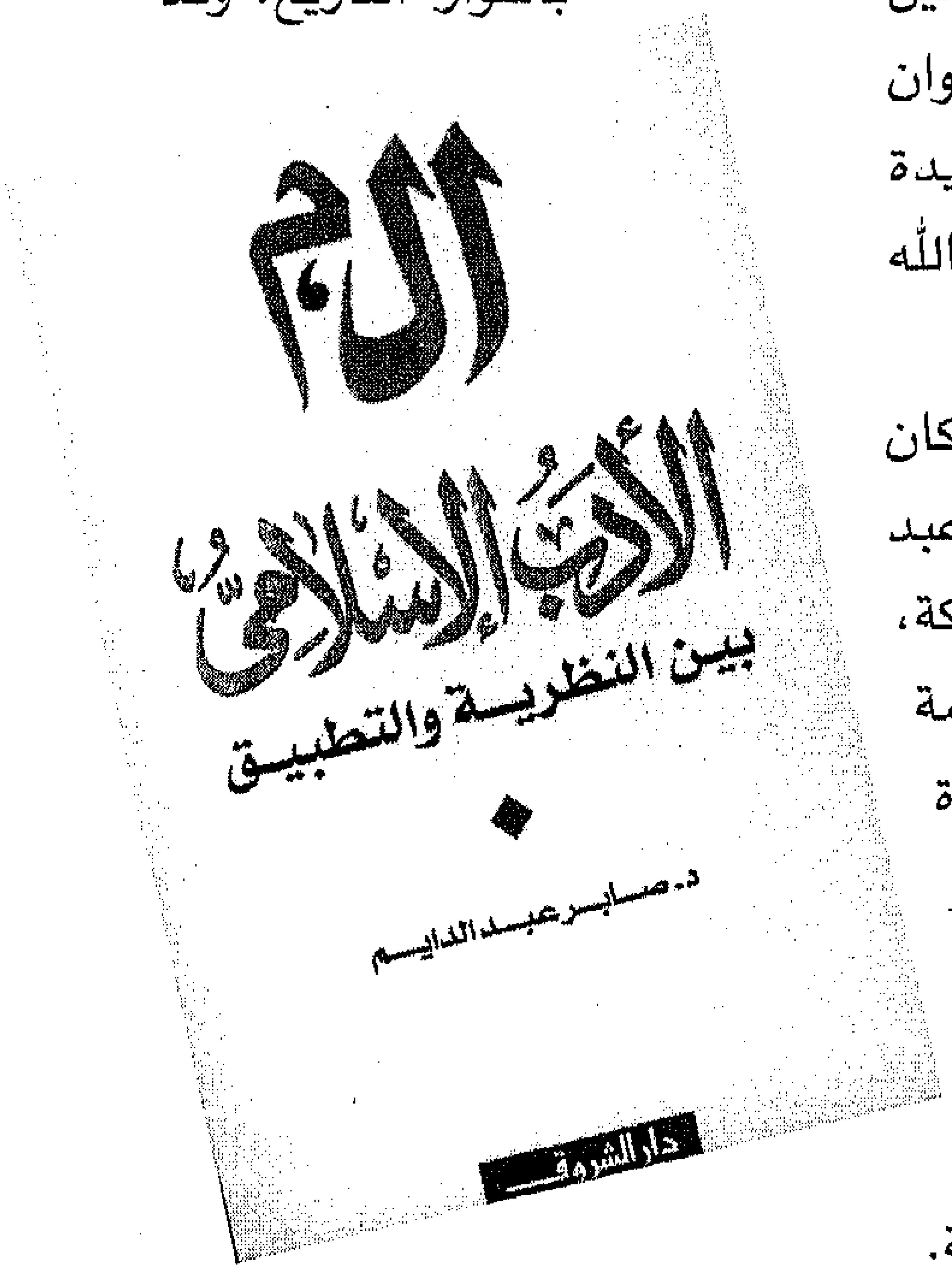

☆ بعض الشعراء جاء تأثره بالبيان القرآني تأثراً كليا شموليا صياغة وفكراً وشعوراً والتزاماً.

يقتصر هذا الاستدعاء على رصد بعد واحد من أبعاد الشخصية، مثل البعد السياسي أو الاجتماعي، وقد يتجاوز هذا البعد إلى الرؤية الشمولية للشخصية كلها، وقد يخاطب الشاعر الشخصية من الخارج ولا يتوغل في أعماقها، وقد يحصر استدعاءه للشخصية في قالب مذهبي ويصوغ رؤيته لملامح هذه الشخصية انطلاقاً من تصوره المذهبي. وقد تناول المؤلف هذه الملامح من خلال قصائد لمحمود حسن إسماعيل، وصابر عبد الدايم، وحسين علي محمد، ومحمد المنتصر الريسوني، ومحمد أبو دومة، وأدونيس.

ب- الأمكنة الإسلامية وأثرها في تشكيل النسيج الشعري: والأمكنة متعددة، والوجدان الإسلامي يتعلق بها تعلق المحب العاشق، ومن هذه الأماكن: مكة - دار الأرقم- المدينة - أحد- بدر - حراء - ثور - جبل النور - الصفا والمروة - عرفات - الكعبة. وكلها معالم ناطقة بالهدى موشّاة بالضياء واليقين، وتحمل ذروة الشعور في الوجدان المسلم،

وتسيطر على دوائر التوهج في مدارات الإبداع. وقد تناول الباحث هذا الملمح من خلال قصائد للشعراء: محمد علي الرباوي، حسين علي محمد، جميل محمود عبد الرحمن، محمد عبد المنعم خفاجي، صابر عبد الدايم، عبد العليم القباني، عمر أبو ريشة، ومحمد بنعمارة.

٣ -البعد الثالث من أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر المعاصر هو (السفر إلى الماضي لبعث الحاضر وإحيائه):

إن الشاعر المسلم حينما يحس بتصادمه مع حركة الحياة المعاصرة " يفزع إلى الماضي، ويتجوّل في دروبه وزواياه باحثا عن المواقف المضيئة في مسيرة التاريخ ليعود بقبس منها إلى الحاضر الآسن، لعلّه من لهوه يفيق، ومن عثرته ينهض، ومن علله يبرأ " (ص٩٥). ويتناول المؤلف ذلك الملمح من خلال أشعار محمد بنعمارة، ومحمد علي الرباوي، ومحمد أبو دومة، وحسين علي محمد، وصابر عبد الدايم، وعمر أبو ريشة.

٤ - البعد الرابع من أبعاد الرؤية الإسلامية - يتمثل في (دور الطبيعة في تشكيل التجارب الإسلامية في الشعر):

والطبيعة حين توظف في تشكيل الرؤية الشعرية في ظلال الإسلام

عمر أبو ريشة

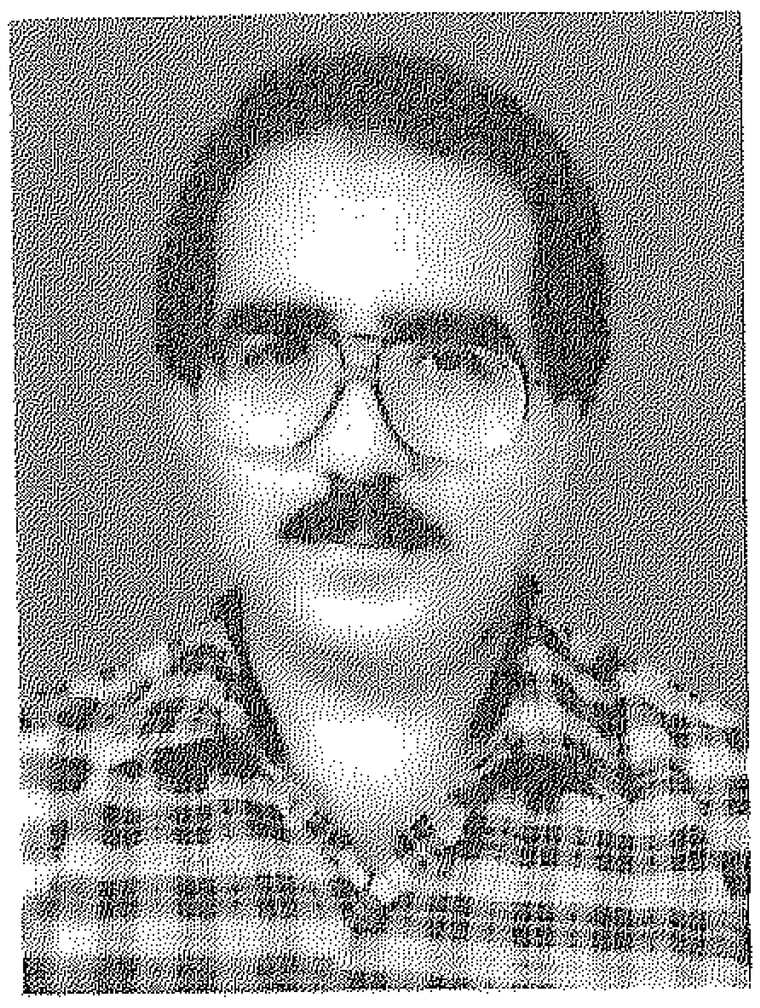

أحمد فضل شبلول

لا تمثل مصدراً خارجيا، ولا تمثل حالة نفسية كابية، ولا رمزا واقعيا منفرا، وإنما تعد الطبيعة رافداً أساسيا في حقل التجربة الشعرية، وتعدّ نسيجاً يدفع بالتجربة خارج دائرة الرصد المباشر، والتقريرية النثرية، وتعطي للتجربة مذقاً تأمليا إيمانيا، وتدفع بها إلى رحاب الشمولية بعيداً عن التقوقع داخل أسوار الذات، وقد رصد المؤلف لهذا البعد تجربة ثلاثة شعراء لهم نتاجهم الممثل لهذه الظاهرة، وهذه التجارب هي:

١ - تجربة عبد العليم القباني في ديوانه (لله والرسول).

٢ - تجربة محمد بنعمارة في ديوان (مملكة الروح).

٣ - تجربة أحمد فضل شبلول في ديوانه (مسافر إلى الله).

❖ **والدراسة الثالثة من القسم الأول تدرس (ملامح الواقعية المحزنة) التي وفدت إلينا من الغرب فكراً وسلوكا وتعبيراً،** ولا تتفق مع منهجنا في الحياة، ويرفضها التصور الإسلامي، فواقعية الإسلام تقوم على أساس من العدالة، والتقوى، والتسامح، والعمل الصالح وليست قائمة على أسس العقد النفسية، ومحاولة التكفير عن الخطيئة كما يشيع في الأسس الفكرية والفنية للواقعية الوافدة.

ولا تقوم واقعية الإسلام على محاربة القيم الروحية ورفض الغيبيات كما تنادي بذلك الواقعية المُحزنة بكل اتجاهاتها (الأوربية والاشتراكية والطبيعية).

وهذه الدراسة الموجزة نشرت في المجلة العربية بالسعودية عدد ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، (وهي بيان موجز يستغرق خمس صفحات) تشير إلى معالم الشخصية الإسلامية والعربية وبصماتها في أعمالنا الأدبية من رواية ومسرح وقصة وشعر، وتدعونا إلى صياغة فكرنا وأدبنا بما يتفق مع ملامح هذه الشخصية حتى لا تفترسنا الواقعية المريضة المحزنة.

❖ ❖ ❖

القسم الثاني من هذا الكتاب يحمل عنوان (دراسات نصية تطبيقية)، وفيه يحلّل بعض النماذج الأدبية الدائرة في فلك التصور الإسلامي ويضم ثلاث دراسات:

١ - من أسرار البيان النبوي في خطبة حجة الوداع:

ومعروف أن البيان النبوي يعدّ النموذج الأعلى للفصاحة العربية بعد البيان القرآني العظيم؛ ومن هنا كانت هذه الدراسة التي تتناول البيان النبوي وظواهره الأسلوبية في هذه الخطبة المتمثلة في:

أ- النداء.

ب- التكرار.

ج- التأكيد

د- أسلوب الشرط والجواب.

هـ- التوازن.

٢ - غزوة الخندق بين شاعرين:

وهي محاولة للكشف الفني عن بذور النقائض الشعرية. وتوازن الدراسة بين قصيدتي حسان بن ثابت وعبد الله بن الزِّبَعْرى، فحسان يمثل صوت الإسلام، وابن الزِّبَعْرى يمثّل في قصيدته صوت المشركين. وشعر حسان نموذج للشعر الإسلامي رؤية وأداءً.

٣ - أبعاد التجربة الإنسانية في شعر محمد السنهوتي:

ولأن المؤلف في دراسته لمحمد السنهوتي يعرف أنه يحرث في أرض بكر، لم تطأها قدما دارس من قبل، فقد تناول شعره من عدة زوايا هي: معالم الرؤية الشعرية - الطبيعة ودورها في إثراء تجربة الشاعر - المعجم الشعري (ويرصد من خلاله تأثر السنهوتي بالمعجم الصوفي) - الموسيقا وتعدد الإيقاعات (من خلال استعمال السنهوتي لأغلب البحور، والمقطوعة الشعرية، والموشحة) - الرمز الشعري (فهو توظيف مفردات الطبيعة، وينظم القصص الشعري).

❖ ❖ ❖

☆ واقعية الإسلام تقوم على أساس من العدالة، والتقوى، والتسامح، والعمل الصالح، وليست قائمة على أساس العقد النفسية.

في الكتاب جهد كبير، وبحث علمي مخلص، ونظرات ثاقبة، وتتمثل قيمة الكتاب في:

١ - أنه محاولة جادة للاقتراب من الأدب الإسلامي رؤية وأداءً.

٢ - حاول المؤلف أن يستخرج الكنوز الفنية والأدبية الدائرة في فلك التصور الإسلامي قديماً وحديثا، دون انحياز إلى القديم أو تعصب لجديد، فالانحياز أو التعصب كلاهما يعوق عن رؤية الحقيقة المجردة.

٣ - لم يتعصب المؤلف لشكل شعري معين، فقد استشهد بنماذج من الشعر الخليلي ونماذج أخرى من شعر التفعيلة.

٤ - لم يحصر المؤلف نفسه في إطار زمني محدد لأن دراسته ليست تاريخية أدبية، ولكنها تعالج قضية مازالت في حاجة إلى التحليل والمناقشة والتنقيب، ولب هذه القضية هو النص الأدبي الناطق بأبعاد الرؤية الإسلامية.

٥ - لم يغفل المؤلف العنصر الجمالي في النص الأدبي، ومن خلال النماذج استطاع أن يرد ردا علميا على الذين يتهمون الأدب الإسلامي بالجفاف والجمود وعدم التحليق ■

(❖) المجلة ترى رأي الدكتور صابر عبد الدايم في عدم مناسبة جعل مكة أنثى يخاصرها المحب، ولو جعلها أماً رؤوماً حانية لكان أفضل. (التحرير).

حُب .. لكنه أسود

بقلم: أحمد محمد علي صوان
سورية

في خطوة جريئة وحكيمة قرر مدير المدرسة مكافأة مادية مجزية ومعنوية لمن يقدم بحثاً جاداً قابلاً للتطبيق في المدرسة. أثار هذا القرار شهية ثلة من المدرسين فسارعوا يختارون موضوعات تتفق مع شروط المسابقة.

كان عبدالعزيز مدرسا ذا سمعة حسنة وأداء متميز، وكان محبوبا ومقدرا من الإدارة وزملائه وأولياء طلابه، حتى حارس المدرسة، إلا الموجه، على الرغم من المحاولات المتكررة التي طمأنه فيها أنه لا يسعى لترك التدريس والوصول إلى التوجيه، وأنه لم يفكر قط في مزاحمته على منصبه الذي وصل إليه مصادفة.

هذا المفتش كان مستعداً أن يعادي والده من أجل المنصب الذي رآه تشريفا لا تكليفا - كما صرح بذلك في ملأ من المقربين-، وبما أنه وصل إلى هذا المنصب بهذه الطريقة فقد سعى ليثبت أقدامه المريضة بأساليب ملتوية..

تقرب من عبدالعزيز وغيره، وكان لا يفتأ يكرر: أنا واحد منكم، قولوا رأيكم نتناقش بصراحة، نحن إخوة، أنا أوصل أفكاركم وتجاربكم إلى الإدارة.

وكان لا يكتب شيئاً بنفسه، بل يكلف بعض الأساتذة بالكتابة راجيا ذلك بكلمات معسولة لن تلبث أن تظهر حقيقتها! ثم يعطي هذه الكتابات إلى الأستاذ عبدالعزيز ليضع فيها ثمرات خبرته، ثم يعرض على الملأ مذيلة باسمه، تواضع مصطنع، روغان كروغان الثعلب بل أشد، ابتسامة صفراء يلقيها على وجهه، استعداد تام لتقبيل الأيدي وما دون ذلك بلا قيد أو شرط.

لم يمض على ذلك وقت طويل، حصّل فيه هذا المفتش كثيراً مما عند الآخرين فانقلب وجهه وأسلوبه: دعوة إلى الاجتماع بطريقة مقززة مستعلية، لا أحد يكمل جملته أمامه، لا كبير في مجلسه على الرغم من حداثة سنه.

كان الأستاذ عبدالعزيز على يقين مما سيتحول إليه هذا المفتش المحب! لكنه - مع ذلك - لم يكن ليتعامل مع هذا الكائن إلا بهذه الطريقة السليمة، فأمه أرضعته الحليب الأبيض! وبما أن عبدالعزيز لا ينتظر من هذا المفتش حمدا ولا شكورا، فقد بقي يعامله بالحسنى، وكثيرا ما كان يشفق عليه. ففي المرات القليلة التي جلس عبدالعزيز في مكتب هذا المفتش كان هذا الأخير يشكو له

ضغط العمل والطلبات التي لا تكاد تنتهي، وأعجب من ذلك أنه يحسب كل صيحة عليه، فعندما سمع مناداة في الممر حسب نفسه المراد فهب فزعاً، لكنه لم يكن المقصود، وما أن عاد أدراجه حتى ناداه رئيسه فهبّ واقفا، وتمتم بجمل متنافرة مضطربة قذفها في أذني عبدالعزيز ومضى. ولا تسل عن هيئته معه وكلامه وانكساره، أما عند عودته من لقائه القصير فحدث ولا حرج. أتعرف هيئة من خرج من معركة خاسرة؟ همّ وانكسار وهزيمة. كذلك صاحبنا وزيادة : خفقان قلب، واضطراب في وجهة السير، لا يهتدي إلى وجهته إلا بعد خطوات، يصحح مساره مع ابتسامة مصطنعة يرسمها على وجهه إذا رآه أحد المارين بهذه الصورة.

وبحكم النظام فإن هذا المفتش سيكون من أعضاء لجنة تحكيم البحوث، فرتب أموره مع بعض الموجهين الذين انتسب إليهم وهم غير مقتنعين به، أعد الأمور معهم، ولكنهم لم يوافقوا على استبعاد بحث عبدالعزيز المتميز والمحقق للشروط، فما كان منه إلاّ أن أمطرهم بفكرة شيطانية : سيتغيب عن الاجتماع وبذلك سيهمل بحث عبدالعزيز ويستبعد البحث تلقائيا، وتدرس البحوث في الفنون الأخرى. ولم يكن من عادته قط التغيب عن اجتماع، ولو كان مريضاً يجيء يتهادى بين اثنين، كيف؟ اجتماع ولا يحضره؟!

تقدم الفائزون للسلام على المدير والموجهين وتسلّم الجوائز، جال مفتشنا السعيد المنتصر ببصره بحثا عن عبدالعزيز، ألقى إليه نظرة يصعب وصفها!.

تمتم عبدالعزيز: سامحك الله يا أمي!■

الخيبة المباركة

شعر: فيصل بن محمد الحجي- سورية

شيطاني المهزوم يبكي لي
مسح الدموع بألف منديلِ
قد جاء يدعوني لمعصية
والنفس تغريني بتسويلِ
والشهوة الحمقاء جامحة
لا ترتضي من غير تنويلِ
والفرصة الغراء سانحة
لا تشتكي من أي تعطيلِ
سطع التفاؤل في مخيلتي
وأضاء دربي بالقناديلِ
كل الموانع لا وجود لها
ما بين مشروع ومعقولِ
حتى العقوبة قد خلا قلبي
من خوف تعجيل وتأجيلِ
لكنها كالملح قد غربت
وحُرِمْتُ من أوهام تأميلي
المرء يرسم في الخيال وفي
لوح القضاء زوال تخييلِ
والله يحفظ من يريد به
خيرا .. بحرمان وتكبيلِ
ولذا رجعت بلا النوال .. فقد
حبس الأماني حابس الفيلِ

الأديب المغربي الدكتور اليحياوي مصطفى لـ «الأدب الإسلامي»:

الأدب الإسلامي ضرورة لإعادة التوازن للفرد والمجتمع والعالم

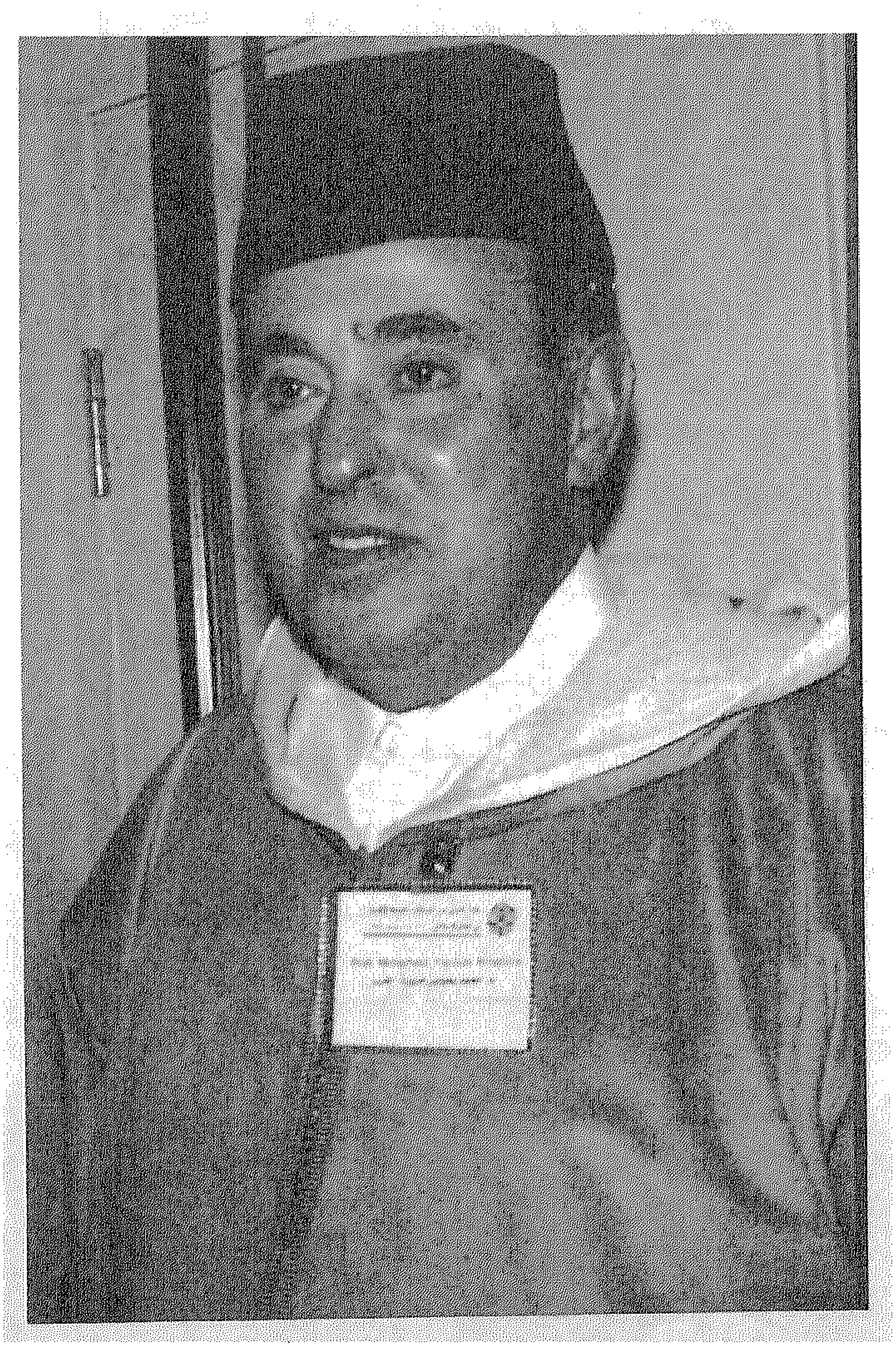

حاوره: محمد أحمد الشرقاوي
مصر

تمثل الحداثة الفلسفية الشاملة في العالم الغربي - والتي انتشرت في العالم الإسلامي كما يرسمها واقعها وفكرها وممارساتها- الصورة المنحرفة لسعي الإنسان إلى التغيير، وسعيه وراء الجديد، سعيا متفلتا من الإيمان والتوحيد، غارقا في ظلام الشرك والإلحاد، سعيا يجمع اليوم خبرة آلاف السنين في الانحراف والشذوذ، وطغيان الشهوة الجنسية، وسيطرة المخدرات، لتدفع هذه كلها، أو بعضها، ردود فعل نفسية عنيفة غير واعية، تظهر في الفكر والأدب والسلوك، في ثورة هائجة على سنن الله في الكون.

هذا ما أكده المفكر الإسلامي والأديب المغربي الدكتور محمد اليحياوي مصطفى في حوار مع مجلة «الأدب الإسلامي» حول إشكالات الفكر الإسلامي المعاصر، وقضايا الأدب الإسلامي (واقعه وآفاقه).. وفي البدء سألناه:

العلاقة مع الحرف والكلمة

❖ **ماذا عن البدايات؟**

كانت البداية في الطفولة حيث تعلمنا الحرف من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى ومن خلال سنة رسول الله ﷺ منذ نعومة أظافرنا وأول دراستنا، ولكن العلاقة مع الحرف والكلمة الأدبية بدأت في عام ١٩٥٩ عندما أخذت في نظم الشعر، ففي ديواني الأول «الأرض» ذيلت كل قصيدة بالتاريخ الذي نظمت فيه، وكان عمري حينئذ أربعة عشر عاما، ونمت هذه العلاقة واستمر نظم الشعر والرغبة في الدراسات الأدبية، وشجعني على ذلك أنه كان لدينا مكتبة ثرية فيها مخطوطات وكتب تراثية ودراسات أدبية حديثة، حيث حفظت العديد من قصائد شوقي وحافظ والبارودي والمتنبي وأبي تمام والبحتري وغيرهم.. ولعل المناخ العائلي أو البعد الوراثي له دور في تشكيل موهبتي الشعرية، فكثير من أجدادي كانوا شعراء، وترك بعضهم دواوين مخطوطة كنت أقرؤها وأنا صغير.

والعلاقة لم تقتصر على الأدب ودراسته، ولكنها امتدت - حسب دراستنا في دار المعلمين بفاس - إلى مجالات مختلفة من العلوم كعلم النفس والتربية وأصول التدريس واللغة اللاتينية والفلسفة والمنطق، بالإضافة إلى الدراسات العلمية والرياضيات ثم دراسة التخصص بعد ذلك في مصر وهو الهندسة.

والمحور الرئيسي أو الخط الأساسي في تجربتي الشعرية قضايا العالم الإسلامي وواقعه، فديوان «الأرض» مثلا في معظمه عن المغرب، وكذلك ديواني «ملحمة التحرير» وهناك دواوين أخرى مثل ديوان «الغرباء» وهناك قصائد طويلة مثل قصيدة «ملحمة التاريخ أو سقوط الخلافة» وتوجد قصائد قصيرة في الوصف والجمال والتأملات الفكرية والنفسانية والرثاء لمن أعرفهم معرفة حميمة، فقد رثيت ابني، كما رثيت الشيخ يحيى الغنوشي.

ومعظم كتبي التي صدرت، وعددها اثنان وثلاثون كتابا تعالج ثلاثة محاور رئيسية :

الأول: قضايا الفكر الإسلامي.

والثاني : التنظير للأدب الإسلامي وقضاياه، مثل كتاب «عالمية الأدب الإسلامي»و «إنسانية الأدب الإسلامي»، وكتاب «الحداثة في الأدب الإسلامي».

المحور الثالث: قضايا الواقع الإسلامي مثل: «أمراض الصحوة الإسلامية»، و «واقدساه»، و «فلسطين قضية الأمة».

المواهب المؤمنة

❖ **هل ترون أن لدينا طاقات أو مواهب إبداعية تستطيع أن تعطي واجهة أدبية إسلامية تستوعب تعقيدات وقضايا العصر، وتصوغها صياغة فنية، وتقدمها على أنها أدب يرفع لواء فكرة الأدب الإسلامي؟**

أعتقد أن المواهب والطاقات موجودة ومتوافرة، ولكنها تنقصها أشياء محددة، منها الرعاية، فالحق أن مواهبنا متجاهلة ومنسية، وربما تموت الموهبة وتدفن قبل أن تتفتح، لأنها لا تجد الرعاية التي تجدها الموهبة غير الإيمانية، كما أن المناخ العام السائد في عالمنا الإسلامي من صراعات وتمزقات ونزاعات يفقد الموهبة المؤمنة فرصة الظهور.. كما أن العديد من المواهب المؤمنة نفسها ينقصها التزود التام من الزاد الحقيقي الذي ينميها ويفجرها والمتمثل في القرآن والسنة، فتراها تتأثر بروافد الآداب الغربية مما يترك بصماتها على إنتاجهم، ولو أنهم نموا وبنوا أنفسهم من خلال القرآن والسنة النبوية وتشبعوا بالتصور الإسلامي الشامل والصحيح، لتفتحت مواهبهم على عطاء ضخم وجيد، ونستطيع أن نرفعه إلى مستوى الآداب العالمية، وأنا أقول: إن في الأدب الإسلامي القديم كشعر عبدالله بن رواحة وشعر جعفر بن أبي طالب وهو قليل، وشعر حسان بن ثابت وكثير من شعر عصرنا الحديث، ما يرتقي إلى أعلى المستويات الأدبية العالمية، وقد أتيحت لي دراسة الأدب الإنجليزي من أيام تشوسر إلى نهاية القرن الثامن عشر فلم أجد في هذا الأدب ما يوازي هذا المستوى من الأدب الإسلامي الذي يربط الدنيا بالآخرة، وتسود فيه الروح الإنسانية المطيعة لله تعالى، ويمجد قيم الخير والحق التي تسمو بالإنسانية وتخدم البشرية جمعاء، وهذا ما لا نجده في الآداب الأخرى.

التفلت من الإيمان

❖ «الحداثة» من القضايا التي تثير في واقعنا الفكري والأدبي الكثير من الجدل والصخب، ولكم اهتمام خاص بها، حيث قدمتم أكثر من دراسة عالجتم فيها هذه الإشكالية، فما خلاصة رأيكم فيها؟

إنني أرفض الحداثة القائمة في واقعنا اليوم، وأعتبرها جزءاً من القوى التي تهدم في واقعنا ومجتمعاتنا الإسلامية، لأن الأفكار التي تدعو إليها ليست نابعة من واقعنا، كما أنها لا تلبي حاجة من حاجات هذا الواقع.. فالذين يطلقون على أنفسهم (حداثيين) نقلوا أفكارهم نقلا دقيقا عن رعاتها في الغرب (فرنسا وإنجلترا وأمريكا وروسيا) وأثبت ذلك في دراساتي، وأوضحت كيف أن نصوص هؤلاء تطابقت مع نصوص الدعاة الأوربيين حرفا بحرف وكلمة بكلمة.

ومما نلحظه بوضوح غياب التصور الإيماني والتوحيد عن كل أنشطة الحداثة وميادينها، ومحاربتها لهذا النهج وللاتجاه الديني عامة بإصرار وإجماع وعنف، ومن خصائصها أيضاً تبدل الآلهة التي نصبوها: العقل، العلم، الطبيعة، الإنسان، ومختلف الأهواء والشهوات، وذلك بأخذ جزئية في الحياة من خلال عالم محدود، وزمن محدود، وبيئة محدودة، ليجعلوا منها حقا مطلقا بادعائهم، ثم لا يلبث أن ينهار ادعاؤهم، أو يبدل، فتنهار معها أطر ونماذج وآلهة، من خلال هوى يسيطر سرعان ما يغلبه هوى آخر، وقد ولد هذا الانهيار للأطر والنظم صدمات نفسية عميقة لدى بعض المفكرين وبعض الناس وأورثت هذه الصدمات لدى آخرين شكا وحيرة، وقلقا واضطرابا، وتوترا وحمى، وانصب ذلك كله بصورة رئيسية على الدين واللغة، والمؤسسات والعادات، والأرحام والروابط والصلات، والأسرة والبيت.

وأورث ذلك كبرا وغرورا في الفكر، وحيرة وشكا في العلوم، فاندفعوا إلى غموض كثيف يخفون به ما يعانون من كبر وحيرة وقلق، كما أورث هذا كله انحلالا خلقيا وتفلتا كبيرا، تغذيه الحرية الفردية التي لا تعترف بضوابط.

فالحداثة الفلسفية الشاملة في العالم الغربي والتي انتشرت في العالم الإسلامي، كما يرسمها واقعها وفكرها وممارساتها، تمثل الصورة المنحرفة لسعي الإنسان إلى التغيير، وسعيه وراء الجديد، سعيا متفلتا من الإيمان والتوحيد، غارقا في ظلام الشرك والإلحاد سعيا يجمع اليوم خبرة آلاف السنين، غارقا في ظلام الشرك والشذوذ، والأمراض النفسانية والعصبية، والشر والفساد في الأرض. وحتى يستمر النهج ذاته، وتمضي الخصائص ذاتها، في سيرة جديدة تحاول محاولة غير صادقة التخلص من تبعة سيئات الماضي، فقد طلعت موجة جديدة أسموها «ما بعد الحداثة»

> ☆ البشرية كلها في أمس الحاجة إلى أدب إسلامي.

تحديد المصطلح

❖ إشكالية «المصطلح» واحدة من الإشكالات التي تعانيها حياتنا الثقافية بشكل عام والأدب الإسلامي بشكل خاص، فما زلنا نردد كثيرا من المصطلحات الوافدة علينا، وهي مصطلحات تحمل خلفيات فكرية وفلسفية من الأرضيات الثقافية التي نبتت فيها، فمن وجهة نظركم كيف نتغلب على هذه الإشكالية؟

نحن في أمس الحاجة إلى المصطلحات التي نتفق عليها، فأي مجموعة من الناس أو حركة ثقافية لا يصدق التفاهم بينها إذا كانت المصطلحات المتداولة غير متفق عليها، وإلا سيصبح لكل واحد مفهومه الخاص، ويتحول الحوار بين الناس إلى حوار الطرشان.

ففي جميع أوجه النشاط البشري لا بد من تحديد المصطلح، ونحن في الأدب الإسلامي وفي الفكر الإسلامي وفي واقعنا الثقافي بشكل عام بحاجة إلى تحديد المصطلحات، لأن هناك مصطلحات باطلة وخاطئة ومرفوضة، فمثلا كلمة «الاستعمار» نستعملها لندل على عمل ظالم ترجمة

لكلمة Colonization الإنجليزية، بينما كلمة الاستعمار وردت في كتاب الله بمعنى آخر مختلف تماما عن هذا المعنى: أو بقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦٠﴾﴾ (هود)، «واستعمركم فيها» أي طلب منكم عمارتها، فكلمة الاستعمار تمثل عملا رئيسيا في الأمانة التي يحملها الإنسان على الأرض، وبذلك نحن قلبنا هذا المعنى الضخم العظيم وحولناه إلى معنى الظلم، وكذلك مصطلح «الملحمة».. ذو الدلالات العظيمة أعطيناه المعنى اليوناني الفاسد.

ومن هنا فنحن في حاجة إلى تحديد المصطلحات المتداولة، وقد حاولت كمبادرة ذاتية أن أحدد المصطلحات في كتابي «الأدب الإسلامي وعالميته» لأنني وجدت أن كلمة «الشكل» مثلا يستعملها الأدباء كل حسب مفهومه المختلف عن مفهوم الآخر، ولذلك وضعت لها مفهوما لا أدعي أنه المفهوم المحدد الذي يجب أن يخضع له الجميع، ولكن أردت أن أوقظ وأنبه إلى ضرورة تحديد المصطلح باعتبار ذلك قضية أساسية في الأدب الإسلامي.

التوازن المفقود

❖ هل في الإمكان القول: إن الأدب الإسلامي ضرورة لإعادة التوازن داخل الفرد والمجتمع والعالم الآن؟

نعم، فهذه حقيقة، لأن الأدب الإسلامي جزء لا ينفصل عن الإسلام والدعوة الإسلامية كما أفهمه، فالأدب الإسلامي له مهمة حقيقية في واقع الأمة المسلمة وواقع الإنسان في كل مكان على ظهر الأرض، وأؤمن أن البشرية كلها في أمس الحاجة اليوم إلى الإسلام وإلى آداب الإسلام لتحيي الإنسان على الأرض وتسعده، وتقدم له الخير الحقيقي بدلا من الكذب والدجل والزخرف الكاذب الذي تقدمه الحضارة الغربية المادية اللادينية وآدابها.

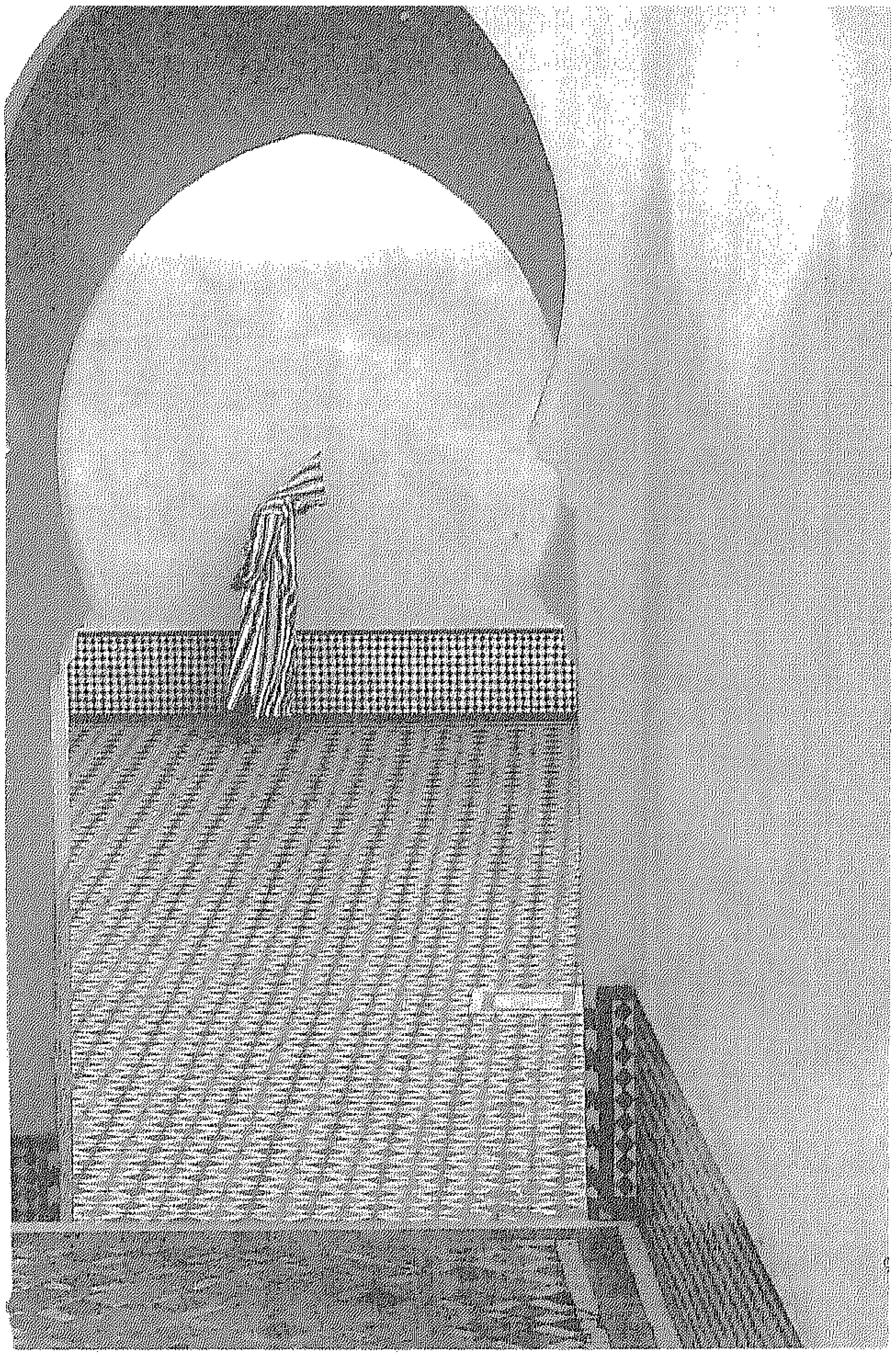

❖ هناك من يقول: إن الأدب الإسلامي ليس في حاجة إلى التنظير بقدر حاجته إلى المزيد من التجارب الإبداعية والممارسة والنتاج الأدبي التي تجسد مفاهيمه في الواقع. فما تقويمكم لحركة الإبداع الأدبي الإسلامي في عالمنا العربي والإسلامي الآن؟

أعتقد أن هناك جهودا طيبة مباركة، لا أقول إنها نضجت النضج الكامل، وأنا لا أستطيع أن أقومها لتشعب مجالاتها، ولكنني سأنطلق من تصوري للشعر بحكم أنه الميدان الذي أخوضه وأدرسه، فتوجد جهود تنبئ عن مستقبل طيب إن شاء الله،ولكنها تحتاج - كما ذكرت - إلى رعاية وتوجيه، إلا أن النظرية الأدبية الإسلامية قد لا تكون استقرت حتى الآن، فهناك بعض عناصر النظرية التي تموج هنا وهناك، وتدور حولها خلافات بين الأدباء الإسلاميين وداخل رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ربما مع الأيام تستقر، وبالنسبة لي فأنا أنطلق من نظرية وتصور للأدب الإسلامي وللجمال والإبداع وولادة النص عبرت عنها الدراسات التي كتبتها، وأحاول أن يكون إبداعي ونتاجي تطبيقا عمليا للنظرية التي أؤمن بها ■

يا هند..!

شعر: عبدالسلام كامل عبدالسلام*
السودان

ألهمتني قصة معركة ذي قار وما كان من انتصار العرب في جاهليتهم على الفرس مع قوتهم التي لا تهزم وما كان من موقف هند بنت النعمان ابن المنذر في تلك المعركة، وموقفها في الفتح الإسلامي وهي تستقبل جيش خالد بن الوليد، ألهمتني هذه القصيدة.. فمن للعرب الجدد والمسلمين؟

يا هند يا بنت الذين أحبهم..
أهلي الأشاوس من بني قحطان أوعدنان أو أرض العراقْ
يا هند يا دمعا ترقرق في الخدود.. وفي الخطوب دمًا يُراقْ
ويسيل من تلك اللحاظ المغرقات من الشجونْ
تصطك منك مسامعٌ خوفاً من الهول العنيد.. من الجنونْ
يا بنت نعمان الذي لم يرض قتل بناته
إذ هن تحت العلج.. أيا من يكونْ
يا هندُ..
دُقي الدفوف مع النساء الجازعاتْ..
دُقي على لحن المنونْ
دُقي.. فلا ليل يجيء، بلى، ولا علج ينالْ
أتصير بنت الليث نهباً للثعالب والضباعْ؟
أو تُشترى بنت الملوك البكر في سوق النخاسة والمذلة والخبالْ؟
هذا الشموخ الضخم ليس يباع في سوق الضلالْ
دقي.. على نغم البسالة والشهامة والرجولة والجلالْ
دقي فتهتز الرقاب.. تُطيح أعناق الرجالْ
أقسمت! ليس ينالك العلج اللئيم.. لن يطالْ
يا هند.. ها(ذي قار) عائدة ونحن بها نعودْ

---

* تلفزيون السودان، أم درمان.

جئنا إليك على العوادي المورياتْ

يضبحن في ثبج الليالي السود بحثاً عن إجابات السؤالْ

أو نحن يا هند العظيمة بعض أمزجة (الرجال)؟

ويعود نور العز في عينيك متشحاً بتيجان الفخارْ

اليوم أرفل من جديد في ثياب من عفافْ

اليوم أعلن: لن أخاف ولن أخاف ولن أخافْ

ونعود يا بكر العزيزة للبقاءْ

في الحيرة.. البحر المدجج بالرجالْ

في صادق الفتيان من شيبان.. من أسد القتالْ

في صادق الإيمان من قلب تقيد بالحدودْ

من خالد المغوار والأصحاب.. في جيش جديدْ

جيش تؤازره الملائك بالدعاء وبالحديدْ

جبريل روح الله ناصره فما نصر بعيدْ

وأنا أراك اليوم يا هند العجوزُ

على العصا تتوكئينْ

تتذكرين الموقف الماضي وفي العين الدموعْ

أيام كنت البكرة الحسناء والفرس الشموسْ

تتذكرين الفارس المدعوس تحت الفيل..

يأبى يذل بناته الأبكار تحت العلجِ.. أيّاً من يكونْ

تتذكرين القائد المغوار مسعودا وأبناء المنونْ

وتذكرين الغاضب المذهول أن العربَ.. كلّ العرب ترفض أن تهانْ

من ذا يقول له: انتبه.. يأبى ينالَ بناتِه ذلُّ العلوج؟

يا هند.. هيا قهقهي.. وتذكري ما كان من ماض تجدد في الزمانْ

ماض أذل أنوف كل الظالمينْ

أترى يعود؟ أترى يعودْ؟

وقفة مع الذات

لغة خطابنا العلمي: «نحن» و «الآخر»

عندما قررنا في أكاديمية أوكسفورد للدراسات العليا البدء بتدريس مادة «لغة الخطاب في البحث العلمي» لطلاب الماجستير والدكتوراه على السواء، اجتمعت مع عميد الأكاديمية للشؤون العلمية البروفيسور «هيرمان بل» الذي تقرر أن يشاركني في تدريس هذا الموضوع، وسألته عن المصادر التي سيعتمد عليها في تدريس موضوع كهذا لم يسبق - فيما أعلم - أن خصته جامعة أو معهدٌ بالتدريس مستقلاً عن مادة مناهج البحث ولكنه فاجأني حين قدم لي قائمة بأسماء أكثر من عشرين كتاباً بالإنجليزية كلها بعنوان «لغة البحث العلمي» أو قريباً من هذا العنوان.

كنت سعيداً بوجود هذا العدد الضخم من المراجع للمادة لأنها ستكون خير عون لنا على ارتياد هذه الطريق البكر في تدريس لغة الخطاب، بقدر ما كنت متألماً لأن كتاباً واحداً - فيما أعلم - لم يوضع حتى الآن في هذا الموضوع باللغة العربية.

إنه ولاشك فراغٌ خطيرٌ في صندوق عُدة طلابنا الذين يمارسون كتابة البحث العلمي، سواء لنيل الدرجة الجامعية الأولى، أو ممن يعملون للتحضير لدرجة في الدراسات العليا. فراغٌ شعرت بضخامته، وأنا أعايش مشكلات طلابنا في أكاديمية أوكسفورد، وكثيرٌ منهم ينتمي إلى بلدان عربية وإسلامية، وكثيرٌ من هؤلاء يخلو، أو يكاد، من أبسط الخلفيات عن شروط ومواصفات اللغة العالمية للبحث العلمي.

بقلم: د. أحمد بسام ساعي
إنكلترا

ولكن الأدهى من هذا أن

* رئيس أكاديمية أوكسفورد للدراسات العليا (سابقاً)

عدداً كبيراً من هؤلاء الطلبة بدوا مصرين، وهم الآن في أكسفورد، على كتابة البحث بلغتهم المحلية، ويرون مخالفتها ضرباً من العبث أو الخروج على قواعد الكتابة التي شبوا، وربما شابوا، عليها. إن كثيراً منهم تجاوز الثلاثين أو الأربعين، ومارس الكتابة والتأليف لزمن طويل، ومع هذا فبينه وبين اللغة العالمية للبحث العلمي هوة سحيقة يصعب ردمها أو ترميمها.

لقد قطع البحث الجامعي في الغرب أشواطاً بعيدة في إنضاج لغته ووضعها على مسارها الصحيح في خط الموضوعية، حتى بدت الفجوة بينه وبين نظيره العربي أوسع من أن تجبر، فاللغة السائدة في معظم بحوثنا الجامعية ما تزال منطوية على تقاليدها ومحليتها، وغير قادرة على تجاوز حدود وطنها لإسماع صوتها للعالم.

هذا لا يعني من جهة أخرى، أن ما ينطبق على الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، أو أي لغة أخرى يمكن تطبيقه على العربية. فاختلاف طبيعة اللغة، واختلاف ثقافة أهلها وفلسفتهم وعقائدهم وبيئتهم الزمانية والمكانية لابد أن ينعكس على لغة الخطاب العلمي عندهم مهما توخينا الحذر في ذلك، فلكل لغة طبيعتها وخصائصها المتميزة وطرائقها في التعبير كما يقرر جون سويلز في مقدمة كتابه (تحليل الأجناس

جون سويلز

الأدبية: الإنجليزية في المحيط العلمي والبحثي)[1].

كما أن هذا لا يعني عدم وجود ثغرات خطيرة في ميكانيكية البحث عند الأكاديميين في الجامعات الغربية، ولا سيما حين يتعلق البحث بالحضارة العربية أو الإسلامية بشكل عام، والنماذج أمامنا كثيرة في لجوء بعض المشرفين الغربيين إلى ممارسة ضغوط مجحفة على طلابهم، في مجال الدراسات العربية والإسلامية، لتحريف بعض الحقائق التي تخالف فلسفة الغرب وعقائده السياسية والاقتصادية والثقافية.

ومن خلال تجربتي مع طلبة دراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي في أوكسفورد أميل الآن إلى الاعتقاد بأن العامل الأساسي في تعثر لغة الخطاب في البحث العلمي العربي هو انطلاق الباحثين من زاوية واحدة ينظرون منها إلى العالم، هي الزاوية الإقليمية أو المحلية العربية أو الإسلامية، بغض النظر عن القارئ المحتمل لما يكتبون.

هذه النزعة «النحْنُويّة» - قياساً إلى «أنانية» - تسيطر على أقلامنا بشكل سحري نكاد نظن معه أن العالم كله عربي أو مسلم، فنحن، من هذه الزاوية المهيمنة، لا نرى إلا وجوهنا، ومن ثم لا نخاطب إلا أنفسنا، وننسى أننا نكتب بحثاً من المفترض أن يكون «علمياً» أو «عالمياً» أي للعالم أجمع وليس لجمهور واحد أو بضعة أقطار عربية أو إسلامية.

وتسيطر هذه النزعة، بوجوهها المختلفة، على حياتنا، وتتخلل جوانب تفكيرنا الأدبي والاجتماعي والسياسي والديني فتتخذ في الواقع مظاهر خارجية شتى ولكن الجوهر يبقى واحداً: النحنُويّة.

وفي أوائل السبعينيات ظهر للمهندس المصري الراحل عبدالرزاق نوفل كتاب «الإعجاز العددي في القرآن الكريم» وقد كشف فيه لأول مرة عن ظاهرة الثنائية اللفظية العجيبة في القرآن الكريم، وذلك في عملية إحصائية استغرقت ثلاثة أجزاء صغيرة، وأثبت فيها أن كثيراً من ألفاظ القرآن تتساوى في العدد مع أضدادها فيه، فعدد ألفاظ الليل مثلاً بعدد ألفاظ النهار، وعدد ألفاظ الشياطين بعدد ألفاظ الملائكة، وهكذا.. والأغرب من هذا وجود حقائق عددية كانت مفاجأة

لنا جميعاً منها أن اللفظ (شهر) يرد ١٢ مرة في القرآن، واللفظ (يوم) يرد ٣٦٥ مرة، ومثل هذا كثير، مما يؤكد، ويوضح، معنى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر: ٢٣).

لقد كانت ردة فعل بعض علمائنا على ظهور الكتاب هجوماً عنيفاً على المؤلف لأنه «تجرأ» وألف في موضوع «لا يهم أحداً» كما قالوا «فنحن لا نحتاج إلى من يثبت لنا إعجاز القرآن في الأرقام أو غيرها، لأننا مؤمنون ومقتنعون بإعجازه من غير كل هذه الأرقام، وهذه المحاولات إن دلت على شيء فعلى ضعف إيمان من يأتي بها أو يحاولها؟»!!

هذا الموقف يلخص، وربما يحسم، تلك «النحنوية» التي أتحدث عنها، فما دمنا مؤمنين ومسلمين، وما دمنا قد ضمنا الجنة لأنفسنا، فماذا يهمنا من أمر الآخرين، اقتنعوا بإعجاز القرآن الكريم أم لم يقتنعوا، المهم أننا مسلمون وكفى، وليذهب الآخرون إلى الجحيم..

إن عنصر «النحن» في ذواتنا يغطي غالباً «الموضوع» فيها، فننظر إلى كل شيء حولنا من

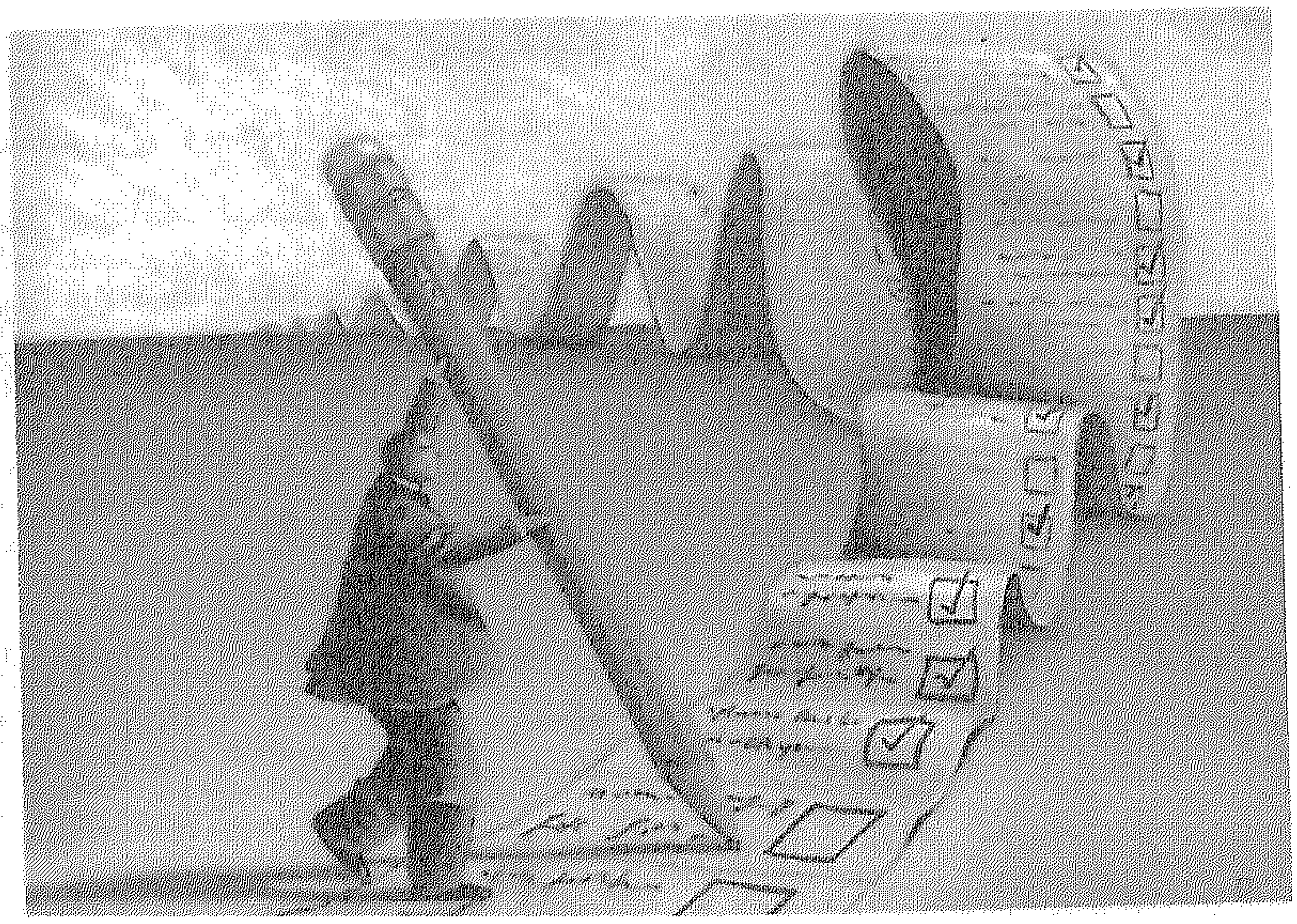

خلال «الذات» وليس من خلال «الموضوع». وهكذا تفقد أحكامنا استقلاليتها وعدالتها وشمولها، ومن ثم مصداقيتها فتسقط ضعيفة مهيضة الجناح عند أعتاب الآخرين.

ورسوخ هذه «النحنوية» في شعورنا الداخلي ينعكس على كثير من أحكامنا وقراراتنا وتصرفاتنا، وكذلك على لغة خطابنا، فيسودها الإنشائية والانفعال والخطابية والمبالغات والتعميم والصوت المرتفع ورفض الآخر والتسرع في إصدار الأحكام وعدم التوثيق، وهي جميعاً خصائص نموذجية للخروج بقطار الحقيقة والموضوعية عن خطه، وهما أبرز وأشرف ما يسعى البحث العلمي إلى تحقيقه:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن كيس فطن حذر وقاف مثبت لا يعجل..» (رواه الديلمي).

حتى أولئك الباحثون المحترمون، خارج سلك البحث الجامعي، الذين عملوا في مجال التأليف لعقود عديدة من السنين، لا يسلم كثير منهم من السقوط في الشبكة العنكبوتية القاتلة لـ«النحن» فلا يقرؤون أنفسهم بعيون الآخرين ليحكموا على كتاباتهم قبل أن يحكم عليها أولئك القراء، وهم يرونهم فريسة للخطابية والإنشائية والانفعال والصوت المرتفع، وهي العدو الألد للباحث العلمي في الموضوعات الإنسانية.

وأمامي الآن، من مكتبتي الخاصة خمسة كتب لم أتأن كثيراً في اختيارها فمكتبتنا العربية تحفل بهذه النماذج، وهي تحمل العناوين التالية:

١ - لا إلحاد بعد اليوم: حول رموز القرآن الكريم.

٢ - الإسلام هو الحل.

٣ – المستشرقون والعملاء الجدد: دراسات عن الاستشراق في الدول الإسلامية اليوم.
٤ – هكذا كانوا يوم كنا.
٥ – الكتاب والقرآن.

الكتاب الأول يتألف من عنوانين: كبير: لا إلحاد بعد اليوم، وصغير: حول رموز القرآن الكريم، أما الأول فأشبه بهتاف يردده أحد الشباب في مظاهرة ضد الإلحاد فيردد وراءه الآخرون بحماسة لا تقل عن حماسته: «لا إلحاد بعد اليوم». إنه أجدر بأن يكون شعاراً في احتفال شعبي أو مظاهرة في الشارع من أن يكون عنواناً لكتاب علمي يتحدث عن رموز القرآن وعن دلالتها الإعجازية على وجود الله ووحدانيته. لقد كان أولى بالمؤلف أن يكتفي بالعنوان الصغير (حول رموز القرآن الكريم) أو أن يأتي بعنوان آخر أكثر موضوعية لو أراد أن يحتفظ لكتابه بأبسط شروط المظهر العلمي.

أما الكتاب الثاني فقد كان القرار عند المؤلف جاهزاً وواضحاً منذ البداية: أعلم أيها القارئ أن: «الإسلام هو الحل». وسأحاول في هذا الكتاب أن أبرهن لك على ما أقول. وهكذا طرح المؤلف أمامنا نتيجة البحث قبل أن يبدأ بالعمل، وبدلاً من أن يكون القرار هو الذي يأتي نتيجة للبحث سيأتي بحثه– على العكس– نتيجة لإيمانه بصحة هذا القرار المسبق، وإذن فلم يتعب القارئ ويقرأ الكتاب ما دام قرار المحكمة قد صدر قبل أن يصل الموضوع إلى قاعة المحكمة؟!

والكتاب الثالث يحمل، مرة أخرى عنوانين: كبيراً: (المستشرقون والعملاء الجدد) وصغيراً: (دراسات الاستشراق في الدول الإسلامية اليوم). أما الكبير فيحمل بذور موته في رحمه. فاللفظ (عملاء) الذي أطلقه المؤلف فيه على تلك الطبقة – الظل من المستشرقين، أو لنقل: المتغربين من المسلمين الذين يقومون بدور لا يقل خطورة وأذى عن دور المستشرقين، هذا اللفظ لخص موقف المؤلف من هؤلاء منذ البداية، فالحكم قد صدر بحقهم، ثم بعد ذلك يمكن أن نناقش قضيتهم، على ألا تؤدي هذه المناقشة إلى تغيير الحكم الصادر بحقهم.

ولو أن المؤلف اكتفى بالعنوان ذي الأحرف الصغيرة: دراسات عن الاستشراق في الدول الإسلامية اليوم، لحقق منذ البداية شروط القاضي العادل، إذا كان الباحث العلمي حقاً بمثابة قاض يفصل بعدالة في القضايا التي بين يديه.

أما العنوان الرابع (هكذا كانوا يوم كنا) فتظهر (نحن) فيه بشكل جلي وسافر: إن المؤلف يطلقهاشتيمة منذ البداية بحق أولئك الذين «كانوا» يوماً في الدرك الأسفل من الحضارة، حين «كنا» نقود العالم بأخلاقيتنا وعلومنا وتفوقنا. حتى في شروط الخطبة، وما أبعد طبيعة الخطبة عن طبيعة البحث العلمي، لا تقبل هذه الإهانة للآخر، ولا الاعتزاز بالنفس أو الـ(نحن) أمام الآخر.

فإذا ما توغلنا داخل آخر كتاب من هذه الكتب «النماذج» (الكتاب والقرآن) طالعتنا فيه الأحكام القاطعة والجزم بما لم يثبت، ولا يمكن أن يثبت، لأن الموضوع ببساطة، ليس في حقل الرياضيات أو الفيزياء أو الهندسة أو الطب، وإنما في حقل محض إنساني بل غيبي، وغاية المؤلف منه هي التفريق بين معنى (الكتاب) ومعنى (القرآن) ومن ثم تجزئة القرآن الكريم، وبشكل خطير، إلى جزأين: مفروض على الناس، وغير مفروض، ويكفي لتوضيح هذه النزعة القطعية الغريبة فيه الوقوف عند المقتطفات التالية:

– «وإذا فرزنا مجموعة الآيات المحكمات على حدة، فما تبقى من آيات القرآن بعد ذلك هي كتابان أيضاً، وهما: الكتاب المتشابه، وكتاب آخر لا محكم ولا متشابه، وهذا الكتاب الآخر يُستنتج من قوله تعالى: ﴿وأخر متشابهات﴾ حيث لم يقل: والآخر متشابهات، فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث لا محكم ولا متشابه، وقد أعطى لهذه الآيات مصطلحاً خاصاً بها في سورة يونس، وهو (تفصيل الكتاب).

- فالكتاب المتشابه هو كل آيات الكتاب ما عدا آيات الأحكام، الرسالة، وما عدا آيات تفصيل الكتاب. وهذا الكتاب المتشابه هو مجموعة الحقائق التي أعطاها الله إلى النبي ﷺ والتي كانت في معظمها غيبيات أي غائبة عن الوعي الإنساني عند نزول الكتاب والتي تشكل نبوة محمد ﷺ .. فإذا أخذنا الكتاب المتشابه، أي آيات المصحف ماعدا الأحكام وتفصيل الكتاب، نرى أنها تتألف من كتابين رئيسيين وردا في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر): الكتاب الأول: سبعاً من المثاني. الكتاب الثاني: القرآن العظيم.

- نلاحظ أنه عندما ذكر الكتاب قال ﴿هدى للمتقين﴾ لأن في الكتاب أحكام العبادات والمعاملات والأخلاق، أي فيه التقوى بالإضافة إلى القرآن. وعندما ذكر القرآن قال: ﴿هدى للناس﴾ ولفظة الناس تشمل المتقين وغير المتقين. فالمتقون من الناس، ولكن ليس كل الناس من المتقين وهذا وحده يوجب أن نميز بين الكتاب والقرآن.

- فأول ما جاء لفظ «الفرقان» لموسى عليه السلام وجاء معه الكتاب، أي أن الفرقان جاء إلى موسى على حدة وجاء الكتاب على حدة، فَفُرِّقا عن بعضهما. وهذا الفرقان قال عنه في سورة آل عمران[٢]. إن الفرقان والتوراة والإنجيل أنزلت قبل أن يأتي الكتاب إلى النبي ﷺ، ثم إن الفرقان الذي أنزل على موسى هو نفسه الذي أنزل على النبي ﷺ في رمضان ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ...** ﴿١٨٥﴾﴾ (البقرة). وبما أن الفرقان جاء معطوفاً على القرآن يستنتج أن الفرقان غير القرآن، وهو جزء من أم الكتاب، الرسالة، وأُنزل ونُزِّل في رمضان. وهذا الجزء أول ما أنزل إلى موسى عليه السلام..».

مجموعة من القرارات النهائية والأحكام القاطعة والاستنتاجات السريعة المبنية على احتمالات تلو الاحتمالات، ثم يأبى المؤلف أن يسميها باسمها «احتمالات» فيعطيها صفة القطعية والمسلمات، ويبني على هذه المسلَّمات «مسلَّمات» أخرى هي أيضاً لا تعدو مجرد احتمالات، أو لا احتمال فيها على الإطلاق، وهذا شأنه في سائر الكتاب[٣].

وهكذا تضيع الحقائق في كثير من أصواتنا وبحوثنا بين خِضمّ من «اليقينيات» المبنية على خِضمّ من «الاحتمالات» الرملية التي لا تقف طويلاً أمام أول موجة تمسها من النقد العلمي الحصيف.

والغريب أن معظم باحثينا العرب والمسلمين لم يستفيدوا من المنهجية العالية التي التزم بها أسلافهم من المؤلفين والباحثين في مختلف العلوم، ولاسيما علوم الحديث والفقه واللغة والتاريخ، وابتعدوا عن المنهج النبوي، أو لنقل: الإسلامي، في البحث وقد سن صاحبه ﷺ لمن يسلكه تحري الصدق، وتوثيق الخبر قبل نشره وإذاعته:

- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس مطية الرجل: زعموا» (رواه أحمد).

- عن حفص بن عاصم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» (رواه مسلم).

ولم يستفيدوا من المنهج الإسلامي في دعوته إلى تجنب التعميم وألا يؤخذ المجموع بالفرد والعام وبالخاص:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها» (رواه ابن ماجة والبيهقي).

وكذلك دعوته إلى اعتماد الاستثناء منهجاً لنا في كل أحاديثنا وأحكامنا:

- «إن من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه» (رواه الطبراني).

الحق أن خير نموذج رائد لهذا الجانب الموضوعي هو لغة الخطاب في القرآن الكريم ويظهر هذا واضحاً في عشرات من المواضيع، منها على

سبيل المثال لا الحصر، هذه الآيات وقد أشرنا لموضع الشاهد في كل منها بخط تحته:

- ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ...﴾ (٢١٩) (البقرة).

- ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ...﴾ (٦٩) (آل عمران).

- ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ...﴾ (٧٥) (آل عمران).

- ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب..﴾ (٧٨) (آل عمران).

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ (١٠٠) (آل عمران).

- ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ...﴾ (٤٦) (النساء).

﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ (٥٩) (المائدة).

- ﴿...وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا...﴾ (٦٤) (المائدة).

- ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (٦٦) (المائدة).

- ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ (١٤) (المائدة).

- ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ (١١٦) (الأعراف).

- ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (١٥٩) (الأعراف).

- ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ...﴾ (١٦٨) (الأعراف).

- ﴿أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ (٧٠) (المؤمنون).

- ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ (١٥) (النمل).

- ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ...﴾ (٣٤) (التوبة).

- ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ (١١٣) (الصافات).

- ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد

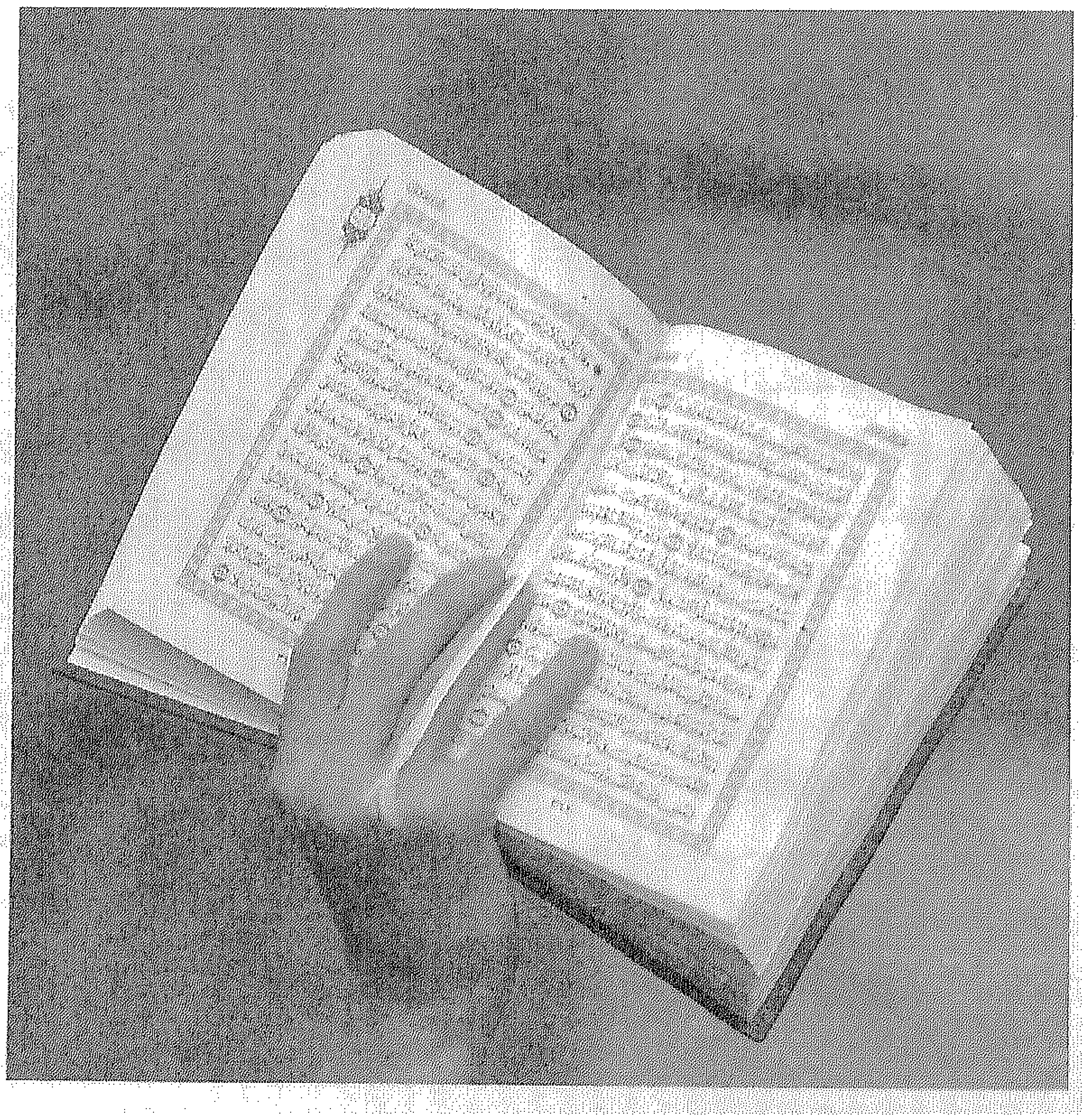

لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ (الزمر).

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ (الزخرف).

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (الحجرات).

- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ... ﴿٧﴾ (الحجرات).

وعلى العكس تماماً، ترزح الحقائق في كثير من بحوثنا، ومنها البحث الجامعي أيضاً، تحت جبال من التعميم المخيف، فلا يوجد استثناءات أو حالات خاصة، ولا موضع للاحتمال أو الخطأ، وهو أمر بدأنا نشعر بأهميته وخطورته عندما هبت عاصفة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر فحملت عدوى هذا المرض معها باتجاه الغرب، وقد غدا، عند بعض قادته على الأقل أشد تعميماً من الشرق وهو يتهم أكثر من بليون مسلم بالإرهاب من أجل بضعة متطرفين خرجوا عن طورهم الإنساني لأسباب لم يعطها الغرب بعد حقها الموضوعي من الدراسة والتأمل والبحث.

ومع اجتماع هذه العلل والأمراض في جسد بحوثنا وكتاباتنا، فقدت هذه البحوث مصداقيتها لدى الآخر، فلم تعد المؤلفات العربية عنده ذات قيمة علمية - على عكس موقفه من مؤلفاتنا القديمة التي ما تزال تحتفظ لدى الغرب بمصداقية عالية - وهذا يفسر ندرة البحوث الجامعية العربية التي تُرجمت إلى اللغات الأوروبية، وقد زهد الغرب بها وبمصداقيتها.

ولقد انعكست هذه الحقيقة على موقفنا نحن العرب من بحوثنا التي تُكتب بالعربية، حتى إن كتبت بإشراف غربي ومُنحت درجات جامعية غربية، وهذا يفسر رفض معظم الجامعات العربية لطلابها المبتعثين للدراسة في الغرب أن يكتبوا بحوثهم باللغة العربية، حتى إن كانت هذه البحوث في حقل آداب اللغة العربية وعلومها من نحو أو صرف أو بلاغة، وكأن العربية قد أضحت وعاء للضعف والفكر غير العلمي، وأداة للخطاب العاطفي والإنشائي والمبالغات والبعد عن الموضوعية والتوثيق.

ومن العدل أن نعترف بأن العرب مجبولون بطبيعتهم كمعظم الشرقيين، على لغة المبالغة والخطابية والإغراق في العواطف وارتفاع الصوت والتعميم والقطع بالأحكام، خلافاً لمعظم الأمم الغربية، ولابد أن نضع هذا في حسابنا عندما نحاسبهم أو نحاسب اللغة العربية على ذلك.

ولكن إلى أي حد يرخص للعربي «بممارسة عروبته» في لغة البحث، في عصر تقاربت فيه الأمم واللغات والثقافات والمسافات، ولم يبق إلا مساحة بسيطة للتمايز الثقافي بين هذه الأمم؟

على أن الخطر الأكبر في لغة بحوثنا العلمية، وسيظل هو الأخطر لفترة طويلة على الأغلب، هو انعدام عملية استحضار الغائب

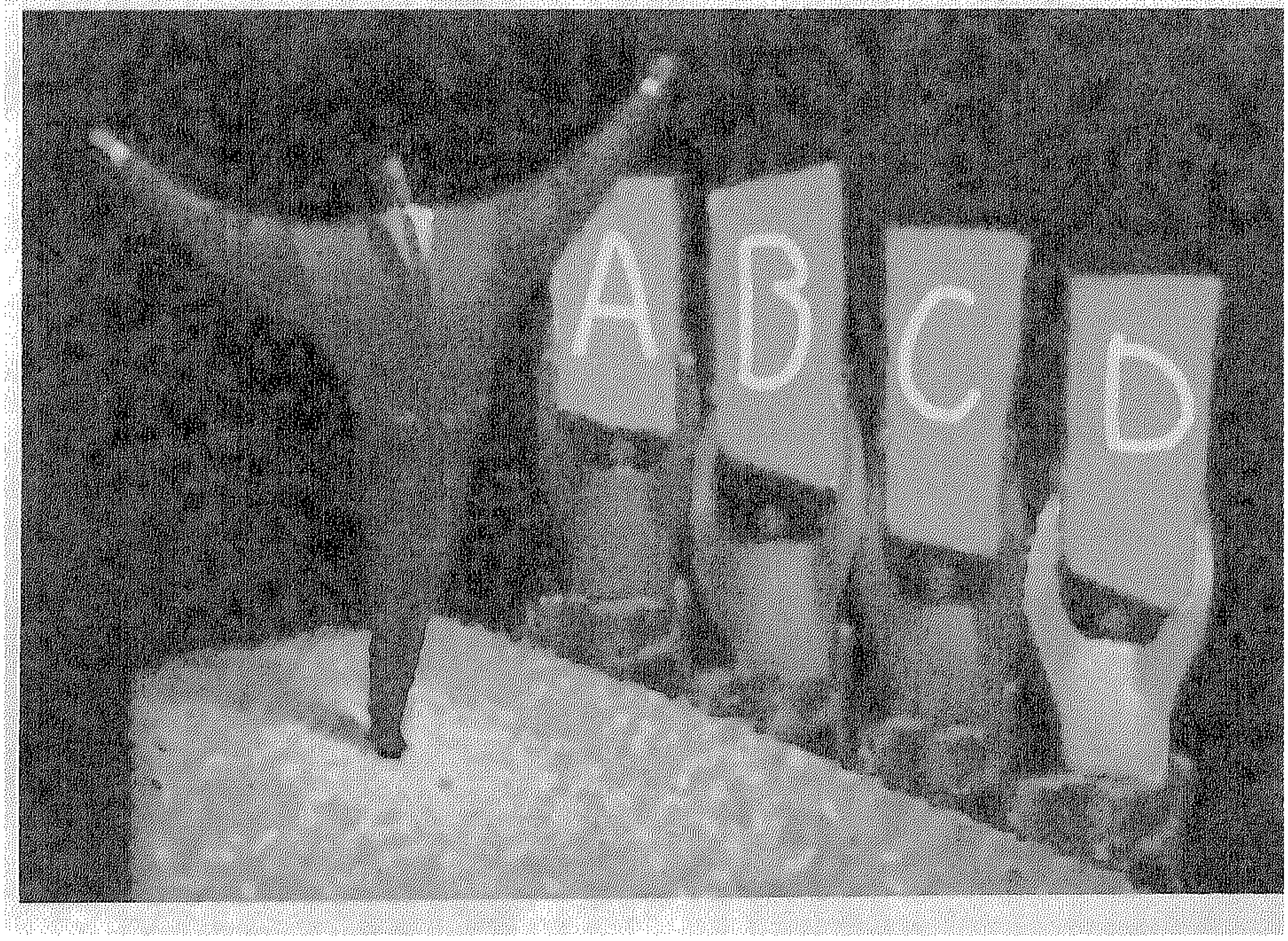

واستبعاد الحاضر، أو بتعبير آخر: ممارسة الكتابة ذات البعد الواحد، والتي تنطلق من زاوية واحدة منها لا يرى الباحث إلا ذاته.

إن لغة الخطاب في هذه البحوث تتوجه في معظمها، إلى القناة المحلية لا الفضائية. وإذا كان للقناة المحلية برامجها الموجهة عادة إلى السكان المحليين والمنفصلة تماماً عن البرامج الموجهة إلى الخارج، فإن هذه الحقيقة ما تزال بعيدة عن خواطر كثير من كتابنا وباحثينا، إذ لا تمييز في معظم كتاباتهم بين اللغة المحلية واللغة العالمية. وسواء وضع باحثنا كتاباً في تعليم المسلم الصلاة، ثم ألف كتاباً آخر لعرض صورة المرأة في الإسلام والدفاع عن هذه الصورة أمام العالم، فسيكون الخطاب هو نفسه في الكتابين على الأغلب، وستجد صعوبة بالغة في التمييز بين طبيعة لغتيهما، وهذا، مرة أخرى، بخلاف المنهج النبوي الحكيم الذي يعلم كيف يكون خطابنا متوائماً مع الظروف والأحداث والأشخاص حتى لا يرتد الأمر علينا بما لا نحب:

- عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» (رواه البخاري).

- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا بما تحمّله عقولهم» (رواه أبو نعيم).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة» (رواه ابن عساكر).

وأميل إلى الظن أن عاملاً آخر هنا، إضافة إلى «النحنوية»، له أثره في توجيه لغة خطابنا ويحول دون انطلاقها إلى الفضاء الخارجي، وهو ضعف رصيدنا من الثقة بالنفس، فلا نجرؤ، بهذا القدر القليل من الثقة بأنفسنا، على مخاطبة العالم، وربما لا نجد ذلك الحافز القوي لمخاطبته ونحن لا نملك الحجج الدامغة للرد على شكوكه واتهاماته، فلقد كنا، حتى عقود قليلة مضت، نفتقر إلى الحد الأدنى من القناعة بموقفنا تجاه الحضارة الغربية الزاحفة باتجاهنا، ومن جدوى مقاومتها وقدرة هذه المقاومة على الاستمرار، وربما ما تزال هناك حتى الآن مجموعات عديدة في مجتمعنا العربي على استعداد للتنازل عن ثوابتها الحضارية وثقافتها أمام الضيف القادم، والانضواء تحت ما يسمى اليوم بالعولمة، مع التأكيد بأن مبدأ العولمة، مجردة من أي انتماء ثقافي لهذا أو لذاك مبدأ إسلامي بالأساس لأن كتاب الإسلام يقول:

- ﴿.. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).

ومع تقديرنا الجم لكثير من أدبائنا الكبار الذين دافعوا عن الإسلام ومبادئه ونبيه وكتابه ولغته، وأسكتوا أصواتاً كانت تحاول أن تنال من ذلك كله ما وسعها النيل، فإن الضعف في مواقف بعضهم كان يكمن في الانطلاق من هذه الزاوية الواحدة والبعد الواحد، فترتفع أصواتهم في الخطاب، وهي، كما اعترفنا خصيصة عضوية من خصائصنا نحن العرب، بمعنييها الحقيقي والمجازي، وإلا فماذا سيقول القارئ الغربي لو ترجمنا له هذا المقطع لأستاذنا الكبير، وأستاذ الجيل، مصطفى صادق الرافعي، وهو يدافع عن أعز كتاب وأصدق رسالة: القرآن الكريم، فيهاجم منتقديه، ولكن بأسلوب الخطاب العربي المحلي:

- «وإنك لن تجد سيماهم إلا في أخلاقهم فتعرفهم بهذه الأخلاق، فستنكرهم جميعاً، ولتعلمن عليهم كل سوء، ولترينهم حشو أجسامهم طيناً وحمأة، في زعم كَذِب يسمى لك الطين طيباً، والحَمأة مسكاً، ولتجدن أحدهم وما في السفلة أسفل منه شهوات ونزغات، وأنه مع ذلك ليزوِّر لك ويلبس عليك، فما فيه من لون عندك يعيبه إلا هو عنده تحت لون يزينه، ولا رذيلة تقبِّحه إلا هي في معنى فضيلة تجمِّله، فخذ منه الكذب في

فلسفة المنفعة، والتسفل في شفاعة الغريزة، والوقاحة في زعم الحرية، والخطأ في علة الرأي، والإلحاد في حجة العلم، وفساد الطبيعة في دعوى الرجوع إلى الطبيعة، وبالجملة خذ أفعالهم فسمها غير أسمائها، وانحلها غير صفاتها، واكذب بالألفاظ على المعاني، وقل: علماء ومصلحون، وأنت تعني ما شئت إلا حقيقة العلم والصلاح. أيتها الحصاة، ما يسخر منك الساخر بأكثر من أن يجلوك على الناس في علبة جوهرة. وأنت أيها القارئ فلا يغرنك منهم من يلبس العمامة يتسم بسمة الشرع، ثم يذهب أين يذهب وشعلة الجحيم العلمية تدور في رأسه تهفو من هاهنا وهنا...»[٤].

طبعاً نستطيع أن ندافع عن أديب العربية الكبير بأنه استخدم هذه اللغة العالية الصوت لأن من يهاجمهم كانوا يستخدمونها معه، ومع غيره أيضاً، وأنهم لم يكونوا يفهمون غير هذه اللغة. ولكن يجب ألا نتهرب من حقيقة أن الخطاب الذي كان يسود الشارع النقدي في تلك الفترة، وما يزال يهيمن عليه حتى الآن إلى حد كبير ، هو هذا النوع الحاد من الخطاب.

أعجزنا يا ترى ، وقد أصابتنا عقدة الخوف من المستوردات الغربية، ومنها لغة الخطاب العلمية، أن نعود أدراجنا إلى القرون الأولى من تاريخ الإسلام

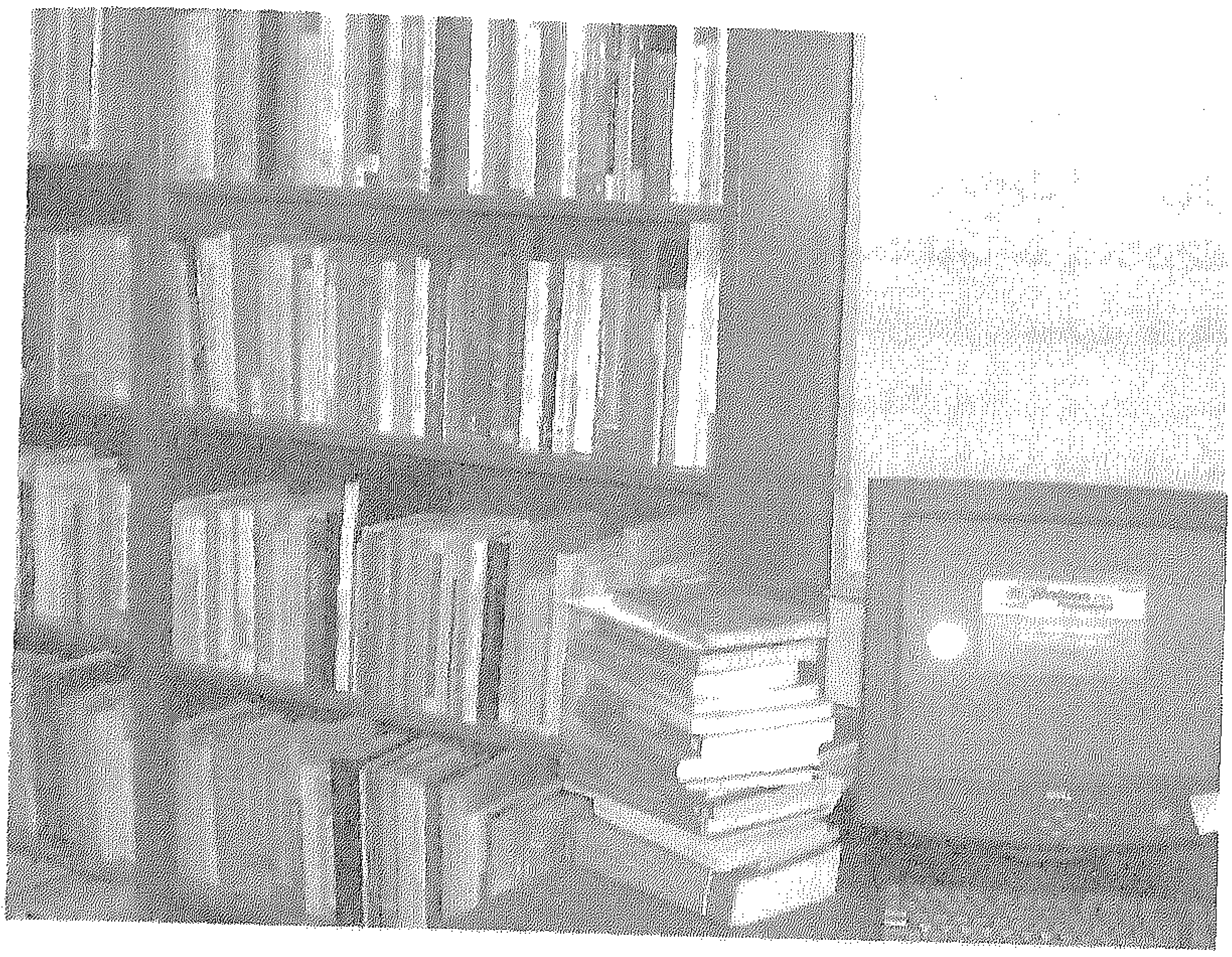

فنقتبس من هدي النبوة أخلاقها، ونستعير لغة حوارها البعيدة عن الفحش واللعن:

– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (رواه الترمذي).

وهل أخفقنا في أن نقتدي بالأئمة الكبار الذين تربوا على مائدة النبوة فنقول لمن يخالفنا ما كان يقوله الشافعي:

– «رأينا هذا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب، فمن رأى غيرما رأينا فله ما رأى ولنا ما رأينا»

وهل من أمل في أن تتحول نظرتنا إلى الأمور من السلب إلى الإيجاب، وأن نرفع عن أعيننا نظاراتنا السوداء لنرى الكأس ممتلئة إلى نصفها، وأن نتيح للعالم أن يرى وجهنا الضاحك لا العبوس، وخطابنا المقبل لا المدبر، ونفوسنا المتفائلة المستبشرة لا النفورة النائية بجانبها عن الناس:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم» (رواه مسلم) ■

الهوامش:

(١) (Jon M.Swales. Genre Analysis: English in academic and research settings. Cambridge University Press. 1996. P:2).

(٢) الآيتان ٣ و ٤ من سورة آل عمران.

(٣)(اخترنا هذه المقاطع من صفحات متقاربة جداً: ٥٥ - ٦٥ للدلالة على هيمنة هذه الخصيصة المخيفة على الكتاب بأكمله وبهذا الشكل المكثف. ولا ينبغي لنا، مع هذا، أن نغمط حق هؤلاء الكتاب الخمسة، فنجردهم مما استطاعوا أن يقدموه في أعمالهم من كشوف وآراء جديدة، وإنما شاءت المصادفات أن تكون كتبهم قريبة فبالي يدي وأنا أعد هذا البحث).

(٤) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي: بيروت ٢٠٠٣. ص: ٩).

عاقبة الكذب

بقلم: يوسف بلمهدي
الجزائر

تعيش أسرة سمير الفقيرة في قرية جميلة بسيطة على حافة واد فيه قليل من الماء، تزين حافتيه شجيرات الدفلى المورقة بنوارها الوردي الجذاب.

وتتكون أسرة سمير من أخويه الصغيرين وأمه، أما أبوه فقد مات وتركهم صغارا، وقد قامت الأم الحنون بتربية أبنائها والقيام بشأن بيتها.

وكان حول بيت سمير حقل صغير جدا تستغله الأم لزراعة ما تحتاجه، وفيه عنزة تحلب منها بعض اللبن وثلاث دجاجات تبيض من حين لآخر.

كانت الأم توقظ سميرا كل يوم لكي يحلب العنزة ويأتيهم بالبيض إن وجد.. كان سمير يفعل ذلك كل يوم..

غير أن سميرا كان فيه بعض الطباع السيئة..

كان إذا حلب العنزة يشرب من اللبن نصف القدح ويعود بالنصف الآخر إلى البيت، أما البيض فكان يخفي دائما بيضة تحت العشب، ويأتي بالباقي إلى أمه لكي تبيعها وتشتري بعض الدقيق.

ظل سمير على هذه الحال، وكلما قالت له أمه (متعجبة): إني لا أعرف لماذا نجد الحليب قليلا. قال سمير: لعل العنزة مريضة.

الأم: لو كانت مريضة لظهر ذلك في قلة أكلها، ولكنها تأكل العشب والعلف كباقي نعاج القرية!

تصدق الأم ولدها سميراً لأنها لا تشك في أخلاقه!

لكن سميرا كان يكذب على أمه، لأنه كان لا يشبع من الطعام القليل الذي تقدمه الأم له ولأخويه.. وكانت أحيانا لقلة الطعام تبيت الأم المسكينة جائعة.. وتطعم أولادها فقط.

أما سمير فكان يذهب إلى الموضع الذي يخفي فيه البيضة المسروقة، يبيعها ويشتري بها حلوى ويأكلها في نهم، وأحيانا يسلقها!

هل تعرف كيف يسلق سمير بيضته المسروقة؟..

لقد كان في القرية عين ماء حامية تتفجر من حجر قرب بيت الشيخ الحكيم - حكيم القرية - هذا الشيخ الذي يقصده سكان القرية لحل مشاكلهم.

ينحدر هذا الماء إلى بركة قريبة من دار الشيخ الحكيم.. ويتجمع هناك ويصبح كالمسبح الصغير.. يقصده مرضى العظام والمفاصل..

كان سمير يقصد هذا الماء الحار ويضع البيضة المسروقة في مجرى الماء الساخن بعض الوقت ثم يأخذها مسلوقة.. فيقشرها ويأكلها..

ولا يهمه أخواه وأمه .. ثم يرمي القشور في مجرى الماء حتى لا يعثر أحد عليها .. يفعل ذلك كل مرة..

ولكن الماء يأخذ القشور، ليستقر في الأخير في بركة الماء التي يتداوى فيها المرضى.

كان الشيخ الحكيم يخرج إلى هذه البركة من الماء الساخن، ينظفها من كل أذى ووسخ، حتى يجدها المرضى صحية.

وكان يتعجب من هذه القشور التي يجدها تقريبا كل يوم في هذا الماء.. ولا يكلف نفسه معرفة مصدر هذه القشور، لأنها لا تلوث الماء تلويثا شديدا مثل الأوساخ الأخرى، ولو وجد الشيخ الحكيم أوساخا أخرى، لم يكن ليسكت عنها.. ولكنه ينبه أهل القرية إلى ذلك، ويستجيب أهل القرية إلى نصائحه..

ذات يوم أيقظت الأم ولدها، قائلة: سمير، قم لتحلب العنزة، فإن ورائي أعمالا كثيرة، أريد التفرغ لها.

سمير: نعم يا أمي، سأذهب حالا.

خرج سمير ملبيا نداء أمه، وهو ينوي سرقة بيضة، وشرب نصف اللبن المحلوب كعادته..

ولكن أمه، تفقدت الحطب لتشعل النار لإعداد الفطور، فلم تجد، فخرجت قريبا من الدار، لجمع بعض الأعواد والهشيم، وكانت تشاهد من بعيد ما يفعل سمير، وأما سمير فهو لا يراها، لأنه يظن أن أمه في الدار، وهي لا تخرج عادة في هذا الوقت.

عندما حلب العنزة، أخذ القدح، وشرب منه حتى ارتوى، والأم مستغربة من فعله هذا.

ثم نظرت إليه مستخفية عندما ذهب لإحضار البيض، فإذا هو يجمع ثلاث بيضات، فوضع اثنتين في جيب معطفه، وأخذ الثالثة وأخفاها في مكانه المعتاد.

هنا تأكدت الأم أن نقص اللبن كان بسبب شرب ولدها.

وأن سميراً كان يكذب عليها دائما، وأنه كان يسرق من البيض فدخلت الدار، وقد ملأتها الدهشة..

الأم: ياإلهي. كيف يفعل هذا؟

عاد سمير إلى الدار، فقالت أمه: كم بيضة وجدت يا سمير. فقال: اثنتين، قالت: واللبن؟ قال نصف القدح يا أمي، هنا بكت الأم وقالت مغضبة: لماذا تكذب عليّ يا سمير؟ لقد شربت اللبن، وأخفيت بيضة، وقد رأيتك؟ إنك تحب نفسك أكثر من أن تحب أخويك الصغيرين، وأكثر مني، ثم ضربته بحذاء كان في يدها، وقالت: اخرج، اخرج من هنا، لا أريد أن أراك..

وضع سمير اللبن والبيض، ثم خرج باكيا، لا يعرف ماذا يفعل أو ماذا يقول؟!

أخذ يمشي لا يعرف مكانا يقصده.. إلى أن وصل إلى مكان ظليل قرب بيت الشيخ الحكيم، وجلس مفكرا باكيا.

أما الأم فقد أعدت الفطور، وأيقظت ولديها، ولم تخبرهما عن

سبب غياب سمير، وبقيت الأم في حيرة وتأسف من فعل ولدها وسوء طبعه.. بينما كان سمير مستغرقاً في التفكير إذا خرج الشيخ الحكيم من داره.

– صباح الخير: ماذا تفعل في هذا الوقت هنا يا ولدي؟

– سمير خائفا: صباح الخير يا سيدي، لا شيء،لا شيء..

فهم الشيخ الحكيم من جوابه ورجفته أن هناك أمرا يخفيه هذا الولد..

قال الشيخ الحكيم: هل ترافقني إلى بركة الماء الحار؟

سمير: نعم، بكل فرح .

اصطحب الشيخ الحكيم سميرا، حتى وصلا إلى المكان المقصود . فقال الشيخ الحكيم: إنني آتي كل يوم إلى هنا لكي أنظف الماء من الأوساخ، لكي يجده المرضى صافيا رقراقا، وكنت أجد فيه قشور بيض مسلوق، ولا أعرف من كان يرمي هذا الوسخ في الماء..

اشتد خوف سمير، عندما سمع كلامه، ثم قال الشيخ الحكيم: عجبا.. ليس في الماء قشور البيض كما هي العادة، لعل صاحب هذه العادة القبيحة رجع إلى رشده .

فقال سمير بكل شجاعة: نعم يا سيدي، لقد عاد إلى رشده، أنا صاحب القشور.. وقص عليه قصته .

فقال له الشيخ: يا ولدي سمير، سأحكي لك حكاية تنفعك إن شاء الله، فقال سمير: أجل، أجل، فقال الشيخ الحكيم: يروى أن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان معه صاحب له يتنزهان في سفر.. فأصابهما الجوع وقد وصلا إلى قرية.. فقال لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية.. وقام عيسى عليه السلام يصلي.. فجاء الرجل بثلاثة أرغفة . لكن سيدنا عيسى أطال في صلاته فلم يصبر صاحبه على الجوع فأكل رغيفا.. بعد أن فرغ عيسى عليه السلام من الصلاة قال: أين الرغيف الثالث ؟ فقال ما كان إلاّ رغيفان.. فتابعا السير في نزهتهما فلقيا غزالا فنادى عيسى عليه السلام الغزال، فجاء إليه مطيعا فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى عليه السلام للغزال: قم بإذن الله.. فقام الغزال حيا.. فقال الرجل: سبحان الله ! فقال له عيسى عليه السلام: أقسم بالله الذي أراك هذه المعجزة.. من صاحب الرغيف ؟ فقال: ما كان إلاّ اثنان.. فتابعا السير فوجدا نهرا عظيما، فأخذ عيسى عليه السلام بيد صاحبه ومشى به على الماء حتى جاوزاه.. فقال الرجل: سبحان الله !! فقال عيسى عليه السلام أقسم بالله الذي أراك هذه المعجزة، من صاحب الرغيف؟ قال: ما كان إلاّ اثنان.. فخرجا حتى أتيا أهل قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب.. فقال عيسى عليه السلام: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث ! فقال صاحبه: أنا صاحب الرغيف الثالث.. فقال عيسى عليه السلام: هي لك كلها.. وتركه غاضبا لأنه كان كذابا.. بقي الصاحب الكاذب مع الأحجار الذهبية الثلاثة لا يستطيع حملها لأنها ثقيلة جدا.. فمر به ثلاثة رجال فقتلوه وأخذوا الذهب.. فقال اثنان منهم للثالث: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام.. فذهب.. فاتفق صاحباه على قتله وتقسيم الكنز بينهما.. بينما ذهب صاحبهما لشراء الطعام من القرية ، جاءته فكرة لوضع السم في الطعام حتى يقتلهما ويأخذ الذهب وحده.. ففعل ما أملاه عليه الشيطان.. فلما عاد بالطعام المسموم قتله صاحباه وأكلا الطعام لأنهما لا يعرفان أنه مسموم فماتا هما أيضا بجوار الذهب.. فمر عيسى عليه السلام بعد ذلك.. وعندما رآهم صرعى أشار إليهم وإلى الذهب قائلا لمن معه من المؤمنين: هكذا الطمع يفعل بأهله فاحذروه .

فقال الشيخ الحكيم وكان سمير يبكي بكاء الندم: هل عرفت يا ولدي أن الأخلاق السيئة عاقبتها وخيمة . قال سمير: أنا آسف، وأعاهدك أن لا أعود إلى تلك الطباع القبيحة.. أخذ الشيخ الحكيم بيد سمير، وقال: هيا بنا إلى أمك لكي تطلب منها السماح والعفو.. ■

اصنعْ لهم معجماً

بقلم: محمد فريد الشريف
مصر

التقى رجلان في طريق فسأل أحدهما الآخر:

من أنت؟

قال:

- خمس وعشرون.

- ما اسمك؟

- مدرس.

-ما عملك؟

علي عبدالكريم.

❖❖❖

هذا الحوار البليغ: صورة دقيقة لما أسمعه حولي كل يوم.. لم أستعمل في نقله مرآة محدبة ولا مقعرة.. نقلته كما هو.. بمرآة كالتي تنظر فيها كل يوم قبل أن تخرج من بيتك.

وقد شككت مرة أن فيه خللاً ما.. وأنه يحتوي على جُمل.. غير أنها لا تفيد.. وأن المجيب يجيب على غير ما يُسأل عنه.. وأن هذا تركيب لا يستقيم مع قواعد اللغة.. أو على الأقل.. اللغة التي أعرف.

حملت شكوكي جميعاً، وذهبت إلى فتى من قريتنا خرج إلى القاهرة في طلب العلم، ثم بلغنا أنه قد فتح عليه من العلم كمثل طوفان نوح -عليه السلام- فهو فيه تتلاطم به الأمواج، حتى لقد بلغ من علمه أن أوكلت إليه الدولة رئاسة الصفحة الأدبية في صحيفتها الرسمية وهو بعد في ريعان الشباب. والدولة -و كما يعلم الجميع - لا توكل العمل إلا إلى أهله.

دخلت عليه مكتبه فإذا أمامه رجل جليل مهيب، قد كور على رأسه عمامة وأرخى ذؤابتها بين كتفيه، وإذا هما في حوار قد اشتد، فألهاني ما رأيته عن المسألة التي قدمت لها، وإذا صاحبنا يقول لصاحبه:

- ولكنك تعلم أن هذا يخالف المذهب الجديد في الأدب.

- وما المذهب الجديد؟

- ما بعد الحداثة.

- وأي شيء هو «ما بعد الحداثة»؟

- هو مذهب يرى أن..

- أسألك عن اسمه.

- اسمه «ما بعد الحداثة» يا مولانا...

- يا أستاذ.. إذا سألك أحد عما بعد «شبرا» ستقول له: «قليوب» وأنا

أسألك عما بعد الحداثة فتقول: هو ما بعد الحداثة. أليس في مذهبكم هذا «قليوب»؟ أم أن الجغرافيا عندكم مختصرة في «ما بعد شبرا»..؟؟

❖❖❖

سأل ملك حكيماً: كيف أصلح أمر الأمة؟

قال الحكيم: اصنع لهم معجماً.

قال الملك متعجباً: أسألك عن الإصلاح فتكلمني عن المعاجم؟؟!!

فرد الحكيم: إذا صنعت لهم معجماً وحفظوه: علم كل امرئ معنى ما يقول، وأجاب عما يُسأل عنه، وقل الخلاف؛ لأنه إنما ينشأ عن الجهل، وذهبت الشحناء لأنها بنت الخلاف، وإذا أمرتهم بأمر لم يتأولوا فيه غير ما تريد، ولم يُنزله كل امرئ منهم على هوى يراه من حيث يُوهمك الاستجابة لك.. وفرغوا من بعد للعمل على قلب رجل واحد.

❖❖❖

إذا كانت اللغة إنما جعلت للتواصل بين الناس، فإن الخلل في التواصل دليل على خلل في اللغة.

هذه قاعدة لابد أن تكون قريبة منك حتى ننتهي مما نحن فيه.

واعذرني - أخي القارئ - إن سألتك الصبر على ما أنت فيه من البلاء حتى تفرغ منه، فهو والله ثقيل على قلبي ثقله على قلبك، ولولا أنه بلاء لابد منه لما وجدت من نفسي طاقة للخوض فيه..

والوحدة الأولى للغة: الكلمات التي تتركب منها الجمل.. وإذا لم تكن هذه الكلمات ذات معان يتفق عليها الجميع فإنك لن تستطيع بناء جملة ذات معنى.

لنفرض مثلاً أن لفظ «الحذاء» يطلق عند قوم على: «الشيء الذي تلبسه في قدميك»، وهو عند آخرين: «الشيء الذي تغطي به رأسك».

فهل تظن أن حواراً يمكن أن يتم بين اثنين: هذا مبلغ التباين بينهما!!

هذه مسلمة أولى.

وإذا أردت أن تفهم جملة ما فإن السبيل إلى ذلك أن تفهم معنى كل كلمة فيها.. ثم تدرك معنى هذه الكلمات مجتمعات في تركيب خاص يسمى: الجملة.

وهذه مسلمة ثانية.

وأظنك تقول الآن: يا صباح الملل!!

فاستعرض إذن معي قائمة بما نسمع كل يوم، قبل أن يبلغ منك الملل غايته، ولنعرضه على هذا المنهج البدهي.. ثم لننظر إلى النتائج..

«حوار السلام»، «اتفاقيات السلام العربي الإسرائيلي»، «السلام العادل الشامل»، «الأرض مقابل السلام»، «خيار السلام الاستراتيجي»، «ثقافة السلام»، «مبادرة السلام العربية»، «مؤسسات المجتمع المدني»، «تداول السلطة»، «الانتخابات النزيهة»... وهلم جرا... حتى تصل إلى المصطلح اللطيف الظريف الساخر: «المواطن العربي الحر»!!

هل تريد مزيدًا من الألفاظ.. فإن العشرة منها بربع جنيه..

هذه الألفاظ جميعاً لابد أن تكون ذات معنى.. وإلا لكنا نعيش في عالم لا معنى له من البعثرة المتكررة.. ولكن.. حاول أن تدرك معناها بالطريقة البدائية التي شرحناها من قبل وسترى أنك تدور وتدور.. ثم لا تجد في يدك شيئاً..

فالسلام العادل الشامل لا يمكن أن تفهمه إلا إذا علمت معنى «السلام» و«العادل» و«الشامل»، واتفق المجتمعون فيما يسمى «خندق السلام» (وهذا أيضاً مصطلح، فأضفه إلى قائمتك) على معنى واحد لها.. غير أنك تنظر فإذا لكل محاور فهمه الخاص لمعاني هذا الكلام كلمة وجملة.. نحن نتحدث بألفاظ لا نعرف معناها.. ثم نتحاور في قضايا لم نتفق على بدهياتها مسبقاً.. وتشيع بيننا مصطلحات تخرج فجأة، وكأنما ولدت سفاحاً ليس لها سلالة لغوية تعود إليها.

كيف تختلف الآراء هذا الاختلاف العبثي.. وتتعدد معاني اللفظة الواحدة بتعدد الناطقين بها.. حتى لقد أصبحنا ولو قال القائل: «لا إله إلا الله» وسمعه خمسة نفر.. لكان لهذه الكلمة الشريفة خمسة معان في خمسة رؤوس!!

أصبحنا نتناقش في البدهيات، ثم لا نصل إلى قرار..

تقول لأحدهم: «تشرق الشمس كل صباح». فيقول: هذا رأيك الخاص.. ولكني أرى رأياً آخر.. واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية..!!

ويناقشك أحدهم في الإسلام ساعة كاملة، حتى إذا سألته عن

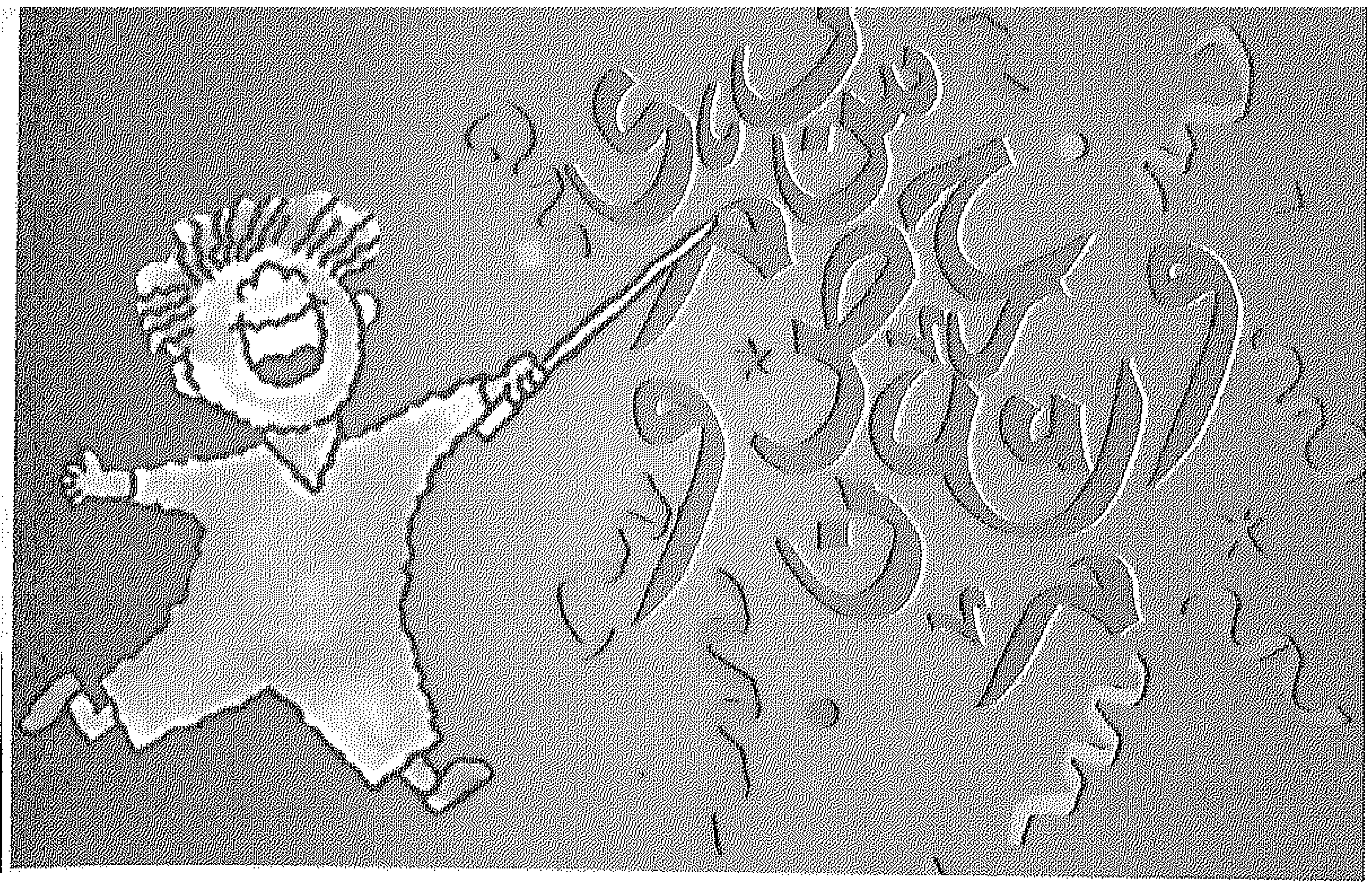

معرفته به وجدت إسلاماً غير الذي تعرف، ونسخة من المصحف الشريف غير التي تقرأ منها كل يوم..!!

وقد ذكر العرب من قبل أن الأحمق: يرى، فيدرك غير ما يرى، ثم يقول غير ما أدرك، ثم يكتب غير الذي قال.

فهل بلغ بنا الحال أن نبحث لكتابنا عن تعريف جامع مانع فلا نجد غير وصف العرب للأحمق؟؟!!

والغريب أن هذا الداء لا يصيب منا إلا الفئة التي تحسن القراءة والكتابة.. فأنت لا تجد عند أحد من أسيادنا الفلاحين من يناقشك في أمر بدهي، إنما يسألك الفلاح عما يجهل.. أما البدهيات فذلك - كما قال عمر بن عبدالعزيز: أمر فرغ منه ربك..

❖❖❖

اختلاف معاني الألفاظ، ثم الخلاف في دلالة التراكيب داء يصيب قلب اللغة.. وهو في اللغة والتفكير كالسرطان في الجسد، وكما تتكاثر خلايا السرطان بلا قانون ضابط.. تتكاثر ألفاظ اللغة بلا أصل صحيح..

واستخدام لفظة في غير موضعها الصحيح خيانة لها.. ثم خيانة للأمة التي اتفقت على وضعها.. وهو لا يقوم إلا على نية فاسدة.

ولنأخذ على ذلك مثالاً معلوماً للجميع:

كلمة «الطوارئ»: أصلها اللغوي: طرأ عليهم، أي: أتاهم من مكان، أو خرج عليهم منه فجأة، وأمر طُرآني: بالضم: لا يدرى من حيث أتى. (نقلاً عن: القاموس المحيط).

فالمعنى يدور إذن حول: المفاجأة.. ولهذا تقول: هذا أمر طارئ.. وطرأ علي رأي.. وما شابه ذلك.

أخذ هذا اللفظ ونقل إلى معنى آخر لا أعلمه، وإذا كان هنالك من يعلمه فليخبرني به، وأصبح بين عشية وضحاها: «قانون الطوارئ»... واستمر هذا القانون يحكم البلاد أعواماً متطاولة.. فإذا سجن شريف فباسم «قانون الطوارئ»، وإذا قمعت الحريات فباسم «قانون الطوارئ»، وإذا تركت الجامعات منتدى لكل شيء من حفلات عرض الأزياء.. إلى كافتريات عرض المشاعر، ومنع الشباب والفتيات فيها من الحديث عن آلامهم وآمالهم باعتبار هذا سياسة.. فباسم «قانون الطوارئ».. حتى لقد أصبح هذا الشيء المفزع رجلاً من لحم ودم ضخم الجثة، مفتول العضلات، يدركك حيث كنت.. ويمنعك كل ما أردت..

فما الذي يجمع بين كلمة«طرأ» التي تدل على المفاجأة والتغير وبين «قانون الطوارئ» الذي أصبح دلالة كبرى على الثبات والدوام.

❖❖❖

هذا التحوير والتزوير للألفاظ والمعاني لابد أن يتوقف..

غير أن هنالك قوماً فرغوا حياتهم لذلك، ونذروا أنفسهم لدوامه.. ولن نعدم كل يوم لفظاً حُرف عن أصله.. كما أصبح الشهيد على أرض فلسطين «منتحراً» و«الخائن للأمة» «زعيماً».. ولست كاذباً إن قلت: إن كثيرا من صحفنا ومجلاتنا وإذاعاتنا تسهم في ذلك!!

فما أسباب ذلك؟؟ وما العمل؟؟!!

هذا سؤال يحتاج إلى أن نستأنف مقالاً جديداً.. وأن تستأنف أنت نية صادقة.. وأن تقبل الأمة على عمل حقيقي.. حتى لا تكون لنا صورتان: صورتنا المزخرفة أمام أنفسنا.. وصورتنا الحقيقية في مرآة صادقة.. وقد رووا أن أعرابياً خرج من بادية قومه قاصداً حاضرة من الحواضر، فاجتاز بخربة، ورأى مرآة قد ملّ منها أهلها فرموها.. فرفعها إلى وجهه - وكان دميم الخلقة - فلما أبصر شناعته حتى رماها من يده، وقال: والله ما رماك أهلك من خير!! ■

أنفاس الأمل..

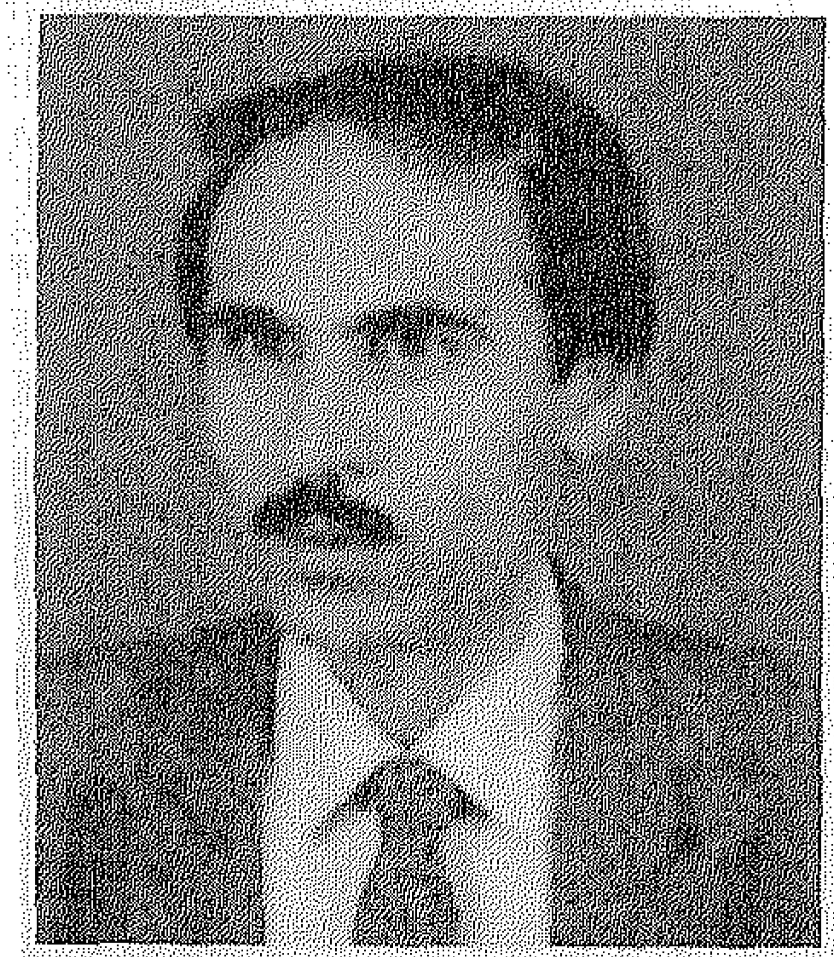

شعر: أكرم جميل قنبس
الشارقة

أضحى الإباء له رؤيا، فراوده   وراح يسكب من إيمانه الأملا
هو المعوّق، واشتاقت رواحله   إلى الثريا اشتياقا هب مرتحلا
أسرى له الصبح قنديلا يواثبه   كي يرفع الحجب اللائي سدلن على..
ما همه أن يرود الأرض منتعلا   حذاءها، بل يرى في المطلق السبلا
تأجج الدفق السامي بهمته   وراح يستنفر الإقدام والمقلا
أصخت له الروح في ميدان صحوته   وهاجها أن ترى في ركبها الشعلا
قالت له ، والأماني ملء خافقها   هيا انطلقْ واحتمل ما اسطعت محتملا
أأنت جدت به الآمال أم سكبت   في روعه همة لا تعرف العللا..؟
أأنت خانته شمس العمر أم كسفت   به الحياة، وألقته الرياح، فلا..؟
لا المجد يكفيه ما خطت قرائحنا   ولا المروءة ترضى دونه بدلا..
لا هذه ، لا ، ولا الدنيا بقادرة   تميت قلبا نما في الله وابتهلا
غنت له وارفات الظل في زحل   فراح يقطف من أدواحها زحلا
وراقه أن يرى في الأفق كوكبه   يهيم في ملكوت الله محتفلا
ليس المعوق من باتت لواحظه   تدغدغ الخصب أو تستمطر الهطلا
إن المعوق من كانت له همم   تزيده في مراقي عمره خبلا
تقطعت فيه أنفاس الرجاء ولم   يرد على حوضه الدري مغتسلا
يا صاحب الهمة العظمى وأنت لها   نور تأجج في دنيا السمو علا
لست الضعيف الذي خارت عزائمه   ما دام قلبك بالإيمان مشتملا
يكفي المعوق أن الله بشره   في قول «أحمد» بشرى فجرت أملا
إذا ابتلى الله عبدا في جوارحه   أهدى له جنة تهديه ما سألا
فامخر عباب الأماني إنه قدر   ولا تكن في دواجي اليأس معتقلا
لم يخلق الله عبدا كي يعذبه   أو يخلق الناس في دنياهم هملا
لكنه شاء ما قد شاء من قدر   للناس يغري به من ضل أو عقلا
فكن صبورا ، ولا تعص الإله ولا   تكن بأمرك حرث العمر معتزلا
الفكر أعظم مخلوق، يعلمنا   أن الحياة به تستنهض الدولا
فرُبَّ أعمى تحدى كل مبصرة   عمياء تجهل في إبصارها الجبلا
ورب صاحب عزم ليس في دمه   قلب يتوق لكي يستوكف المثلا
ورب قلب أتاه النور منبلجا   فما استجاب هدى يردي به الزللا
ورُبَّ رُبَّ شباب ليس يدفعه   شوق ، وعن مكرمات المجد قد غفلا
يا ذا المعوق، أعط التائهين هدى   فإن خير عطاء البذل ما وصلا
يا من تحدر فيه الفجر مرتشقا   سهم العزيمة كي يردي به الكسلا
شموخ قلبك لا تحنيه عاصفة   هوجاء ، تزرع في ثوراتها الوجلا
جدد خلاياك في عصر عدمت به   موتا، فلا عاش عصر يقتل الرسلا
يعينك الله ثم الخيرون، فقد   تنكبوا الطهر في دنياهم نزلا

خلق المؤمن*

روى سلمة بن عامر قال: صلينا الجمعة مع الحسن، فلما انصرفنا اكتنفنا حوله فبكى بكاء شديدا، فقلنا: ما بالك - رحمك الله - وقد بشرت بالجنة في منامك؟ فازداد بكاء وقال: كيف لا أبكي ولو دخل علينا من باب هذا المسجد أحد أصحاب رسول الله ﷺ لما عرف غير قبلتنا هذه؟! ثم قال: هيهات هيهات! أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين، مالي أرى رجالا ولا أرى عقولا، وأسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرّموا ثم استحلوا، إنما دين أحدكم لعقة على لسانه، إذا سئل: أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال: نعم، كذب ومالك يوم الدين! إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وعلما في حلم، وحلما بعلم، وكَيْسا في رفق، وتجملا في فاقة، وإنصافا في استقامة، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم في مساعدة من يحب، ولا يهمز ولا يغمز، ولا يلمز، ولا يلغو، ولا يلهو، ولا يلعب، ولا يمشي بالنميمة، ولا يتبع ما ليس له، ولا يجحد الحق الذي عليه،ولا يتجاوز في العذر، ولا يشمت بالفجيعة إن حلت بغيره، ولا يسر بالمعصية إن نزلت بسواه، المؤمن في الصلاة خاشع، وإلى الركوع سارع، قوله شفاء، وصبره تقى، وسكوته فكرة، ونظرته عبرة، يخالط العلماء ليعلم، ويسكت بينهم ليسلم، ويتكلم ليغنم، إن أحسن استبشر، وإن أساء استغفر، وإن عتب استعتب، وإن سفه عليه حلم، وإن ظلم صبر، وإن جير عليه عدل، لا يتعوذ بغير الله، ولا يستعين إلا بالله، وقور في الملا، شكور في الخلا، قانع بالرزق، حامد على الرخاء، صابر على البلاء، إن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين .

وقال: هكذا كان أصحاب النبي ﷺ الأول فالأول، حتى لحقوا بالله عز وجل، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح، وإنما غُيرٌ بكم لما غيرتم . ثم تلا : ﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴿١١﴾﴾ (الرعد).

❖ كتاب الزهد للحسن البصري، جمع وتحقيق د . محمد عبدالرحيم محمد، نشر دار الحديث، القاهرة، ص ١٠٢.

بين القصر والقبر*

قال أبو علي القالي: أنشدني أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي، قال: أنشدنا عبدالله بن جوان صاحب الزيادي، ولم يسم قائلها، وأملاها علينا أبو سعيد السكري لأبي العتاهية في بعض إخوانه:

وقد كنت أغدو إلى قصره … فقد صرت أغدو إلى قبره
أخ طالما سرني ذكره … فقد صرت أشجى لدى ذكره
وكنت أراني غنيا به … عن الناس لو مُد في عمره
وكنت إذا جئت في حاجة … فأمري يجوز على أمره
فتى لم يمل الندى ساعة … على عسره كان أو يسره
تظل نهارك في خيره … وتأمن ليلك من شره
فصار عليٌّ إلى ربه … وكان عليٌّ فتى دهره
أتم وأكمل ما لم يزل … وأعظم ما كان في قدره
أتته المنية مغتالة … رويدا تخلل من ستره
فلم تغن أجناده حوله … ولا المزمعون على نصره
وخلّى القصور التي شادها … وحلّ من القبر في قعره
وبدل بالفَرْش بُسْط الثرى … وطيب ندى الأرض من عطره
وأصبح يهدى إلى منزل … عميق تُؤُنق في حفره
تغلق بالترب أبوابه … إلى يوم يؤذن في حشره
أشد الجماعة وجداً به … أشد الجماعة في طمره
فلست مشيعه غازيا … أميرا يسير إلى ثغره
ولا متلقيه قافلا … بقتل عدو ولا أسره
وتطريه أيامنا الباقيات … لدينا إذا نحن لم نطره
فلا يبعدن أخي ثاويا … فكل سيمضي على إثره

---

* الأمالي لأبي علي القالي رقم (٨٦٧)، ص٢٦٣، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

تضمين الرمز ورمزية التضمين في قصة «الـ

بقلم: د. محمد الحافظ الروسي*
المغرب

تنصرف الأبحاث عادة لدرس الأعمال الإبداعية المتميزة، أو التي تقدم مادة موافقة للمنطلق النظري الذي يعتمده الباحث، أو التي فيها وضوح جزئية معينة هي موضوع درسه. وقد اجتمع في قصة «الريح والجذوة» للدكتور حسن الوراكلي. وهي أول قصة من إحدى عشرة قصة تضمها مجموعة قصصية تحمل هذا العنوان نفسه، كل هذه الأشياء:

أ - فهي عمل أدبي بالغ الصعوبة والتميز، كتب بلغة فيها من الشعر وفيها من القوة وفيها من الجمال، ما يجعل لغة الفن القصصي عند صاحبها أهم عناصر جمالية القص. ولعل أبرز ما توصف به هذه اللغة أنها لغة قائمة على ما يسميه الرافعي الجملة القرآنية(1)، والتي يقابلها عنده: الجملة الإنجيلية، التي هي رطانة أعجمية معربة، وعليها معتمد أكثر الناس في هذه الأيام.

ب - وهي عمل أدبي كثير الرموز، ويأتي الرمز فيها على سبيل التضمين في أكثر الأحوال. وهو ما يعطي مادة غنية لمن يبحث في هذه الجزئية من جزئيات القصة.

ج - والرمز في هذه القصة مرتبط بالثقافة العربية الأصيلة أشد الارتباط، وهو ما يناسب المنطلق النظري الذي يقوم عليه هذا البحث والذي سيأتي تفصيل القول فيه. كما أن ذلك من علامات تميز هذا العمل. فقد نشأت ناشئة يعرف أنصاف مثقفيها فمن دونهم، فضلاً عن كبار مثقفيها، ورموز الثقافة اليونانية والغربية والوثنية القديمة، فيستعمل مستعملهم رمز: سيزيف وكيوبيد ومن إليهما، وهو جاهلٌ بذاته، وقد يكون منكراً لها، غير عارف بتراثه، وهو يظن أنه قد قتله علماً، فيعجز عن استخراج أبرز ما

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان- المغرب

في هذا التراث فضلاً عن ضواله، ثم يتحدث عن الكونية والإنسانية، ويلوك بين حنكيه معجماً من المصطلحات لا يدرك من كنهها إلا القدر الذي يخفي به جهله. ويعجبني في هذا المقام ما قاله د. إحسان عباس في سياق حديثه عن ديوان «القوس العذراء» لمحمود شاكر، وذلك إذ قال: «... ولكن لاريب عندي في أن الشعر الحديث قد ضل كثيراً حين لم يهتد إلى «القوس العذراء» وأن الناقد الحديث قد سار في تلك الطريق المضلة نفسها حين أغفل تلك القصيدة. وليس من التجني أن أقول إن الشعر الحديث كان يعشو إلى أضواء خادعة حين انقاد وراء التأثر بشعر أجنبي ورموز غربية، ولم يستطع أن يستكشف أدواته في التراث كما فعلت «القوس العذراء»، ولكن أنى له أن يفعل وهو وليد اجتهاد بضعة من «تلاميذ المدارس» الذين شدوا شيئاً من الشعر الإنجليزي، فظنوا أنهم قد وقعوا على كنز دفين ليس في أدبهم نظيره، وأظن أكثر من بقي منهم حياً حتى اليوم لا يفهم قصيدة الشماخ إن أتيح له أن يقرأها، فكيف بأن يستخلص منها رموزاً لمفهومات معاصرة؟»(٢).

المهاد النظري:

أ - عن أي رمز نتحدث؟

إن الرمز الذي أقصده هنا هو الرمز المرتبط بالثقافة العربية الأصيلة، لأننا في أشد الحاجة اليوم إلى استعمال ذكي لرموزنا الخاصة، وإلى اكتشاف المجهول منها، في وقت يراد فيه إعادة تشكيل الذوق المسلم، بعد أن ذهب دعاة الاستغراب شوطاً بعيداً في إعادة تشكيل العقل المسلم. واستعمال هذا النوع من الرموز صعب، لأنه يحتاج إلى مبدع خاص يتميز بسعة العلم، وجودة الذوق، وحسن الاختيار، وقوة الملكة، والذكاء في استعمال الرمز، واختيار مواقعه، والجمع بين الرموز المختلفة والنصوص المضمنة الكثيرة، إن احتاج إلى ذلك. من غير أن ينقض بعضها بعضاً، مع حسن السبك وجودة التوظيف. ويحتاج إلى متلق خاص يتميز بالثقافة الواسعة وحسن التنبه.

وأظن أن هذه الصعوبة هي التي صرفت الناس عن مثل هذا الأدب، وهم الذين تعودوا أدباً «عامياً» بسيطاً، ورموزاً وثنية يدركها أشباه المثقفين، مع التوهم بأنها رموز إنسانية، وأن الرموز الإسلامية رموز دينية خاصة.

ب - دلالة الرمز:

تمثل دلالة الرمز، في نظري، ركناً من أركان أربعة تقوم عليها دلالة الكلام عموماً. وهذه الأركان هي:

د. حسن الوراكلي

أ - دلالة اللفظ.

ب - دلالة المعنى.

ج - دلالة التركيب والترتيب.

د- دلالة الرموز والإشارات.

وأقصد بدلالة التركيب ما يسميه حازم القرطاجني بالنظم والأسلوب، أو الهيئة اللفظية والهيئة المعنوية. وأقصد بدلالة اللفظ أن اللفظ له دلالة معجمية خاصة قد يفارق بها دلالة المعنى العام الذي هو في سياقه. وهذا أمر يحتاج إلى بيان، إذا أدركنا أن الرمز لفظ أيضاً، وأنه لذلك قد تكون له دلالة منفصلة عن دلالة موضوع القصة أو القصيدة، ولكنها مع ذلك دلالة مساعدة مؤكدة للمعنى أو مؤنسة له. وهذه الدلالة الاقترانية لها ثلاثة أحوال: دلالة على سبيل اقتران التأكيد، ودلالة على سبيل اقتران التناظر، ودلالة على سبيل اقتران التخالف أو التضاد.

ومن أمثلة ذلك قول الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ):

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت
حوامل المزن في أجداثكم تضعُ
ولا يزال جنين النبت ترضعه
على قبوركم العرّاصة الهَمِعُ[٣]

إذ يلاحظ هنا أن السياق سياق موت وهمود، وأن المعجم معجم حمل وولادة ونشأة وحياة، أي أنه استعمل معجم البسط لمعان موحشة. فكأن التخييل هنا تخييلان: تخييل باللفظ وتخييل بالمعنى. وقد درس حازم القرطاجني (٦٠٨- ٦٨٤هـ) هذا الموضع في باب تأنيس المعاني بعضها ببعض[٤]. ولنا أن نوسع هذا المعنى فنقول: إن الألفاظ من حيث هي ألفاظ لا من حيث اقترانها بأحوال أخرى تذهب إلى غير ما تذهب إليه المعاني. فإذا كان المعجم المستعمل مؤكداً للمعنى، فذلك ما نسميه اقتران التأكيد، وإذا كان دالاً على المعنى نفسه من غير قوة تأكيدية فذلك ما نسميه اقتران التناظر، وإذا كان دالاً على معنى مخالف أو مضاد لما قام عليه السياق، وصيغت له الهيئة التركيبية، فذلك هو اقتران التخالف أو التضاد. ويكون عن طريق الوحي الخفي والإشارة البعيدة. وأهمية هذا النوع الأخير كامنة في نوع التأثير الذي يحدثه، وليس في نوع المعنى الذي يحمله. ذلك أنه لا يدل في ظاهره إلا على المعنى الأول (الظاهر)، ولكنه في تأثيره يستحضر المعنى الثاني (المشار إليه، أو الذي يراد استحضار تأثيره). ولعله لذلك زعم جمع من النقاد الفلاسفة منهم ابن رشد أن هناك تخييلاً باللفظ وتخييلاً بالمعنى[٥].

إن التسليم بهذا المنطلق النظري يجرنا إلى أمر إذا تذكرنا أن الرمز في أغلب أحواله لفظ

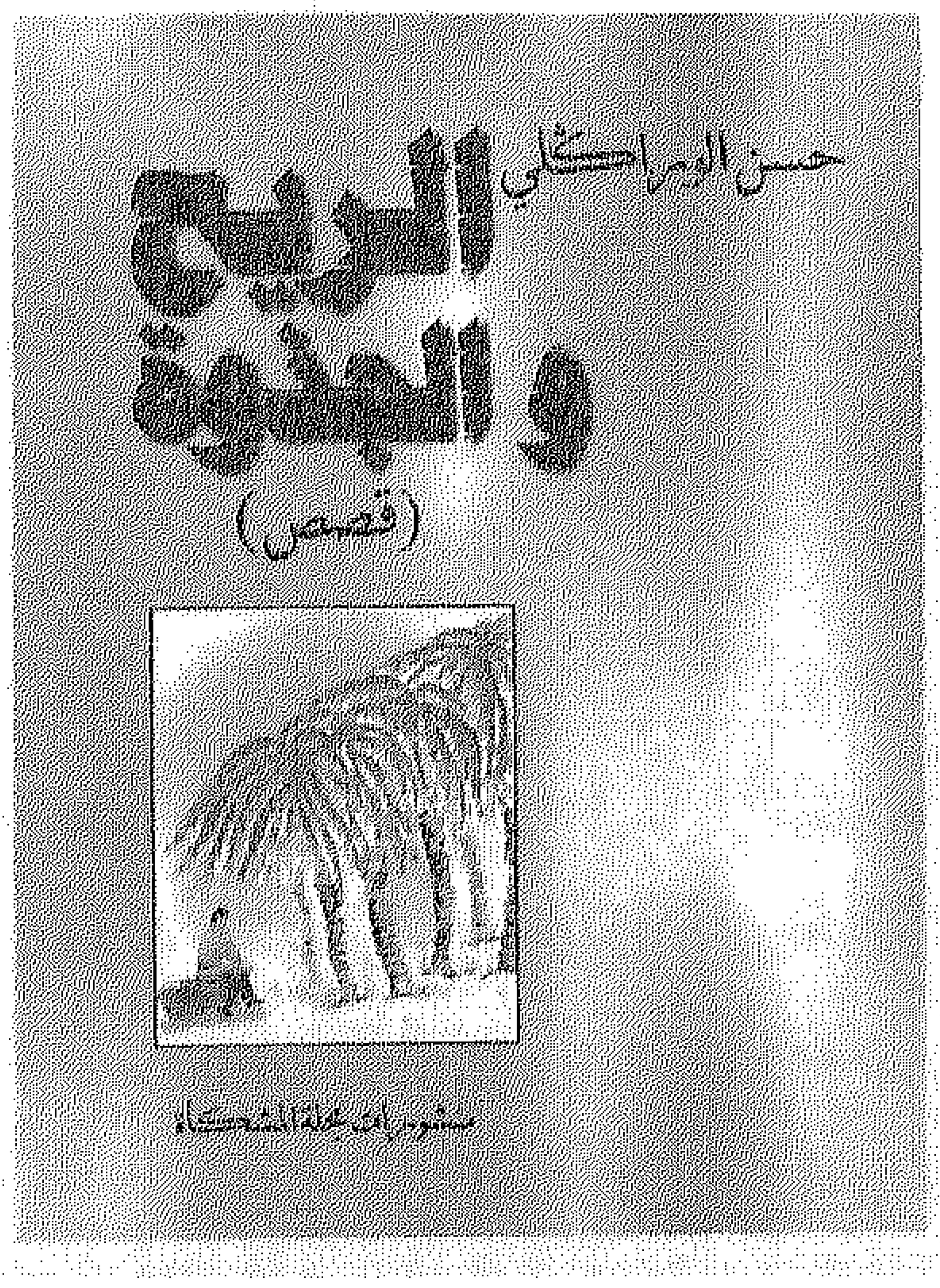

مستقل، فالرموز المركبة قليلة، لأن التركيب في الرمز ينافي خصيصة (التكثيف الدلالي) التي هي من خواص الرموز. وهذا الأمر هو أن الرمز معنى داخل المعنى، ودلالة داخل الدلالة، وأن هذه الدلالة ليست تابعة في كل الأحوال لدلالة بناء القصة أو لدلالة الهيئة الأسلوبية في القصة، أو لدلالة الهيئة النظمية فيها. فقد يكون بين دلالة القصة ودلالة الرمز تضاد أو تخالف، ولكنه عند التأمل لا يصل إلى أن يكون تعارضاً، لأن التضاد أو التخالف هنا إغناء أو تأنيس أو تنويع يحد من سورة معنى، أو يستحضر معنى آخر يحتاجه القاص يقوم مقام خلفية المسرح في المشهد المسرحي.

ج - أدوات الرمز:

وإذ قد تبين هذا، وأدركنا موقع دلالة الرمز بين سائر الدلالات وكيفية النظر إليها. فقد بقي أن نتحدث عن أدواته، لأن مجمل كلامنا سينصرف إلى أداة واحدة من هذه الأدوات، رأينا أنها الأبرز في قصة «الريح والجذوة» وهي أداة التضمين. وإنما يتم الحديث عن بقية الأدوات لأنها قد تتداخل في العمل الأدبي، وإنما يتم الفصل بينها لغرض منهجي يقتضي الفصل والتمييز. وهذه الأدوات في نظري هي:

أولاً: أداة التضمين: وطريقتها أن يضمن في العمل الأدبي نص سابق، على أن يكون هذا النص ذا دلالة رمزية أو قابلاً لأن يكون ذا دلالة رمزية.

ثانياً: أداة الإشارة: وطريقتها أن تتم الإشارة في الكلام إلى قضية لها بعد رمزي، أو يغلب على الذهن أن لها ذلك البعد.

ثالثاً: أداة العبارة: وطريقتها أن يذكر في الكلام لفظ يتقاطع أو يتصل بمدلول ليس له بعد رمزي، ولكن الكاتب يصنع له بعد

ذلك البعد عن طريق ربط خاص بين مدلوله في الكلام ومدلوله في القرآن أو التراث.

رابعاً: أداة الإيحاء: وطريقتها أن يُعتمد على نوع من الإحالة الذهنية، يحملها الكلام وتقتضيها العبارة ويؤيدها كلام قديم، أو حادث من حوادث التاريخ. وتتميز هذه الطريقة عن غيرها بأنها حمالة أوجه، إذ قد تتعدد الإحالات التي يقتضيها اللفظ الواحد، وبذلك فهي متميزة من هذا الوجه عن «أداة العبارة».

وكل هذه الأدوات نجدها مستعملة في قصة «الريح والجذوة»، لذلك نترك الحديث عن الجانب التمثيلي فيها لحين الوقوف على الجانب التطبيقي من الموضوع.

الجانب التطبيقي:

أ - العنوان: بين رمزية التضمين وتضمين الرمز:

تشرح هذه الأدوات التي سبق ذكرها دلالة العنوان الذي اخترته لهذه الدراسة، إذ اعتبرت الرمز عن طريق التضمين، رمزية تضمين. فالتضمين عادة يدرس في باب التناص لا في باب الرمز. ولكنه لما تجاوز معنى التضمين، الذي هو استعارة كلام من كلام لغرض بديعي، إلى أن يكون ذا دلالة رمزية، احتجت إلى تبين هذا التميز لمعرفة أن حديثي في التضمين لن يخرج عن هذه الدلالة إلى غيرها. فقلت: رمزية التضمين. ولما كانت بقية الحديث إنما هي في تضمين الرموز بأدواتها المختلفة لا غير، دون أن يكون في ذلك إشكالٌ كالإشكال السابق سميتُ ذلك: تضمين رمز. وصغت من هذين الطرفين عنوان هذه الدراسة.

على أنه قد تتوافق رمزية التضمين كما عرفتها مع التضمين مطلقاً في أمر، وهو خروج النص المضمن عن مقصده الأول إذا كانت «الألفاظ المشتركة صالحة لأن يدل بها على ذلك»[٦]. ومثال هذا النوع تضمين ابن الرومي لقول مهلهل:

فلولا الريح أسمع من بنجد
صليل البيض تُقرع بالذكور

أبيات هجاء[٧]. إلا أن خروج التضمين في رأيي، إذا كان ذا دلالة رمزية، قد يكون أوسع من هذا، لأنه قد يخرج عن مقصده الأول، ويخرج عن مقصد السياق نوع خروج.

ب - الرمز بين الكشف والتركيب:

أقصد بتركيب الرموز الجمع بينها للتوصل إلى صورة عامة للعمل الأدبي وهذه غاية لا أطلبها لاعتقادي أن قصة «الريح والجذوة» محتملة لأكثر من تركيب، وأن صاحبها لم يكتبها لنضع نحن عليها حاشية،ولكنه كتبها لتتعدد أساليب قراءاتها بتعدد القارئين، وإلا لكان قد تجنب استعمال الرمز أصلاً. فوظيفة الرمز، في نظري، هي تكثيف الدلالة وتنويعها وتعميق أدبية النص دون الخروج إلى إخفاء المعنى وتضليل القارئ. والرمز بهذه الشروط وبتلك الأدوات التي سبق ذكرها وبتلك الغايات، لا تكفي معه الموهبة المجردة، بل لابد مع ذلك من ثقافة واسعة. فالثقافة هي التي تدل على مكامن الرموز ومخابئها، كما أن الموهبة هي التي تسعف على حسن إيرادها واستعمالها.

وتركيب الرموز للتوصل إلى الصورة للعمل الأدبي شيء، والكشف عنها والبحث في ضوابطها وجوامعها شيء آخر. لأن الكشف عن الرمز مؤد بالضرورة إلى الكشف عن مشابهه، والكشف عن المتشابهات موصل إلى الكشف عن نظام هذه المتشابهات. لذلك أقول: إنني مع صبري نظري عن التركيب لم أصرفه عن البحث في نظام الرموز في هذه القصة. حيث أدت محاولة كشف تنوع رموز د. حسن الوراكلي وغناها إلى البحث في جوامعها التي تدل على أنها رموز غير مشتتة، ولا موضوعة على غير نظام. وأدى النظر في هذه الجوامع إلى القول بأنها محاور وثنائيات تعود كلها إلى ثنائية جامعة ومحور ضابط هو محور «النجاة والهلاك».

ج - ثنائية النجاة والهلاك في رموز «الريح والجذوة»:

١ -تعد ثنائية النجاة والهلاك ثنائية تقوم عليها حياة الإنسان كلها، فهو في مجمل حياته متردد بين هذين القطبين، بل إنه يؤول بعد حياته إلى أحد هذين المصيرين، لأن الجنة قمة النجاة، والنار قمة الهلاك. فبناء القصة في جانبها الرمزي خاصة على هذه الثنائية رجعٌ بمحاورها إلى قضية كبرى عليها قيام العالم وإليها مآله. وكون الضابط قضية تستحق أن يدور عليها الكلام من أساسيات الأدب الإسلامي في نظري، لأن الكلام يعظم بعظم موضوعه ويسفل بسفالته. ولأن المتأمل لكلام رب العالمين وكلام رسوله الكريم ﷺ يراه قوي الارتباط بجليل الموضوعات، أو مرتفعاً بها إلى جليل القضايا. وليس يعني هذا أنه لا يليق بالأديب أن يتعرض للمواضيع العادية، ولكنه يعني أنه مع تعرضه لها عليه أن يرتفع بها إلى أن تكون متصلة بقضايا عليها مدار الكون. وكل المواضيع صالحة لأن تكون كذلك، وإنما براعة الأديب في تنبهه لنوع من أنواع هذا الاتصال. وهذا الذي نسميه رؤية إسلامية، ولكنها رؤية إسلامية تستخرج من الكلام، وليست رؤية وعظية تظهر على سطح الكلام. فبذلك تتحقق الأدبية ويمكننا الحديث عن أدب إسلامي لا عن مضمون إسلامي في الأدب.

٢ - تظهر هذه الثنائية في القصة عن طريق أسلوبين:

أولهما: طريق تنوع رمزية اللفظ الواحد.

وثانيهما: طريق التقابل.

فأما الطريق الأول فيظهر في جملة مواضع منها: المطلع، في قوله: «رماد، رماد، رماد!»[٨] وتظهر ثنائية النجاة والهلاك هنا في كون لفظ «الرماد» له رمزية إيحائية[٩] مزدوجة نسميها إحالة ذهنية، فالإحالة الذهنية الأولى هي: الكرم والعطاء، لأن الرماد دليل على كثرة نصب القدور للأضياف. وفي حديث أم زرع أنها قالت: زوجي عظيم الرماد، أي كثير الأضياف.

والإحالة الذهنية الثانية، هي التدمير والهلاك، وفي الحديث: سألتُ ربي أن لا يسلط على أمتي سنة فترمدهم فأعطانيها، أي تهلكهم»[١٠].

ومنها قوله: «لا أحد يعير الاهتمام للحديث عن قرية ظالمة»[١١]. إذ يرتبط وصف القرية بالظالمة في القرآن الكريم بالإهلاك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[١٢]. وقوله سبحانه: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾[١٣]. وتدل صيغة التكثير في الآيتين على قوة هذا الارتباط. فيكون للقرية الظالمة رمزية عن طريق العبارة[١٤] هي رمزية الإهلاك والتدمير، غير أن هذا الإهلاك مقصور على الظالمين، وبذلك يظهر الوجه الآخر للثنائية وهو نجاة المؤمنين بهلاك الظالمين.

ويشبه هذا أيضاً قول الدكتور حسن الوراكي في قصته: «فتحت أبواب السماء بماء أخضر. ليس بالعذب ولا بالأجاج، اختلجت به عروق الأشجار على سفوح جبل الصراخ والصمت. وشهق بمقدمه المحار في قيعان بحر الصراخ والصمت»[١٥].

إن فتح أبواب السماء فيه إشارة[١٦] إلى قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[١٧]. وذلك عند الحديث عن الطوفان الذي أصاب قوم نوح، وقد كان فيه إهلاك للكافرين ونجاة للقلة التي آمنت مع نوح.

٣ - وأما الطريق الثاني وهو طريق التقابل فهو الأكثر استعمالاً في هذه القصة. وذلك بداية من عنوانها: «الريح.. والجذوة». وقد نشرت هذه القصة في مجلة «المشكاة» في عددها الأول (أبريل: ١٩٨٣م) تحت عنوان: الجذوة. ثم لما أعاد الدكتور الوراكلي نشرها ضمن هذه المجموعة سنة ١٩٩٩م غير عنوانها إلى: الريح والجذوة. فكأن هذا التقابل كان مقصوداً.

والتقابل هنا عباريُّ الرمزية[١٨]، ويدرك هذا بمعرفة أن الريح في القرآن مرتبطة بالعذاب ومقترنة بالصقيع والبرد الشديد، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١٩]. فالريح أداة إهلاك. وأن الجذوة رمز للنجاة والفوز، فقد كان طلب موسى للجذوة مفتاحاً لتلقيه الرسالة. قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٢٠]. وبذلك يتقابل الرمزان على أنه يمكن القول: إن للريح في غير القرآن رمزاً آخر، إذا أخذنا به كان طريقها طريق تنوع رمزية اللفظ الواحد، لأن هذه الريح هي التي هزم بها الله تعالى الأحزاب. فتكون الريح بذلك دالة على قطبي هذه الثنائية ويكون الدكتور حسن الوراكلي قد جمع بين الطريقتين في هذا العنوان، وهو ما يوضحه الرسم التالي:

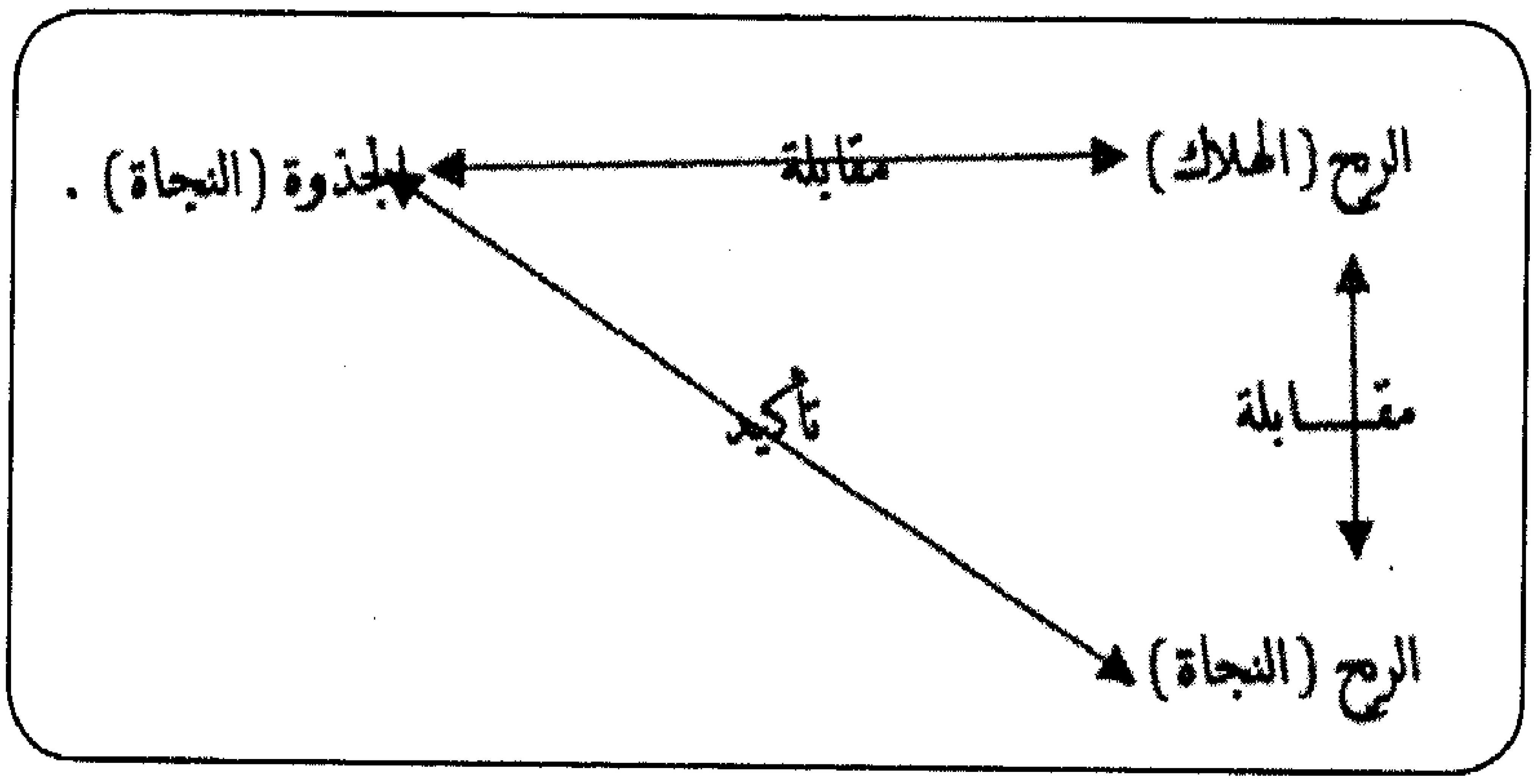

ويدل هذا الرسم على أن الغلبة في الدلالة الرمزية للعنوان للنجاة لا للهلاك، وتلك خصيصة من خصائص الأدب الإسلامي وهي خصيصة التفاؤل.

٤ - وهناك مقابلات أخرى في القصة دل عليها النظر يمكن ذكرها مجموعة، وتقسيمها إلى رموز دالة على هلاك، ورموز دالة على نجاة.

والحقيقة أنني لم أجد من الرموز الدالة على الهلاك غير ما سبق ذكره إلا رمزين أحدهما إيحائي والآخر عباري، فالإيحائي: السد، والعباري: الريح العاتية.

وقد ورد السد رمزاً في قول الدكتور حسن الوراكلي: «أحدث شخص، قيل أشخاصٌ... ثقباً في السد الذي كانت القرية تبعد عنه آلاف الأميال والأميال...»[٢١].

وإنما اعتبرت السد رمزاً للهلاك في الثقافة العربية لأنه مرتبط في التراث بانهيار سد مأرب، وفي الحديث النبوي الشريف بقرب خروج يأجوج ومأجوج، فقد ورد في الصحيحين وفي سنن الترمذي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ «استيقظ.. من نوم محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، يرددها ثلاث مرات، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم[٢٢] يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد عشراً»[٢٣]، ووردت عبارة (الريح العاتية) رمزاً في قول د. حسن الوراكلي: «في الهزيع الأخير من الليل انطلق رجال الأمن يطاردون ريحاً صرصراً عاتية»[٢٤].

والريح الصرصر[٢٥] العاتية هي أداة من أدوات الإهلاك في القرآن

الكريم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(٢٦). وفي إهلاك الكافرين نصرة للمؤمنين، فهي، في نظر المؤمن، أداة نصرة أيضاً. لذلك جعلها صاحب القصة تكشف عن جذوة نار، وقد سبق الكشف عن البعد الرمزي للجذوة فيما سبق(٢٧).

٥ - وعلى العكس الرموز الدالة على الهلاك، فإن الرموز الدالة على النجاة أوفر عدداً، وقد وردت كلها إشارية باستثناء واحد منها ورد إيحائياً عن طريق التضمين. وهذه هي جذع النخلة والجبل والبحر. وأما الذي ورد إيحائياً عن طريق التضمين، فهو قول د.الوراكلي: «ليتني أكون جذعاً حين يضوئ الفجر»(٢٨). وقد بينا أن الرمز عن طريق الإيحاء حمال أوجه، وهو هنا حامل لوجهين إذ لهذه العبارة إحالتان ذهنيتان مختلفتان، **أولاهما:** تستحضر قول دريد بن الصمة يوم حنين:

يا ليتني فيها جذع

أخب فيها وأضع

وثانيهما: تستحضر قول ورقة ابن نوفل، لما أخبره رسول الله خبر ما رأى: هذا الناموس(٢٩) الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك»(٣٠). والإحالة الأولى فيها حنين إلى نصرة الكفر، بينما الإحالة الثانية فيها حنين إلى نصرة الإيمان، وهو ما يرجحه قول صاحب القصة: «... حين يضوئ الفجر». لذلك كان جعلها في هذا الباب أولى من جعلها في باب الهلاك.

وأما بقية الرموز الدالة على النجاة والتي وردت إشارية كلها، فأولها: جذع النخلة، في قول د.الوراكلي: «نظر طويلاً إلى جذع النخلة، ثم تحول ببصره إلى حيث تتوالد الرياح في الأفق الشرقي كأفراس الأساطير في بلاد الصقيع»(٣١). وترتبط النخلة في القرآن الكريم بالولادة، إذ ورد ذكرها في موضعين كلاهما متعلق بولادة المسيح عليه السلام، وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾(٣٢). وقوله عز وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(٣٣). وترتبط النخلة في الحديث النبوي الشريف بالمؤمن والإيمان. فقد أخرج البخاري في صحيحه حديثاً عن ابن عمر أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ماهي؟. فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله. قال: هي النخلة»(٣٤). وقد حنت النخلة التي كان يخطب عندها

رسول الله ﷺ حتى كادت تنشق، وذلك لما عُمل له المنبر ﷺ (٣٥).

وثانيها: الجبل، وهو رمز في الثقافة الإسلامية للقوة والخضوع لله سبحانه وتعالى. قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣٦). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣٧). وقال رسول الله ﷺ عن أُحُد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»(٣٨). وهو في المعرفة الصوفية رمز للكشف لارتباطه بقصة سارية ابن زنيم. وهو رمز للنجاة لأن جيش سارية نجا لما سمع قول عمر: يا سارية الجبل!، وعلى هذه العبارة بنى. د. الوراكلي قوله: «إلى الجبل. إلى الجبل..»(٣٩). وقول د. الوراكلي: «هرعوا إلى الجبل.. تتقدمهم الدواب والأنعام»(٤٠). يؤيد هذا المعنى، لأنه جعل من الجبل معادلاً موضوعياً لسفينة نوح، لما جعل الدواب والأنعام تركب «سفينة الجبل».

وثالثها. البحر: وهو رمز للمعرفة والنجاة. فأما كونه رمزاً للمعرفة فلارتباطه بقصة التقاء موسى بالخضر عليهما السلام(٤١)، وأما كونه رمزاً للنجاة فلكونه كان سبباً لنجاة موسى عليه السلام ومن معه من فرعون وجنوده. قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(٤٢). وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(٤٣).

لذلك فإن تحول الناس عن الجبل إلى البحر في قول د. الوراكلي: «تحول الناس عن الجبل إلى البحر... (إلى البحر، إلى البحر...) هرعوا إلى البحر.. تتقدمهم الدواب والأنعام!»(٤٤) هو تحول من أداة نجاة إلى أداة نجاة أخرى، أو هو إلحاح في طلب النجاة. لذلك جعل الدواب والأنعام هنا تتقدمهم كما جعلها تتقدمهم عندما هرعوا إلى الجبل. ولنقل هنا كما قلنا قبل: إنه جعل من البحر كما جعل من الجبل معادلاً موضوعياً لسفينة نوح، لأن سفينة نوح التي أنجاها الله تعالى كان فيها من الناس والدواب والأنعام، ﴿من كل زوجين اثنين﴾(٤٥)، وجعله البحر الذي هو محل جريان السفن معادلاً موضوعياً للسفينة، قد يُلحق بنوع من المجاز مرسل مستحدث علاقته المحلية. ولا يخفى التناظر الذي بين البحر والسفينة إذ إن كليهما منتم إلى نفس الحقل الدلالي، وهو حقل البحر وما تعلق به. إلا أن السفينة عادة إنما تسعى إلى النجاة من البحر، ويسعى راكبوها إلى النجاة منه بها. فجعله البحر أداة للنجاة غاية في بعث الطمأنينة باستعمال الرمز، في قصة يغلب على ألفاظها معجم الذعر والعويل والصراخ والقيظ والكآبة والقتامة وما إلى ذلك. فيكون الرمز هنا أداة من أدوات «تأنيس المعاني» إذا جاز لنا في هذا المقام أن نستعير من حازم القرطاجني مصطلح التأنيس.

وتتحرك هذه الجموع في قصة «الريح والجذوة» للنجاة. فيقول د. الوراكلي:

«توقفت الجموع..

الناس والدواب والأنعام!

تحركت الجموع..

الناس والدواب والأنعام!

بلغت القلوب الحناجر..»(٤٦).

إن هذه العبارة الأخيرة تدل على أن الجموع في غاية الكرب، وهذا قد ينقض ما زعمته بأنها كانت في سبيلها إلى النجاة، إلا إذا أدركنا أنه ضمَّن هنا طرفاً من قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾(٤٧) فالتضمين هنا فيه إشارة إلى ما حدث في الخندق عندما أعقب شدة الكرب نجاة ونصر. وهذا ما لا تدل عليه العبارة ويدل عليه التضمين، وإذا دل على ذلك فقد أصبح رمزاً له، ويوضح

ذلك الرسم التالي:

بلغت القلوب الحناجر = الكرب ← التضمين ← الأحزاب ← الفوز والنجاة

فالتضمين هنا هو الذي أكسب هذه العبارة معناها الجديد، وهو الذي جعل معناها موحياً بالدلالات التي توحي بها كلمة «الأحزاب». لذلك أقول هنا: إن رمزية التضمين تميزت بدلالتها على عكس ما تدل عليه العبارة. وبأن هذه العبارة التي يظهر لأول وهلة أنها قمة التعبير عما يدل على الهلاك هي في الحقيقة قمة التعبير عما يدل على النجاة بعد كرب شديد.

وقد استعمل الدكتور الوراكلي هذا الأسلوب المعتمد على مخالفة دلالة الرمز لدلالة العبارة في مكان آخر من قصته مع تغيير أداة الرمز من رمز تضمين إلى ما سميته رمز إيحاء، وذلك في قوله:

«أشرفت الجموع على بوابات المدينة، مشلولة، خائرة القوى..

أرادوا اجتياز البوابات، فمنعوا!

هنالك.. دعوا إلى إبراز (هوياتهم)!»[48].

ذلك أن العبارة هنا تدل على أنهم منعوا من الدخول، والإحالة الذهنية الحاصلة من هذه العبارة توحي بأنهم رفضوا الغلبة لأنهم منعوا فامتنعوا، لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾[49]. فالمعنى الأول هو معنى المغلوب الذي قبل أن يكون مغلوباً، لأنه مشلول، خائر القوى[50]. والمعنى الثاني هو معنى المغلوب الذي قبل ذلك مع سهولة النصر الذي يكفي معه دخول الباب، لأنه متهاون عاص غير تواق إلى النصر.

وأظن أن هذه المخالفة هي إحدى ثلاثة أنواع من المخالفات نجدها في القصة بين دلالة الرمز وغيرها من الدلالات وهي:

١ - مخالفة دلالة الرمز لدلالة العبارة.

٢ - ومخالفة دلالة الرمز لدلالة السياق.

٣ - ومخالفة دلالة الرمز لدلالة المعجم.

لذلك لا يعطي سياق القصة

الهوامش:

١ - (ن) تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي: ٢٦، ٣٣ دار الكتاب العربي. بيروت. ط. ٨. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢ - إحسان عباس. القوس العذراء. مجلة الأدب الإسلامي: ٩٢. م٤. ع.١٦. ١٩٩٨م.

٣ - سحاب هَمِع: ماطر بنوئه على صيغة هَطِل. والعراص من السحاب: ما اضطرب فيه البرق وأظل من فوق فقرب حتى صار كالسقف ولا يكون إلا ذا رعد وبرق.

٤ - ن. المنهاج: ٣٦٠. (منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي. ط. ٣. بيروت. ١٩٨٦م.

٥ - ن. مثلاً. تلخيص الخطابة. ابن رشد. ٥٦٤. تحقيق وشرح: محمد سليم سالم. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة. ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٦ - المنهاج: ٣٣١.

٧ - ابن رشيق. العمدة: ٢/ ٧٠٤. ومنهاج البلغاء: ٣٣١. تحقيق: د. محمد قرقزان. دار المعرفة - بيروت. ط١. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨ - الريح والجذوة: ١٣. منشورات المشكاة. ط. ١ ماي. ١٩٩٩م.

٩ - (ن) الحديث السابق عن أداة الإيحاء.

١٠ - (ن) النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦هـ): ٢/ ٢٦٢. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. والفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري. (٤٦٧ - ٥٣٨هـ): ٢/ ٨٥. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة. لبنان. ط. ٢.

١١ - الريح والجذوة: ١٤.

١٢ - الحج: ٤٥.

١٣ - الأنبياء: ١١.

١٤ - (ن) الحديث السابق عن أداة العبارة.

١٥ - الريح والجذوة: ١٦.

١٦ - (ن) الحديث السابق عن أداة الإشارة.

١٧ - القمر: ١١.

١٨ - ما قلته عن أداة العبارة.

١٩ - (ن) آل عمران: ١١٧. وتأمل أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

المعاني نفسها التي رأينا الرمز يعطيها، ولا يشي المعجم الذي تغلب عليه ألفاظ الصقيع والرياح والصراخ والعويل، وما أشبه ذلك من ألفاظ دالة على الهلاك بما يشي به الرمز من دلالات نصر ونجاة. غير أن الحديث عن دلالة البناء قد يختلف بعض الاختلاف إذا أدركنا أن القصة تبدأ بقوله: «رماد، رماد، رماد!

الشعل، والجذوات، يا إلهي، تصير... صارت رمادا!»[51].

وتنتهي بقوله: «والجذوة تتوهج، تتوهج..

ومنها كان الفجر يقبس أنواره، يضوئ بها الآفاق والسراديب!»[52].

ولنسم بدء القصة بالحديث عن الجذوات وختمها بذكر توهج الجذوة ردا لعجز القصة على صدرها، فيكون قطع الكلام بذكر التوهج أعلق بالذهن، ويكون مصير تلك الجذوات التي كانت رمادا أنها عادت لتوهجها. فيكون بذلك المعنى الدال على نجاة تلك الجذوات من الخبو كتلك المعاني التي دلت عليها الرموز وهي معاني النجاة بعد معاينة الهلاك.

غير أن حصر الرموز المضمنة والتضمينات التي لها قوة الرمز لم يكن هدفاً أولياً في هذه الدراسة، وإنما كانت الغاية منها جملة أمور هي:

أولاً: تبيين غنى رموز هذه القصة والكشف عن ذلك.

ثانياً: تبيين تنوع هذه الرموز وتنوع الأدوات المستعملة فيها من تضمين أو إشارة أو عبارة أو إيحاء.

ثالثاً: تبيين أصالتها وارتباطها بالثقافة الإسلامية.

رابعاً: تبيين انتظامها ورجوعها إلى ضابط معين.

خامساً: تبيين أنها رموز قد اكتشفها صاحبها لم يحتذ حذو غيره فيها.

سادساً: تبيين أنها رموز لها قوة مخالفة السياق دون أن تفقد دلالة الحضور وحضور الدلالة. وهو ما سميته باقتران التخالف والتضاد.

فإن كنت قد استطعت أن أبين ذلك أو بعضه، فذلك من فضل الله تعالى ثم بسبب وفرة المادة التي يقدمها هذا العمل، وإن كنت قد أسأت من حيث ظننت أنني أحسنت، فيشفع لي حسن النية ومحاولة سد ثلمة أراها واضحة في جدار النقد الإسلامي■

لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴿٢٢﴾ (يونس)، وقوله سبحانه: ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴿٢٤﴾ (الأحقاف).

٢٠ - القصص: ٢٩.

٢١ - الريح والجذوة: ١٤.

٢٢ - أي سد.

٢٣ - الحديث بأسانيده ورواياته المختلفة في صحيح البخاري. حديث. ٢٠٩٧و٢٠٩٨ و٣٣٣١ و٤٨٨٣ و٦٥٢٥ و٦٦٠٢ و٦٦٠٣وصحيح مسلم. حديث. ٦١٢٨ و٥١٢٩ و٥١٣٠ وسنن الترمذي. حديث ٢١١٣ وسنن ابن ماجه. حديث٣٩٤٣. ومسند أحمد. حديث ٨١٤٥ و١٠٤٢٣ و٢٦١٤٥ و٢٦١٤٦ و٢٦١٤٨.

٢٤ - الريح والجذوة: ١٧.

٢٥ - الشديدة البرد أو الصوت.

٢٦ - الحاقة: ٦, ٧. وتأمل قوله سبحانه: ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴿١٦﴾ (فصلت)، وقوله عز وجل: ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ﴿١٩﴾ (القمر).

٢٧ - (ن) الريح والجذوة: ١٧.

٢٨ - الريح والجذوة: ١٦.

٢٩ - صاحب السر، والمراد: جبريل عليه السلام.

٣٠ - صحيح البخاري: حديث: ٣.

٣١ - الريح والجذوة: ١٤.

٣٢ - مريم: ٢٣.

٣٣ - مريم: ٢٥.

٣٤ - صحيح البخاري: حديث: ٥٩.

٣٥ - صحيح البخاري. حديث: ١٩٥٣.

٣٦ - الأعراف: ١٤٣.

٣٧ - الأعراف: ١٧١.

٣٨ - (ن) صحيح البخاري. حديث: ٢٦٧٥.

٣٩ - الريح والجذوة: ١٤.

٤٠ - الريح والجذوة: ١٤.

٤١ - الكهف: ٦٠ - ٨٢.

٤٢ - الشعراء: ٦٣.

٤٣ - البقرة: ٥٠، وكذلك قال سبحانه: ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿٩٠﴾ (يونس).

٤٤ - الريح والجذوة: ١٥.

٤٥ - المؤمنون: ٢٧. هود: ٤٠.

٤٦ - الريح والجذوة: ١٦.

٤٧ - الأحزاب: ١٠.

٤٨ - الريح والجذوة: ١٧.

٤٩ - المائدة: ٢٣ - ٢٤.

٥٠ - (ن) الريح والجذوة: ١٧.

٥١ - الريح والجذوة: ١٣.

٥٢ - الريح والجذوة: ١٤.

أمومة

بقلم: سامية حسين
مصر

توقفت الحافلة كعادتها يوميا في المحطة القريبة من المستشفى العام، كانت المقاعد جميعها مشغولة بركابها، لكن الزحام الشديد وضيق الوقت أو ضيق السعة دفع بعض الواقفين إلى صعود درجات سلمه، كانت هذه المحطة بالذات تذكرني برائحة الدواء النافذة التي تتصاعد إلى أنفي بمجرد مرورنا بجوار المستشفى كل صباح. حاولت تبرير ذلك بوجود بعض المرضين أو الممرضات من ركاب الحافلة.

من بين الركاب الجدد أثارت انتباهي سيدة سمراء الوجه، سوداء العينين، طويلة، ونحيفة، ترتدي جلبابا أسود، وتلف حول وجهها (إيشارباً) غامق اللون يكاد يخفي وجهها، ليست ملامحها أو ملابسها بغريبة، ولكن ما أثار انتباهي وانتباه الركاب معي هو التناقض البادي بينها وبين طفلها. نعم طفلها الذي حملته على كتفها، حقيقة لقد بدا كملاك بملابسه البيضاء الناصعة ووجهه الأبيض المستدير كالبدر، حتى الملاءة البيضاء التي لف فيها.

ما أعجب هذا التناقض؟

انشغل الركاب بالحديث عن أعمالهم وأحوالهم، ومنهم من انهمك في حل الكلمات المتقاطعة، أو انهمك في النوم العميق، وجدت نفسي مشغولة رغما عني بمراقبة السيدة السمراء التي احتضنت طفلها عند الباب، هرباً من الزحام. حرصتُ على مراقبة أمومتها الحانية وهي تمسكه بإحدى يديها، بينما تعلقت الأخرى بحامل حديدي، وجدتها حريصة على ألا تشعره بالاضطراب عندما نهتز جميعا في أحد المطبات. كانت حريصة على أن يأخذ قسطه الكامل من النوم الهادئ بعيدا عن معوقات الطريق.

بدت في ذروة انفعالها عندما مررنا بأحد المطبات، فشل السائق في تفاديه، وارتخت قبضتها على القضيب المعدني. أحسست وقتها بعروق يدها الممسكة بالطفل توشك على الانفجار. تخلت عن الحامل المعدني، واحتضنت الطفل بكلتا يديها، تعرضت للسقوط المفاجئ عندما تجاوز السائق المطب، ولم ينقذها سوى جذب الركاب لها لداخل الحافلة.

حينها أحسست بانتفاض جسمها بأكمله مع كل نبضة من نبضات قلبها، ووجدت شفتيها تنطقان بحمد الله وشكره. توقفت الحافلة في المحطة التالية ولكنها لم تنزل، بل صعد السلم كثير من الركاب الجدد الذين اصطفوا عند الباب فحجبوا عني رؤيتها تماما، ولكني من بين أجساد الركاب تمكنت من متابعة يديها. أظنها معبرة - أبلغ تعبير- عن وجه الأم وتغيرات الطريق.

بدا لي أن طريقها ما زال طويلا، مثلي تماما. انشغلت بعض الوقت بالرد على تساؤلات الراكب الجالس بجواري. سألني عن بعض إجابات للكلمات المتقاطعة، وكان واضحا أنه لا يجيد هذه اللعبة على الإطلاق. لقد كانت أسئلته تافهة ومحاولاته لإجابتها مضحكة. بدأ بقراءة الأسئلة عليّ حتى قبل أن يفكر فيها، وتطور الأمر حتى صارت مسابقة جماهيرية اشترك فيها أغلب الركاب، وعدت أنا لأراقب السيدة وطفلها.

كان الحظ حليفي عندما توقفت الحافلة في إحدى المحطات ونزل الراكب الجالس بجواري. لم تستعد السيدة للنزول، فحجزت لها المكان ودعوتها للجلوس بجواري، فجلست شاكرة. أحسست بنبرة الحزن الدفينة في كلماتها وخجلت من الاستمرار في النظر إليها.

كان طريقي اليوم طويلاً أطول من كل صباح، لأني اعتدت أن أرافق إحدى زميلاتي كي أقطع الطريق في

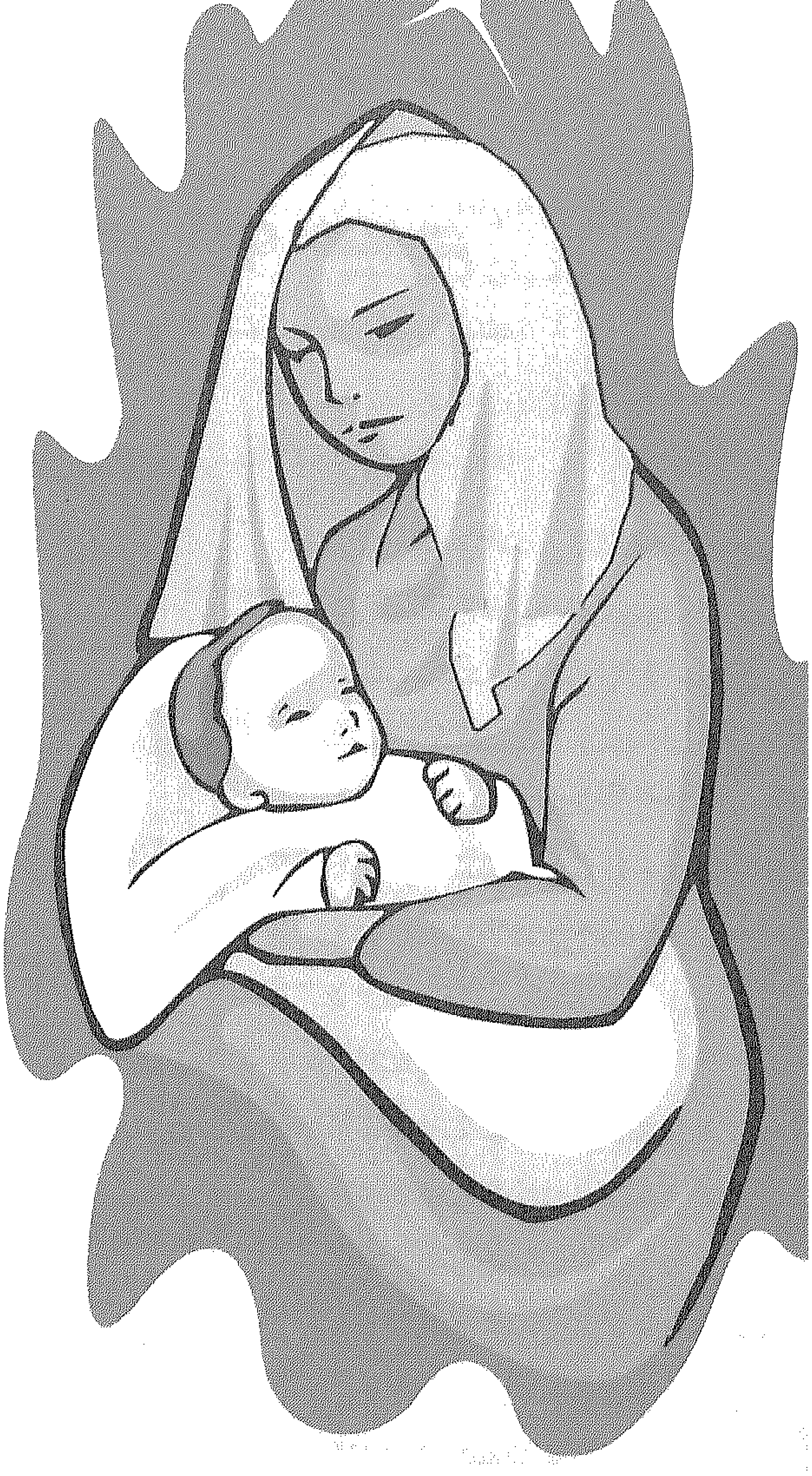

الحديث معها، تخيلت أن هذه السيدة ربما تحادثني، ولكنها لم تفعل، فلقد انهمكت في مراقبة الطفل بأسى بالغ. أردت أن أفتح مجالاً للحوار فقلت:

- طفلك رائع.. ما اسمه؟

- اسمه «نور».. ولكنه ليس ابني!

- اسم على مسمى.

نطقتها وأنا سعيدة باستنتاجي الأولي، بأن هذا الطفل لا يشبهها كثيرا.

كنت محرجة بشأن سؤالي القادم، وبدا ارتباكي. وجدتها تنظر إليّ، وقد فهمت سؤالي فجاء الرد واضحاً:

- ابن أختي.. مات أبوه منذ يومين.

تلقيت الصدمة بحزن، ولكنها لم تفسح مجالا لحزني، فلاحقتني بدموع كلماتها:

- وماتت أمه منذ ساعة.

أحسست ساعتها بدوار في رأسي، وانتابني الحزن. فوجئت بدموعي تبلل وجهي، ويديّ اللتين حاولت بهما إخفاء ضعفي.

أدركت ما أصاب هذه السيدة، فأردت التخفيف عنها من خلال الكلام، وإرضاء لرغبتي في معرفة قصة هذا الطفل اليتيم.

- أهي حادثة؟

أجابت وقد اختلطت كلماتها بعبراتها، فصارتا مزيجاً من الحزن والوفاء:

- نعم.. حادثة سيارة، عندما خافت أختي على طفلها من خطر الارتطام، تقوقعت حوله. احتضنته بكل جسدها، كي تحميه، انتزعوه منها في المستشفى، فأصرت على احتضانه حتى... الموت!

صرخ الطفل فجأة عندما استيقظ من نومه، ربما كان جائعاً، انزعجت الأم بشدة، وبدأت تربته في حنو بالغ، حتى توقف عن البكاء فواصلت حديثها:

- مات أبوه.. قبل وصوله للمستشفى مباشرة، أما أمه فقد تشبثت بالحياة، حتى تحملني هذه الأمانة في عنقي، وتطمئن على بقائه معي، فهو يتيم الأبوين الآن.

انخرطت في بكاء عنيف، وانكفأت على الطفل تقبله، بللت وجهه بدموعها والطفل يحتضنها بعينيه، لا يحول بصره عنها، مسحت عنه دموعها، وبدأت ملاعبته ومداعبته، وأخفت أحزانا وراء ملاطفته الضاحكة. ربتُّ كتفها وأنا حائرة فيما يجب قوله:

- ليرعه الله ويتوله برحمته.. أنت الآن أمه.

أجابت في حنو:

- ربنا يحفظك يا ابنتي، يجب أن أنزل الآن، فهذه هي محطتي.

اخترقت طريقها بين الزحام، وهي تحتضنه بكلتا يديها، وعندما وصلت إلى الباب كادت رأس الصغير تصطدم بالحافة حتى لفت أحد الركاب انتباهها بقوله:

- حاسبي على ابنك يا حاجة!■

يوسف عبداللطيف أبو سعد

١٣٥٦ - ١٤١٩هـ

❖ **حياته العلمية:**

- يوسف عبداللطيف سعد أبو سعد.
- من مواليد عام ١٣٥٦هـ، في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء شرقي المملكة العربية السعودية.
- واصل التعليم في المراحل الثلاث في مسقط رأسه.
- تخرج في كلية الآداب وحاز على درجة البكالوريوس في آداب اللغة العربية، من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٩٠هـ.
- حصل على دبلوم عام في الإدارة المدرسية من كلية التربية بالجامعة المذكورة عام ١٣٩٧هـ.
- اشترك في دورتين في الجامعة الأمريكية في بيروت، إحداهما في عام ١٣٨٢هـ، في فن المكتبات، والأخرى في العام الذي يليه في الإدارة المدرسية والتعليم التربوي.
- اشترك في دورة في الإدارة المدرسية في معهد الإدارة العامة بالرياض في عام ١٣٩٣هـ.
- اشترك في دورات أخرى في مدينة الطائف بالسعودية في المجال التربوي.
- توفي عام ١٤١٩هـ - رحمه الله-

❖ **حياته العملية :**

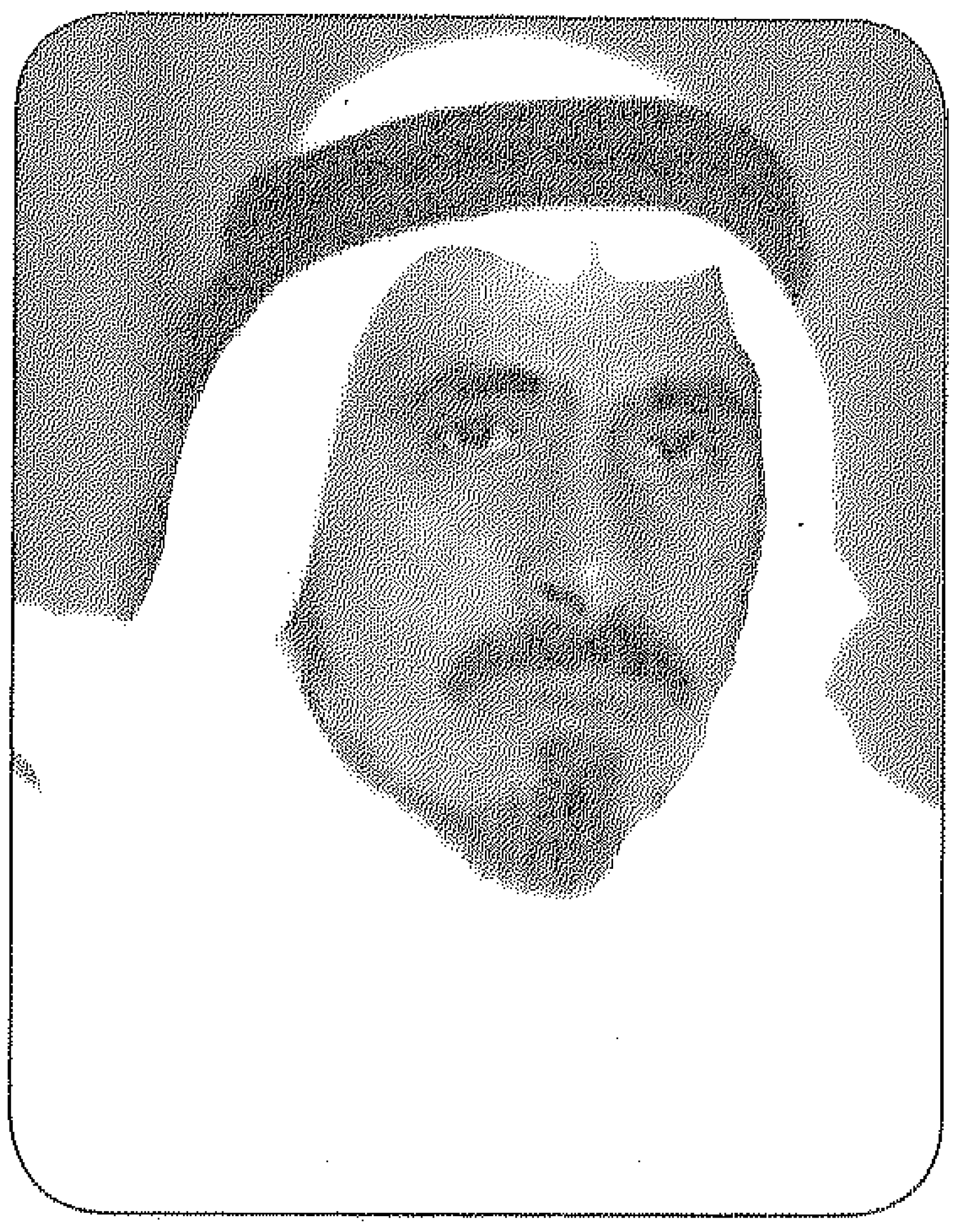

- زاول العمل في وقت مبكر لظروف قاهرة أجبرته على ذلك، فعين مدرسا منذ عام ١٣٧٥هـ، ثم مدير مدرسة
- زاول الشعر منذ الصفين الأخيرين من المرحلة الابتدائية، وعمره آنذاك خمسة عشر عاما.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- عضو في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.
- أسهم بنتاجه الشعري في مجالات كثيرة كالمناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية.
- شارك في أمسيات شعرية عديدة.
- نشر جزءا كبيرا من إبداعه في الصحف والمجلات المحلية والخليجية.
- له تجارب في شعر التفعيلة إلى جانب الشعر العمودي الموحد القافية والمتعدد القوافي.
- منحه النادي الأدبي بالشرقية شهادة براءة في الأدب وقدم له درع النادي.

❖ **دواوينه الشعرية:**

- زفير الناي، ط١ ، ١٣٨٧هـ.
- أغاريد من واحة النخيل، ط١ ، ١٤٠٦هـ.
- شواطئ الحرمان، ط١ ، ١٤٠٨هـ
- تقاسيم على غور الشجن، ط١، ١٤٠٩هـ.
- تقاسيم على زوارق الأيام، ط١، ١٤١٢هـ.
- قطرات من بحيرة العشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- بقايا الرذاذ، ط١، ١٤١٣هـ.
- البحر والصفصاف[١].

---

(١) معجم الأدباء الإسلاميين، تأليف الأستاذ أحمد الجدع، دار الضياء، عمان، الأردن.

(٢) من قصيدته (سرايفو والجراح النازفة)، ديوان البوسنة والهرسك، ص٣٦، من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض.

❖ نموذج من شعره:

أترضى أن تهان بها نفوس
على مضض تمزق أو تسام؟

وحاشا أن نكون أقل عزما
إذا بحياضها اشتجر الزحام

فدون الدين نرخص كل غال
ونصمد لو تصيدنا الحمام

لموت في مناخ العز عيش
وعيش في فخاخ الذل سام

فإما أن نعيش حياة عز
يعفر من يعادينا الرغام

وإما بالشهادة نشتريها
منازل، إنها نعم المرام

فطيري يا نفوس ولا تحطي
على سفح إذا اعتكر القتام

ولا ترضي بدون العز دنيا
وحطي حيثما ارتفع المقام

(سرايفو) اطمئني لا تراعي
فعين الله يقظى لا تنام

سيطعن مهجة الظلماء فجر
يرفرف في مطارفه السلام(٢)

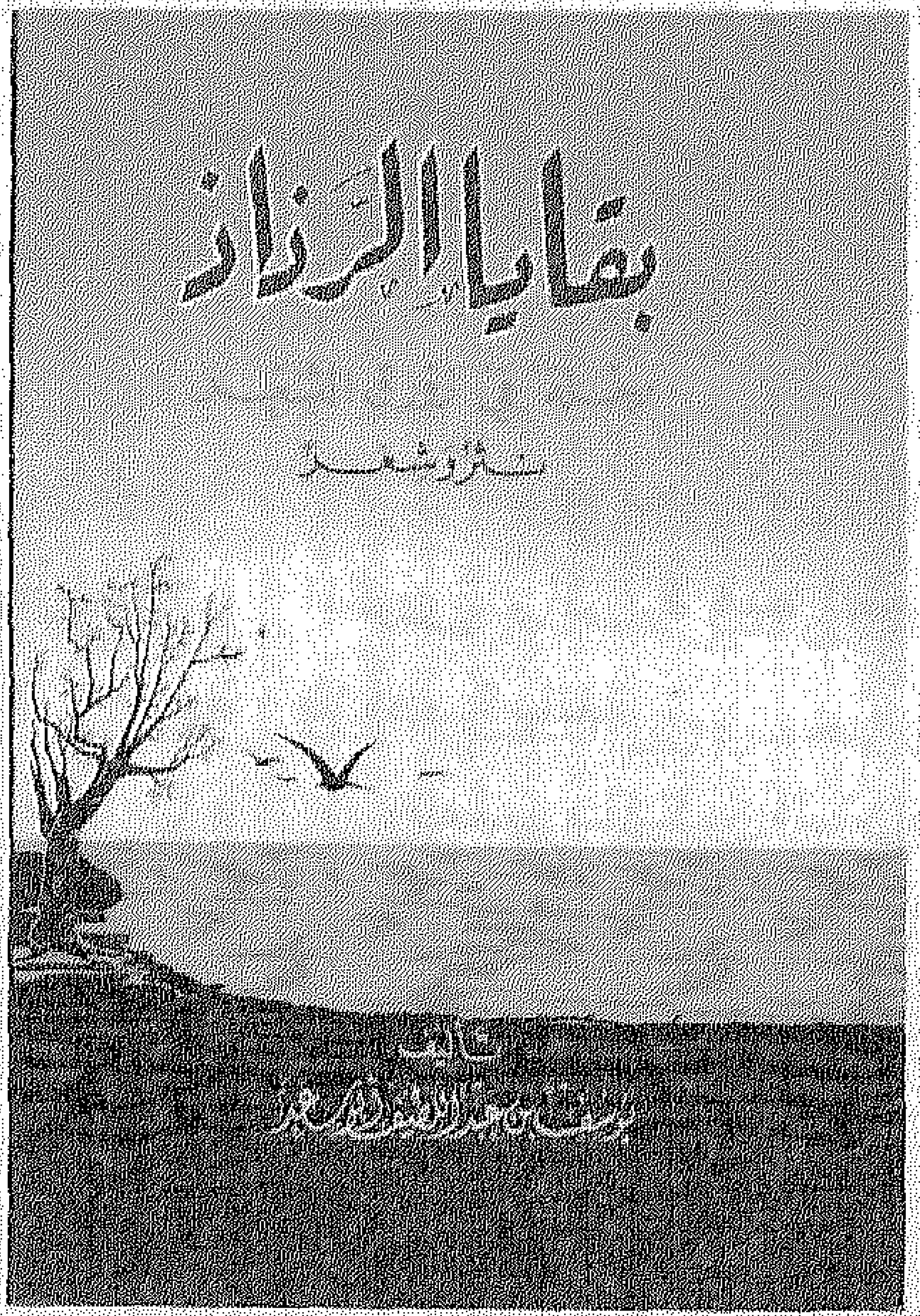

تكوين

بقلم: مصطفى ملح
المغرب

هنّ بيت الأجنة يحملنها أشهرا تسعة،
فإذا اكتمل العظم أخرجنها للحياة،
فكان صُراخ الوليد البدائي
أول ماتلد اللغة الأولى..

❖❖❖

هن أطعمن من دمهن،
وغطين عُري الجنين بأحشائهن،
وألبسنه لحمهن الجريح،
ووارينه في البطون الحنونة
خوفا عليه من الناس والدنيا..

❖❖❖

هن تاج الأمومة:
ينهض قبل الديوك وقبل الشعاع،
وليس لهن أنيس سوى نار مطبخهن،
ونجمة فجر يقاسمنها عزلة الفجر،
حتى إذا قام أبناؤهن
ملأن لهم قدحا من حليب الصباح الجميل..

❖❖❖

هن أعطين كل حضارتهن:
نسجن المعاطف من وبر الكائن الوحشي،
احتطبن الهشيم من الطرقات البعيدة،
قدن قطيع الخراف إلى ظل مرتعه،
بعن كل دمالجهن لأجل الصغار،
وهاهن أولات في آخر العُمر شُخّ
فمن يذكر الآن يا صاحبي
أشهرا تسعة
حين كانت أرحامهن لنا مسكنا؟!

طيور المواقيت وحركية الصورة الشعرية في ديوان: الأبجدية والمدارات الأخر

بقلم: هيثم الحاج علي*
مصر

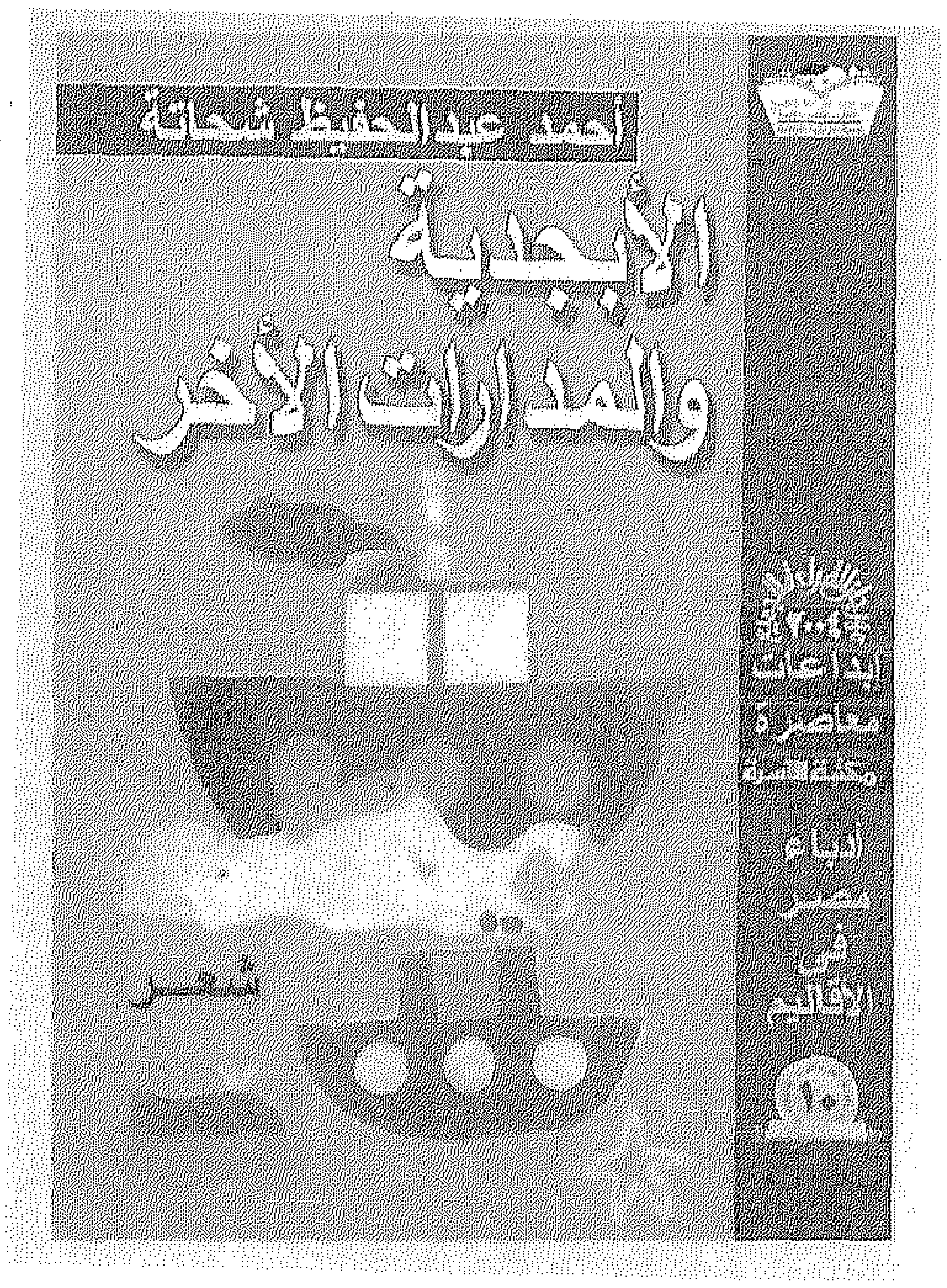

يعبر الشعر عن رؤية إبداعية للكون، رؤية تستخدم اللغة في صياغة موقف الشاعر صياغة مجاوزة، وهي ذات الصياغة التي تهدف إلى توسيع الدائرة اللغوية، وإنتاج لغة جديدة، وهو الأمر الذي يجعل من وظيفة الشاعر وظيفتين متجادلتين، إحداهما تتعلق باستخدام اللغة بوصفها أداة للتعبير عن فرادة التجربة، والأخرى تهدف إلى التطوير الجذري لهذه الأداة وآليات استخدامها، وربما يكون الحكم على أهمية أية تجربة نابعاً - في نقاط ارتكازه الأهم - من النظر إلى هذين الشقين الوظيفيين في البداية. وهو النظر الذي لا يغفل موقع التجربة الإبداعية بناء على هذه الاستخدامات، من باقي تجارب جايلتها أو جادلتها.

وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الشاعر أحمد عبدالحفيظ شحاتة بوصفه واحداً من الأصوات الشعرية المهمة من حيث محافظته على اتجاه ثابت لأدائه الشعري، وتطويره، وهو الاتجاه الذي يمتلك مقوماته الواضحة التي تظهر داخل نصوصه وتجعلها ذات سمت خاص، ونكهة متميزة، بحيث تبدو تجربة الشاعر واحدة من التجارب التي تتعمد غرس جذورها في أرضية تراثية، لكنها لا تحد مداها بهذه الأرضية، بل تجعلها منطلقاً لها للولوج إلى حقائق لم يرتدها السابقون، وهو ما يجعله يرتاد آفاقاً توسع من مدلولات هذا التراث، وهو الأمر الذي يجعل من النظر إلى المكون التراثي في هذه التجربة أمراً ذا أهمية بالغة.

ونعني بالمكون التراثي ذلك الجانب الذي يمكن ملاحظته في اختيار الألفاظ، حيث يختار الشاعر ألفاظه بدقة شديدة معتمداً على تلك النوعية المهجورة

* مدرس مساعد بكلية آداب حلوان

وغير المستخدمة في الواقع الراهن على اختلاف مستوياته وكأننا به يجوب القواميس بحثاً وحرثاً ليخرج منها بهذه الألفاظ التي تشعر بها الأذن المعاصرة، إنها الألفاظ المعجمية بامتياز والتي تنتشر في هذا الديوان، بل لا نغالي إذا قلنا إنها تنتشر في كل نصوص تجربة أحمد عبدالحفيظ شحاتة بصورة لا يمكن إغفالها، أو إغفال التساؤل الأهم بصددها.

هل الجنوح نحو ألفاظ مهجورة يؤثر سلباً أم إيجاباً على التجربة الشعرية؟

غير أنه للإجابة على مثل هذا التساؤل يستلزم الأمر النظر إلى الكيفية التي يتعامل بها الشاعر مع هذه الألفاظ وطريقته في استنطاقها لدلالات مغايرة لدلالاتها المعجمية، إن الشاعر يقف ههنا موقف المنتج للدلالة، والذي لا يقتصر على استخدام دلالة معجمية بل يتعداها إلى جعل تلك اللفظة المهجورة مستخدمة في إطار تضايفها وتجاورها مع ألفاظ أخرى لتسطع الصورة الشعرية مؤكدة الحال الشعري الذي تعبر عنه تجربته.

ومن الضروري النظر - كذا - إلى مكون تراثي آخر يؤثر في بناء النص الشعري في ديوان «الأبجدية والمدارات الأخر» لأحمد عبدالحفيظ شحاتة، ألا وهو الاعتماد على السوائر والشوارد بوصفها متكآت مفصلية،

أحمد عبدالحفيظ شحاتة

يعتمد عليها الشاعر في تحويل مسار النص بحيث لا يبدو ذا اتجاه واحد أو سرعة ثابتة، وبصورة تؤكد على كونها لازمة لغوية مموسقة تسهم في خلق إيقاع دلالي ممتد عبر النص وهو ما يمكن أن نلحظه في قصيدة «مداولات الخرائط والظل» حيث يبدو التساؤل المكرر بؤرة للولوج إلى عالم الملاحظة الحسية القائمة على استخدام الصوت والصورة.

فلمن تتعرى سواحل هند

وترمي ضفائر أشجارها؟

إن هذا التساؤل يقوم بدور أساسي في تحويل شكل التركيب الشعري المعتمد على تراكم الصور والمجردات حين يقول مثلها:

ترج السموات روحي

وترسل قلبي

شبابة

داخل بالخروج / الدخول/ الخصام/ الوئام.

ليتحول الإيقاع الدلالي والتركيب بعد التساؤل:

تلم مواقيتهم شهباً من دمى

ولها مالها

صولجاناتُ

وصنوج صباها

طوالعها والخوارق

حيث تبدو الصورة أكثر امتلاءً بالحسي. وحيث يبدو للصوت وجوده الحيوي المفارق. خاصة عندما يظهر في شكله المفخم ذي الانتشار الواسع في تكرار أصوات الصاد والطاء والجيم. إن هذا التركيب الذي نراه بعد التساؤل يؤدي دوره الأكبر عند مقارنته بالتركيب الأشد هدوءاً وتجريداً فيما قبله.

غير أن التساؤل - نفسه - عندما يتكرر مؤكداً وظيفته بوصفه لازمة لغوية فإنه في الوقت ذاته يؤدي إلى تحول آخر في الطريقة التي ينبني بها التركيب فيقول بعدها مباشرة:

سهول تطارد بالغيم أصداؤها

وغمامٌ

تُمزق أثوابه بالسهول

ولا شيء.. لاشيء

ليتحول الصوت الزاعق إلى همس، والصورة الصارخة الألوان إلى صورة يسيطر عليها الغيم فتبهت ألوانها شيئاً فشيئاً لتصير إلى ذبول أخير يتوافق مع انتهاء النص.

ينطلق شاعرنا من اللفظة - إذن - ليجوب بها عالمه الخاص، وليمنحها حياة جديدة مستمدة من وجودها في النص، حتى ليبدو نصه في بعض الأحيان محملاً بما ينوء به من ذلك النوع من الألفاظ، بيد أن التكوين المميز للصورة يواري هذه السمة لتبدو على السطح المعالجة المبتكرة للخيال الشعري.. إنه قد ينافي - أحيانًا - الشروط الواجب اتباعها في اللفظة الشعرية من حيث عدم كونها غريبة، لكن تلك المنافاة تفتح باباً جديداً لتعامل خاص مع اللغة عموماً، تلك اللغة التي تنبع من الذات لكنها لا تقف عند حدودها فتشع علاقاتها الخاصة.

أنت لم تنكر الدل

جبت المدائن، بحر الرمال

تكسرت، قمت، انثنيت،انشطرت

تلاشيت، ذبت، تجمعت في جذوةٍ

قبلة، جمرة

ونلاحظ في هذا المقطع كيف يمكن أن تنبني الصورة الشعرية على الحركة من خلال تراكم الأفعال وتتابعها في صورة تنتفي معها (استاتيكية) الصورة الشعرية، ليصبح الفعل لوناً، خيالاً تتحمله الحالة الشعرية، وإذا كان الفعل يحمل في طياته زمناً، وسردية لا يمكن إغفالها تضفي حركة واضحة على القصيدة فإن مما لا يجوز إغفاله - كذا - تلك المقاطع الحافلة بالسرد والتي تتخذ في نصوص أحمد عبدالحفيظ شحاتة مكاناً ذا أهمية كبرى، فهي مفتتح النص ونقطة بدايته المشعة لتجربته في «مداولات الخرائط والظل» يقول:

من الباحة الضيقة

خرجت وألقيت ظلي

طاردته ومررت عليه

فأدبر

ثم انمحى

حيث تبدو عناصر السرد واضحة من شخوص: الأنا، والظل، ومكان من الباحة الضيقة، وأزمة متصاعدة ظاهرة في توالي الأفعال، وانفراجة أخيرة، أو لحظة تنور تبدو في انمحاء الظل. لكن هذه المقطوعة السردية - وإن قامت بفعل إبداعي في حد ذاتها - ستبدو أهميتها بما تنتجه من علائق مع باقي النص حيث يبدو الأنا في حضوره المهيمن، والجدلي مع الظل ممتداً على مدار النص.

فضائي علقته في غيابي

يفر من الحلم للحلم

ليصبح انمحاء الظل معادلاً للغياب الذي يصير متكأ لصياغة هذا الغياب/ الفراغ شعراً «أرجوزة من عجين الفراغ».

إن للجملة الفعلية في نصوص شاعرنا سحرها الأكيد الذي يبدو في منح النص الشعري حياته الخاصة، وفي قصيدته «فضاء» خير دليل على هذه الحياة المتفردة.

الفضاء الذي لوحته البراكين

يفتح كل مساءٍ

حقائب غيم

معلقة في جدار النشيد

يدخل في معطف الذكريات

غريباً تشاكل في غرفة الروح

ينشر فضته

ينثني بالممر

يحدق في اللافضاء

إن هذه الصورة التي يصوغها الشاعر معبرة عن الفضاء تبدو في حركتها الحية راسمة ذلك «الفضاء» (لاحظ الدلالة) في جدليته مع باقي عناصرها لتتصاعد تلك الجدلية واصلة في النهاية إلى قمتها حين يحدق الفضاء في اللافضاء.. لتبدو لنا أهمية تقنية التشخيص التي يعتمدها الشاعر - في معظم نصوص الديوان - لإسباغ الحياة على المجردات التي ينطلق منها خيال تجربته، والتي يبدو عالمه الشعري من خلالها ذلك العالم الذي ينطلق بالضرورة من غير المحدد ليصل في النهاية إلى تحديد ما ليس بمحدد دون تقييده على إطار واحد.

إن دلالة الفضاء والفراغ على مدار الديوان توحيان بامتلاء دلالي.

فالفراغ

فضاءين بينهما برزخ

(قصيدة : والأغاني سفر).

وهذا الامتلاء الدلالي ينصبغ بمكونات عالم القصيدة الموغل في الخصوصية الذي يعتمد - كما أسلفنا - على سلب القصيدة

بسكونيتها وتحويلها إلى صورة حركية معتمدة على توالد الأفعال ليصبح الخيال الشعري متعلقاً بإيقاع زمني ناتج عن بنى سردية متضمنة داخل صورة شديدة التركيب.

غير أن الإشارة إلى الإيقاع الزمني في نصوص أحمد عبدالحفيظ شحاتة تجعلنا نلتفت إلى أهمية ملاحظة دلالة الوقت المتكررة في كل نصوص الديوان، وبداية من العنوان الذي تبدو فيه علاقة اللغة (الأبجدية) بالزمن - مشاراً إليه فيما يؤدي إلى الإحساس به (المدارات) إلى تكرار مشتقات جذر (الوقت) في غالبية النصوص ولنلاحظ:

- باضت مواقيتهم حجراً في يديك
- وبي مزهر الوقت منغرس
- أنا مزهر الوقت
- تلم مواقيتهم شهباً من دمي

(قصيدة: مداولات الخرائط...)

- تخرج عن رصيف الوقت

(قصيدة:الأبجدية والمدارات...)

- الفضاء الذي خبأته المواقيت
- كالنار تحت الرماد

(قصيدة: فضاء)

- أصداء المواقيت
- له أرخبيل الحداء

(قصيدة: مداخلات شجرة الحداء...)

- يتهدج موج المواقيت في زيتها

(قصيدة: وقال لي البحر...)

- طيور المواقيت صداحة

(قصيدة: الوحي...)

وهكذا بتواتر واضح لا يمكن إنكاره، يضاف إليه المفردات الدالة على الزمن أو أجزائه أو قياسه، ليبدو لعامل الزمن -الوقت أهميته الخاصة في تكوين عالم الديوان الشعري، من حيث هو إشكالية الذات الشاعرة مع عالمها، تلك الإشكالية التي تحاول هذه الذات التعامل جمالياً معها وتشكيلها لغوياً، وهو ما يتضافر مع الاستخدام الشعري المميز للأفعال، حتى ليبدو العنصر الأهم - حسبما أرى - في هذه التجربة هو صراع الذات مع الزمن وما ينتج عن هذا الصراع من تجارب.

وككل فضاء شعري، تبزغ نجمة لها من الخصوصية مالها، وهكذا ففي فضاء هذا الديوان تنفرد بوجودها قصيدة «الوحي»، لا من حيث فرادة الموضوع فقط، ولكن من حيث الرؤية والمعالجة، حيث يلتقط الشاعر لحظة الوحي القرآني الأول، ويقدم رؤيته التشكيلية الممتدة من خلال مفردات هذه اللحظة في تكوين بديع يتفاعل مع كل ما يختلج داخل هذه اللحظة المتفردة، وعلى الرغم من أن الموضوع متأصل في التراث، فإن الشاعر يقدم شكلاً حداثياً في قصيدته يعتمد على تكوين خاص للتركيب الشعري، وهو الجمع الذي نرى فيه ريادة واضحة لشاعرنا، حين استطاع التعبير بشفافية واضحة، وبتشكيل جمالي تمتزج فيه عناصر القصيدة لتكوّن كلاً متسقاً عن لحظة طالما حبست داخل إطار التعبير التقليدي، فهو لا يحبس تعبيره داخل التفاصيل فقط،

بل يرى مقدمات هذه اللحظة في الكون:

نفحة من عرار ندى الفجر
دفاقة
وبحار خطى الضوء فيها
تمور
طيور المواقيت صداحة

فاللحظة التي يلتقطها وإن كان لها أثرها الكبير على البشرية كلها، فإنها سيدة الوقت الزمن، ولذا فهي جزء وثيق الصلة بتجربة الشاعر، بالقدر الذي يجعلها زمناً خاصاً تتوقف فيه إشكالية صراع الذات الشاعرة مع الزمن، ليتوقف الزمن - كذلك - معلناً سيادة هذه اللحظة عليها لأنها الحد الفاصل الذي يبدو معه الكون فرحاً يموج بالشفافية:

الملائك تياهة
والنسائم في الأرج الكوثري
ملاب يرق

وتمهد هذه المقدمات للتقرير التالي لها والذي يبدو مستخدماً لغة شديدة الهدوء والتأني في تكوينها:

فالبريد السماوي
للأرض ينزل
بالنور للنور
ناموسه في حراء

ويجب أن نلاحظ البراعة في استخدام التشاكل اللفظي لتكوين الاستعارة التي تضفي جمالاً على التركيب معتمدة على حروف الجر في (بالنور للنور) وهو ما يتكرر في التعبير: فالنداء من الحق بالحق (اقرأ).

غير أن ما يميز هذه القصيدة عن أخواتها اللاتي تعالج الموضوع نفسه هو اتساع الرؤية، وشفافية التكوين لتبدو القصيدة نفسها علامة مهمة في تجربة أحمد عبدالحفيظ شحاتة، لا نغالي إذا قلنا: إنها ذات صوت خاص جداً نتج عن صدورها رؤية أصيلة أدخلت الذات الشاعرة في الرؤية، وإن لم تتشخص واضحة على مدار النص:

الأماسي ترهف للصبح آذانها
والرمال
بجوف الصحارى
تسيل

انتظاراً لدفقة الوحي الأولى التي ستغير وجه العالم، ذلك الانتظار الذي يتبدى واضحاً في تكرار اللازمة «أرحنا بها يا بلال».. وعلى الرغم من أن القصيدة لم تتخلص تماماً من المباشرة التي عولج بها هذا الموضوع في قصائد سبقتها على مدار أربعة عشر قرناً فإن مما يجب ملاحظته أن الشاعر لم يقف عند حدود سطح تعبيراته المباشرة، بل أتت له طائعة ذائبة في لحمة تجربته حتى إن القارئ لا يلاحظ مباشرة في ذلك، بل هو التعبير الشفيف عن لحظة إلهية السمات - يقول:

طيور المواقيت تصدح: ماذا؟
هو الله رب السموات والأرض
يوحي
إلى خاتم الأنبياء.

يتبدى إذن صوت أحمد عبدالحفيظ شحاتة صوتاً خاصاً يسهم إسهاماً واضحاً ومهماً في تكوين المشهد الشعري العربي، عن طريق الثبات القوي على أرضية تراثية، تتفاعل بجلاء مع مكونات الحاضر لتطلق تجربته الجمالية الخاصة، التي على الرغم من إمكانية اتصالها بتجربة الحداثة العربية - فإنها لا تنبت عن تراثها بل تعتمد على هذا التراث في إنتاج قصيدة ترقى إلى انتمائها إلى دائرة القصيدة العربية. وإذا كنا نرى في الربط الإنجاز الحقيقي للشاعر أحمد عبدالحفيظ شحاتة، فإن تجربته الجمالية - كذلك - قد أسهمت في تطوير اللغة التي يستخدمها عبر الاتكاء على محاولته استنطاق اللفظة بدلالات غير محدودة، وعبر إسباغه على صورته الشعرية حركة تمنح الصورة حياتها الدائبة ■

عجباً لمثلك

شعر: خالد الوقيت
السعودية

عجباً لمثلك في الهوى يتفانى ... ويسير خلف سرابه هيمانا
أتركت عزك والحياة كريمة ... ورضيت أن تقضي الحياة مُهانا
والله ما هذي خصال شبيبة ... سمعوا الحديث ولُقنوا القرآنا
فاربأ بنفسك عن متابعة الألى ... تخذوا الهوى لسفينهم ربانا
أنسيت أنك من سلالة معشر ... منحوا الهداية هذه الأكوانا
نوراً أضاء ببطن مكة وانثنى ... يولي الجميع محبة وحنانا
عشقتهم كل الديار فلا ترى ... إلاّ هم لربوعها سلطانا
أتركت أمتك الحزينة تشتكي ... ولهوت فيما تشتهي جذلانا
في كل صقع من بلادك محنة ... تدع الحليم مُسهداً حيرانا
فالقدس تبكي ناصراً ألقى لها ... أذنا وألقى للهوى آذانا
ظلت تصيح.. ولات صوت مكبر ... تهوي الطغاة لبأسه إذعانا
بل دونك الظلم الصراح وقصة ... تُدمي الفؤاد وتبعث الأشجانا
جُرح لدى البلقان ينزف راعفا ... إن كنت ممن يعرف البلقانا
بل لو نظرت ولن تطيق تجلداً ... حيث المجازر تأكل الشيشانا
صبت عليها الروس لاهب حقدها ... وشفت بمقتل أهلها الأضغانا
من لم يمت منهم قضى أيامه ... متشرداً متضوراً عريانا
يا بؤسه طفل تسيل دموعه ... حرّى بهن يخاطب الطغيانا
ماذا جنيت لكي أيتّم أسرتي ... وأعيش وحدي أشرب الأحزانا
أين الألى زعموا الدماء مصونة ... وتعاهدوا أن يرحموا الإنسانا؟
أم أين أين المسلمون أما رأوا ... في حالك الخطب الملم بكانا؟
ناموا وقد أمنوا وأُنسوا إخوةً ... أذكى الكفور عليهم النيرانا
لا هُمَّ أنت المستعان تقطعت ... كل العرى إلاك يا مولانا
فارحم ضعافاً لا نصير لهم سوى ... دمع يفيض من الأسى هتانا

الدكتور شكري عياد: الجيل الراهن متعجل في الأخذ من المذاهب النقدية الغربية *

بقلم: جهاد فاضل
لبنان

يؤلف هذا الحوار ... مع الدكتور شكري عياد الذي انتقل إلى رحمته تعالى.. موجزا لسيرته كناقد، وعرضا لآرائه فيما يدور في الساحة النقدية والثقافية العربية في الوقت الراهن، فقد التقيته لآخر مرة في مدينة دبي عندما زارها لاستلام جائزة سلطان العويس في النقد التي تقاسمها مع الدكتور جابر عصفور.

في هذا الحوار الذي يؤلف وثيقة أدبية عن عصرنا وثقافتنا، يصف الدكتور شكري عياد نقد الجيل الراهن من النقاد العرب المحدثين بأنه «نقد متعجل»، كما يصف النقاد الذين تلوا جيله بأنهم لم يكونوا «أكثر تقدما منا» وهو لا يعتقد بأن النقد يمكن أن يكون علما دقيقا لأن مادته قائمة على الاختلاف، ولأن الأساس في الأدب هو الاختلاف، فلا يمكن أن يكون علم الأدب مطلقا وشاملا وعاما كما يريده كثير من البنيويين.

وعنده أن النقد العربي المعاصر لم يبدأ بطه حسين بل بمحمد مندور. «طه حسين كان يحدثنا عن نقاد فرنسيين قدامى نسبيا، في حين أن محمد مندور كان يحدثنا عن لانسون ولاسوسور».

ولا يعتبر أن الدكتور لويس عوض أضاف شيئا مهما في نظرية النقد، ولو أنه أعطى

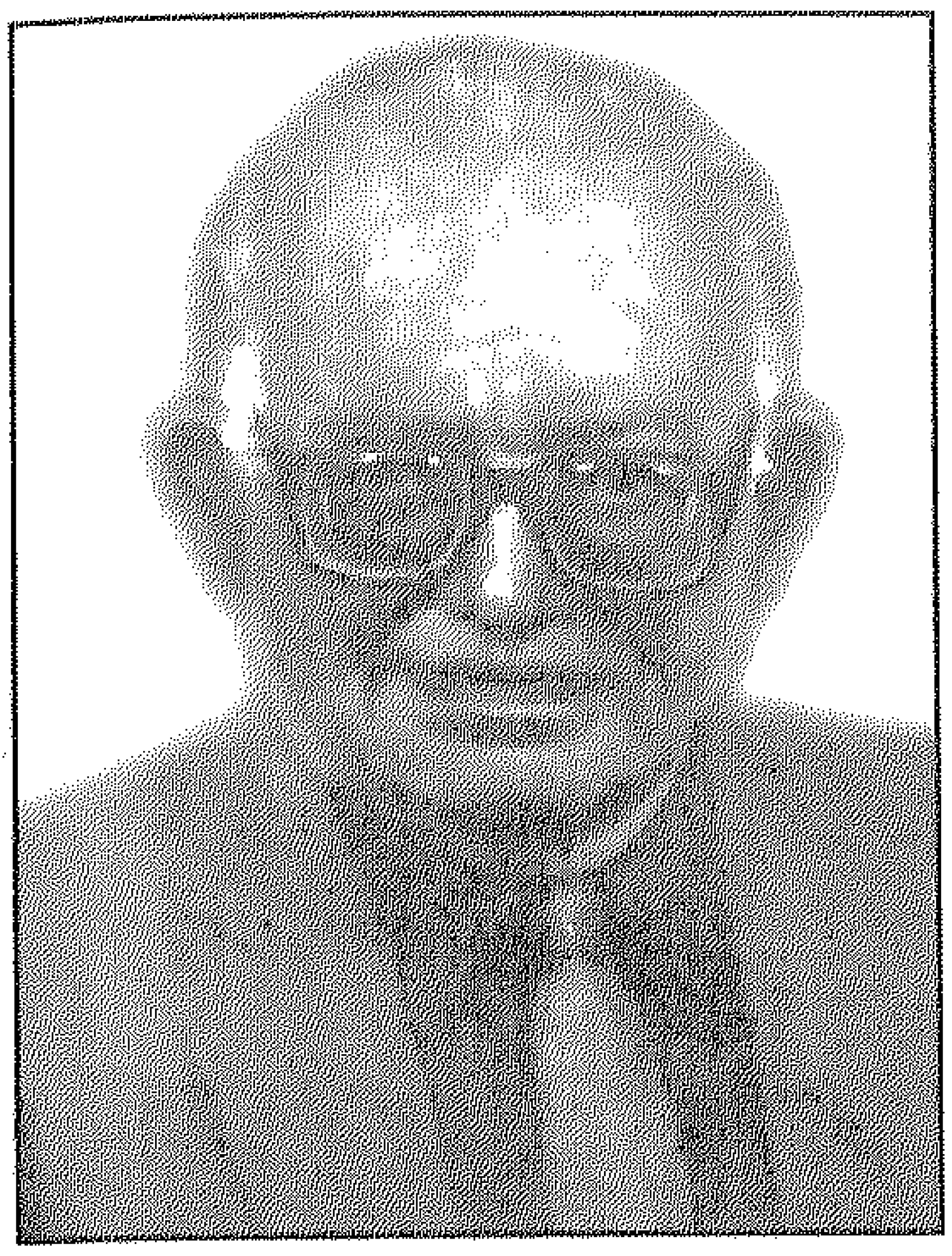

د. شكري عياد

أشياء لا بأس بها في النقد التطبيقي.

وبعد أن يصف هذا العصر بأنه عصر الحيرة، يقول: إن اللغة يجب أن تكون مكتوبة بفن، وإن على الكاتب العربي أن يكون دارسا جيدا للأدب العربي.

وينحو باللائمة على بعض الكتاب الذين يتعالون على الجمهور فيقول: إنه لا توجد ثقافة بدون جمهور مثقف.«يجب أن نحترم هذا الجمهور وأن نشرح له ما نفعل».

ويعود إلى النقد البنيوي وما آل إليه ليضع الأمور في نصابها، ويستبعد وقفة الورع أو الإيديولوجيا عند التعامل مع هذا النوع من النقد :«لا مانع من أن نستعين بالبنيوية وسواها من مناهج النقد لبناء نظريتنا أو ثقافتنا المستمدة من بيئتنا ومواقف أمتنا، ولكن مع الحرص على الاستقلالية ولا فخر».

* جزء من الحوار الذي نشر بجريدة الرياض، العدد ١١٣٩٢، ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ.

وهذا هو نص الحوار..

❖ كيف ينظر ناقد كبير من جيل سابق هو الدكتور شكري عياد إلى نقد الجيل الراهن؟

نقد الجيل الراهن هو، بكلمة واحدة، متعجل. متعجل في الأخذ من المذاهب النقدية الغربية، متعجل في محاولة ابتداع ما يسمونه نظرية عربية في النقد، وكلا الأمرين لا يؤخذ هكذا بالعنف.

الأمور يا سيدي تحتاج إلى نضج، والفكر الجديد يتكون من شتى الروافد، لكنه يبني نفسه من داخله. وهذه عملية طويلة الأمد.

❖ وهل تعتقد أن الانفتاح العربي في العقدين الأخيرين على النظريات ذات المصدر الأجنبي، أدى خدمة ما للأدب العربي؟

لقد أشعر هذا النقد الأجنبي عامة المهتمين في الأدب من طلاب وقراء بأن هناك مذاهب اسمها كذا وكذا وكذا.. لكنه في تقديري لم يعطها الحد الكافي من الشرح.. لم يهضمها كما ينبغي. وجيلنا بدأ بالتعريف بهذه المذاهب، وبكثير من الاستقلالية، ولا فخر. كنا نطمع أن يكون الجيل الذي بعدنا أكثر تقدما منا، ولكنه ليس كذلك. أنت مصر على الحكم الصريح.

❖ وهل أنتم من نهج لا يحول الناقد عنه، أم أنك ترى أن لكل نص منهجه؟

طبعا القاعدة العامة العلمية أن مادة العلم تملي منهجه. هذا الجانب من جوانب المشكلة، جانب آخر أن كل ثقافة لها تراثها ولها خصوصيتها. والمنهج طريقة، هي أشبه بالطرق العلمية، أشبه بالمبادئ الرياضية. لا تصلح للتطبيق كما هي ثقافات مختلفة..

أنا أشعر بأننا في حاجة إلى فعل ابتداع مستمر وعاقل وواثق دون غرور ودون ادعاء، وخصوصا دون تعال على القارئ العام أو المثقف العام، فهذا في الحقيقة هو أمل الثقافة العربية.

لا توجد ثقافة ما بدون جمهور مثقف، ولن توجد ثقافة عربية بدون جمهور عربي مثقف. فنحن نعنى بهذا الجمهور ونحترمه، ويجب أن نشرح له ما نقول. ويجب ألا نغرقه في سيل من الاصطلاحات الجديدة غير المعرّفة. ولا أريد أن أقول: إن الشائع (وإن كان هو صحيحا) هو نفسه لا يحقق معاني الاصطلاحات الجديدة.

كل اصطلاح له دلالته عند النقاد المختلفين. الواجب على الناقد العربي أن يحدد دلالته عنده في المقالة التي يكتبها ولا ينتظر أن يخمن القارئ ويذهب يمينا وشمالا في الافتراضات حتى يفهم ما يريده الناقد، مثلا «بالبنية» أو «المحور الأفقي» أو «المحور الرئيسي» إلى آخره..

❖ وإلام ترد هذا الخلل في العملية النقدية عند النقاد العرب المعاصرين؟

نعم، ثمة خلل. إنه التعجل، ونحن قد تكون لنا ظروفنا التاريخية في الوقت الراهن التي تجعلنا نتعجل. بمعنى أن الظروف المحيطة بنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأدبيا أو ثقافيا بوجه عام، تحفزنا حفزا شديدا إلى أن نسرع بالاستجابة، أن نعطي الاستجابة السريعة. لكن أنا أقول: إن الاستجابة السريعة لاتغني فتيلا، وإنه لا أمل في أي بناء حقيقي في هذا الجيل الحاضر، أي جيل أبنائي وحتى أحفادي. أنا أرجو أن يعملوا حتى يكون للثقافة العربية، بوجه عام وليس للنقد فقط كيانها ووجودها بعد عشرين أو ثلاثين سنة ■

وصية الرمق الأخير

بقلم: محمد علي وهبة
مصر

انفجار جبار يرعد في بيتهم، عند سماعهم لصراخ أمهم يتردد بين الجدران، ينسف هدوء الزوايا والأركان، يكاد يخلع قلوبهم من صدورهم، وينزع الدمع من عيونهم.

- الحقوا أباكم يا أولاد!

يتواصل صراخها في المسافات بينها وبينهم، يغوص بعيداً في قلوب جيرانهم المحيطين بهم. يتردد بقوة في أحشاء هواء الجو ووهج سطوع الشمس، ونبض خلاء الفضاء.

يندفعون نحو حجرة نومه مسرعين، مع الكثيرين من جيرانهم القريبين. يتوقفون مذهولين أمام كوب ماء مهشم على الأرض، يرشح ماؤه في أغطية الفراش، الذي يتمدد عليه.

- ماذا حدث يا أمي؟!

طلب مني كوب ماء!

وأضافت بلهجة لاهثة، ووجهها ينكمش ويرتعش:

- جئته به.. وجدته هكذا!!

وأشارت إليه، وهو راقد بلا حركة أو أنفاس. تبتلعه أغطية الفراش. لا يظهر منه سوى وجهه المضعضع، المحفور بالتجاعيد، كوجه تمثال من حجر.

يتزاحمون حوله. يتأملون جمود ملامح وجهه، يقفز ابنه الأكبر الذي يعمل طبيباً إلى جواره. يمسك بإحدى يديه، يتحسس شرايين رسغه بأطراف أصابعه، وملامح وجهه مشحونة بعواصف حزن أليم. يراقبونه بأنفاس مقبوضة ونبض محقون، ثم يبتسمون عندما يرون بسمته ترتسم وتتسع على شفتيه وهو يقول:

- مازال به نبض!

ثم قال:

-مجرد هبوط بسيط في قلبه!

قالت أمهم، وهي تحاول بعث الأمل في قلوبهم:

- سينهض بحول الله.

ثم قالت:

- رأيته منذ قليل يتيمم ويصلي وهو جالس على فراشه.

مال ابنه الأكبر فوقه. انشغل بتدليك قلبه بكلتا يديه لأعلى ولأسفل، ولليمين واليسار، برفق ولين، وهو يشعر بليونة جلد جسمه الهزيل. استمر في تدليكه، حتى أخذت عيناه تنغلقان وتنفتحان وترتشعان، وقد بدأت ترشح على جبهته قطرات من عرق وهو يقول بأنفاس متوترة:

- أين الأولاد؟!

لم يتمالكوا إحساسهم بالفرح، وهم يقولون:

- نحن هنا يا أبي.

ظل نبض قلوبهم يرتعش، مع ارتعاشة عيونهم بالدمع، وهم ينظرون إليه مبتهجين. بقي صامتاً، ونظراته شاخصة في سقف الغرفة. يتأمل شريطاً طويلاً مليئاً بذكريات ماضي حياته، يظهر على شاشة ذهنه.

انفجارات قاصفة، عاصفة بهدير الفزع تزلزل أركان بلدته الآمنة، تسحق بسمات الشفاه. وحرائق مذعورة مسعورة تأكل الحياة. وأبنية كثيرة تتهدم فوق رؤوس أهله وجيرانه الآمنين، وسحائب دخان وغبار تملأ خلاء الفضاء. وألسنة لهب سحيقة تحرق أنفاس الهواء، وانفجارات قنابل، يطلقها غرباء قادمون من أماكن بعيدة لابتلاع روح المكان وأنفاس الزمان.

يحاول مع الكثيرين من أهله أن يفعلوا شيئاً لصدهم. لكنهم يضطرون للرجوع، مع سقوط الكثيرين منهم، سابحين في دمائهم، والصريخ المفزوع لنسائهم وأطفالهم، مع هدير أصوات الانفجارات والانهيارات من حولهم يصم آذانهم.

رأى نفسه بعد ذلك، مع الكثيرين من أهله سائرين في فضاء الوجود، للبحث عن مكان آمن بعيد، ورياح الشتات تعوي فوق رؤوسهم، تقتلع أقدامهم من أوردة وشرايين أرضهم، تمنع نظرات عيونهم من رؤية أشجار برتقالهم وزيتونهم، تطيح بهم بعيداً في حلوق مسافات الرياح، وسيالات نزف الدم المستباح.

- تمنيت موتي شهيداً.

قالها بصوت مرتعش ومقبوض.

- أبقاك الله يا أبي.

قالها ابنه الأكبر، وهو يحاول أن يرسم بسمة كبيرة على شفتيه. رددها من بعده الآخرون بأصوات متداخلة متفائلة.

اختلط حزنهم ببسمات شفاههم، وهم ينظرون لبسمته، وهو يستجمع بقايا قوته، ويتهيأ ليملي عليهم وصيته قبل رحلته، التي يشعر باقترابها، لتأخذه، ربما بلا رجوع.

زاد اتساع بسمته، وهو ينظر لجمعهم مع جيرانهم المتزايدين حولهم، وهم يأخذون شكل عائلة كبيرة، واحدة متوحدة. وزاد إحساسه بالسرور، وهو يشعر بمغاليق العالم الخفي تتفتح من حوله بخوارق روح الاجتماع.

أمده الله بنفحة من القوة، وهو يمد يده إلى منضدة صغيرة بجانب سرير نومه، فوقها لفافة من الورق، أمسك بها. أطبق عليها أصابعه العشرة. ضمها إلى صدره، ونظراته التي استعادت بريقها قليلاً تتنقل بين وجوههم من الأكبر إلى الأصغر، حتى استراحت بقايا أنوارها على وجه أصغرهم، الذي كانت نظراته براقة لامعة، مليئة بأطياف روح الغد الآتي بأفراح الرجوع.

- أراح الله قلبي!

وقال وهو يرفع نظراته:

- الحمد لله.

قالها وهو يتنفس بارتياح، بعد أن قام بتسليم لفافة الورق لأكبرهم، ثم قال، وهو يحتضنهم بنظراته:

- إنها وثائق أرضنا وديارنا!

وأطبق شفتيه فوق بعضهما، وهو يحاول ترتيب كلمات الوصية في رأسه. ظل مستغرقاً في تفكير عميق، وهو يتهيأ ليقول لهم:

- ليبق إيمانكم نبراسكم.

أراد أن يخبرهم بعد ذلك بالطريقة، التي يعيدون بها أرضهم وديارهم بأنوار عقولهم وأرواحهم.

تمنى أن يضيف إلى ذلك قوله:

- ليكن طلب العلم طريقكم.

ثم يقول:

- طالب العلم تدعو له الملائكة.

تمنى أن يقول لهم بعد ذلك:

- انقلوا وصيتي لأبنائكم من بعدكم. لكنه ظل صامتاً، وهو يلملم صوته ونبض قلبه، والمسافة بينه وبينهم تتراعش مع ارتعاش النبض في عروقه، فحاول استجماع ما تبقى له من قدرة على النطق. وتصور أن باستطاعته إملاء وصيته عليهم، بالترتيب نفسه الذي وضعه في رأسه، فبدأ صوته يخرج من فمه مرتعشاً مهزوزاً، وهو يقول:

- إنكم يجب أن.....

ولم يستطع إكمال عبارته، وهو يشعر بيد خفية قوية تقبض بنعومة متجبرة على آخر ما تبقى له من أنفاس، انتفض معها كيانه بأكمله، وحماليق عينيه تنطفئ بعتمة الغيوم، فأطلق زفيراً سحيقاً، لم يستطع أن يأخذ بعده شهيقاً. ومال رأسه بكل ثقله فوق صدره، وهو يسلم روحه إلى بارئها في هدوء عميق سحيق، فظلوا يتأملونه بصمت عاصف بالذهول، وهم يشعرون بسطوع الدموع في عيونهم، مع سطوع أنوار سماوية رحيمة تتردد في الخفاء، وسطوع أطياف الضياء من حولهم تتمدد إلى منتهى آفاق الأرض والسماء. ■

قراءة في كتاب

الأدب الأوزبكي الإسلامي

تأليف د. شاه رستم غياث شاه موساروف

ينسجم هذا البحث مع أهداف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وخطة عمادة البحث العلمي التي تسعى للتعريف بآداب الشعوب الإسلامية، والتركيز على الروابط الفكرية، ووحدة المنبع والهدف، وفتح آفاق واسعة في مجال التأثير والتأثر، والتي ستساعد على القيام ببحوث ودراسات كثيرة، في مجال الأدب المقارن.

قدّم له معالي مدير الجامعة، د. محمد بن سعد السالم. إذ عبّر عن إعجابه وأمله في ظهور دراسات مشابهة لآداب الشعوب الإسلامية الأخرى.

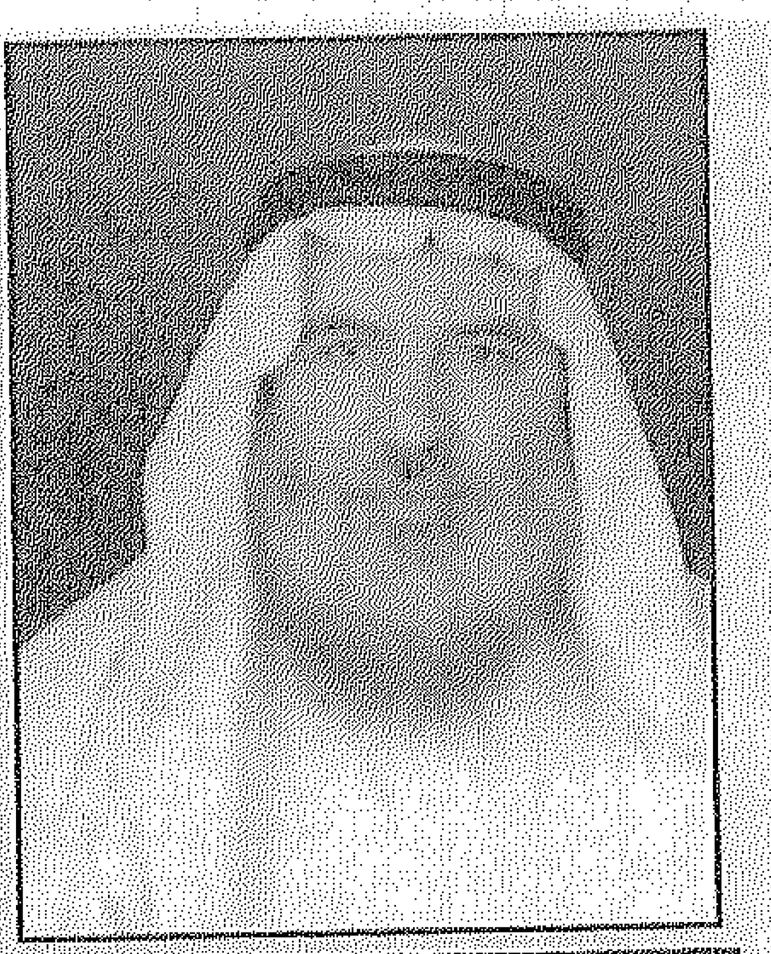

بقلم: أمين سليمان الستيتي
الأردن

وجاءت الفصول السبعة فيه لتشكل هيكل البحث الذي حوته ثلاث مئة وأربع وثلاثون صفحة، مع حواشيها وفهارسها.

عرّف البحث بتاريخ أوزبكستان قبل الإسلام، وولج إلى الفتوحات الإسلامية التي بدأها عبد الله بن زياد، زمن معاوية ابن أبي سفيان - رضي الله عنه -، ثم سعيد بن عثمان، وبعده مسلم بن زياد، ثم قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي أتم فتح بلاد ما وراء النهر، وثبّت الإسلام في قلوب السكان الأوزبكيين، في (زرفشان، وفرغانة، وقشقاداريا، وخوارزم،وغيرها).

ثم شارك تجار المسلمين في نشر الإسلام وتثبيته بعد استقرار الأوضاع السياسية، والأمنية في حكم (نصر بن سيار).

لقد كان لكتابة قوانين الدين، والفقه الشرعي - بشكل أساسي - باللغة العربية أثر كبير في انتشار اللغة العربية. ولعل الزمخشري: محمود بن محمد، العالم المشهور في اللغة العربية، وعلوم الدين، من أوضح الأدلة على مدى انتشار العربية، واهتمام الأوزبكيين بها إلى الحد الذي يمكن أن يصل إلى اعتبارها اللغة الرسمية، ولغة العلم، والبحث، والعبادة. إذ ظل الخط العربي، والحرف العربي بأنواعه مسيطرا في كتابة اللغة الأوزبكية حتى دخول الاحتلال الروسي، الذي حول كتابة اللغة الأوزبكية إلى الحروف اللاتينية (ص ٢٠).

لقد أدى التمازج الاجتماعي مع الفاتحين العرب إلى انتقال كثير من العادات الدينية، والاجتماعية،

وحتى اللغوية، والأدبية، ومنها: الحكايات الشعبية، والتي اتخذوها داعمة لتعليم اللغة ؛ خدمة للقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وصار الشعب الأوزبكي (التركي) جزءًا عضويًّا في جسد الأمة الإسلامية، وظهرت فيه كل الظواهر الإيجابية، وغير الإيجابية، من العادات الشرعية الأصيلة: كالاحتفال بالعيدين: الفطر والأضحى. والبدعية: كالاحتفال بالمولد النبوي، والإسراء والمعراج، والنصف من شعبان... وغيرها. حتى عادات الدروشة التي نشرها الصوفيون البدعيون (ص٢٤).

حاول بعض الدارسين تقديم بحوث تتلاءم مع المقاييس الروسية (السوفيتية) التي كانت ترفض الأدب الديني الإسلامي خاصة، والتي مارست الإذلال على الأدباء الأوزبكيين، مثل: (يُساوي، وسليمان باقر غاني، وصوفي الله يار، وهويدا... وغيرهم)، إلا أن البحث الواعي لا يمكنه أن يتجاهل الجذور الإسلامية التي لا تخفى على الدارس، أيًّا كانت توجهاته. ذلك أن الأدباء الأوزبكيين ظلوا مرتبطين بجذورهم الإسلامية، حتى أزاح الله – سبحانه – عنهم غُمَّة الاحتلال الروسي، وبدأت تظهر الدراسات العلنية للأدب الأوزبكي الإسلامي، والتي اعتبرته تقليدا أدبيا موحدا (ص٢٧).

لم يغفل البحث الحديث عن نشوء اللغة الأوزبكية، وكتابتها، وانتمائها إلى اللغة التركية الأم، وظهور اللغة العربية معها كلغة للدين والعلم، وحتى التداول بين الخاصة، إذ صارت لغة التأليف والأدب، وقد أثبت ذلك عدد من الباحثين، مثل: د. قاسم صادقوف، ود. ناتن ملاييف، ود. صفروف، وغيرهم.

وكان للإسلام تأثير واضح على الأدب الشعبي الأوزبكي، حيث حمل قصصهم الشعبية تعاليم الإسلام، وكأنها عمدت إلى تربية الأجيال الناشئة بها، واعتزت بأخذ الكثير من القصص العربية، وترجمتها، التي، صاغت على منوالها، مثل قصة (العنقاء) التي صاغها (يوسف أوغلي) متطابقة مع رواية (الكلبي)، مع مراعاة خصوصية الأدب الأوزبكي.

ووقف د. شاه رستم عند قصة آدم، وزوجته حواء عليهما السلام، وما دخلها من إسرائيليات، في حكاية الطشقندي (ز. يوسفوف، وخرافات، وبعض الخيال. ولعل (ربغوزي) هو الذي وضع جل أسس الرواية، التي تبين بدء خلق البشرية. وممن رووْا مثل هذه الحكايات: (قادر قانديموف) وكذلك (شيرنوئي) الذي تحدث عن سير الأنبياء، والحكماء. ولم يخرج المؤرخ (أبو الغازي بهادر خان) في كتابه (شجرة الترك) عن الاعتماد على الحكاية الإسلامية.

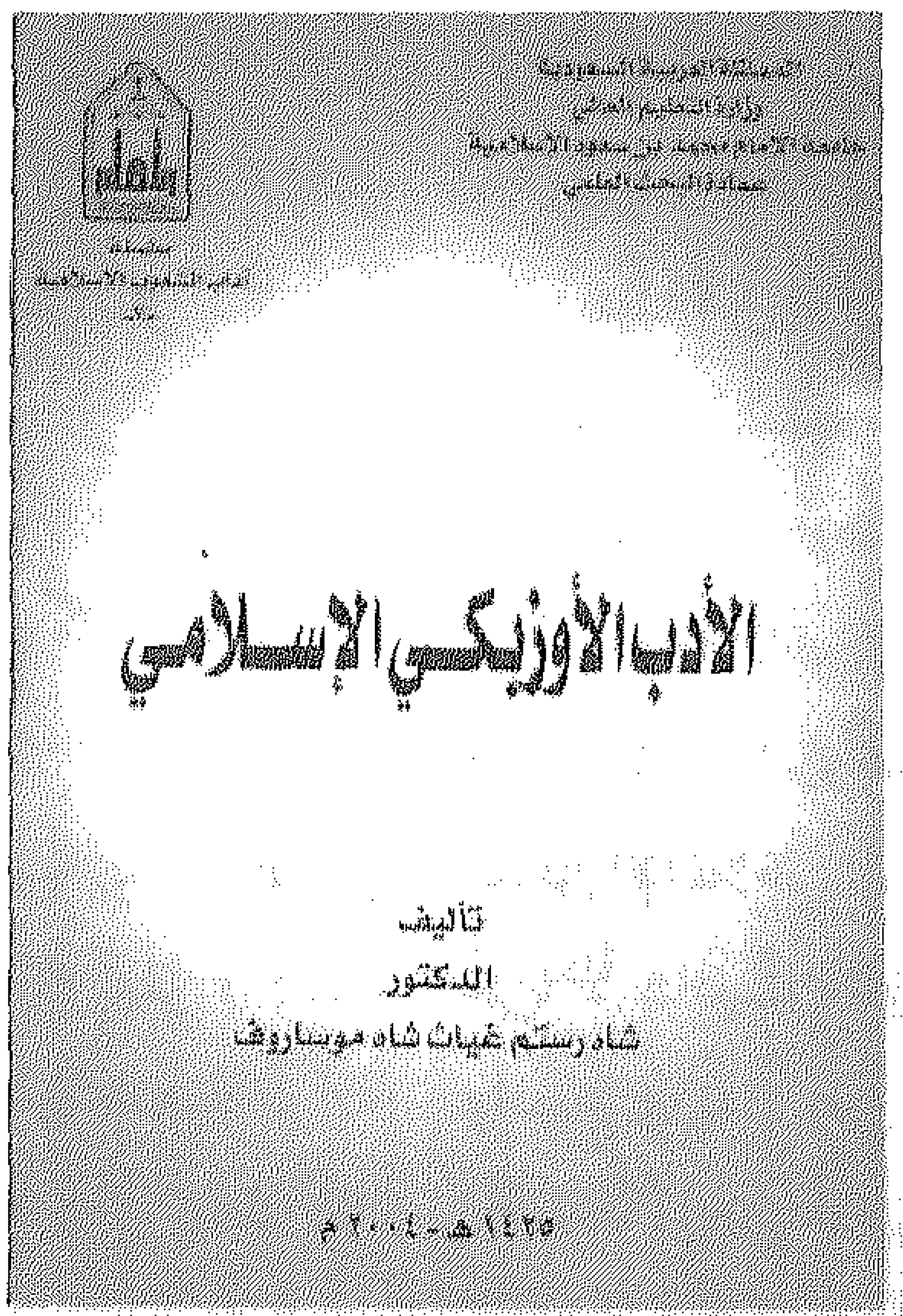

وظهرت حكايات شعبية استمدها مؤلفوها من الآيات القرآنية، والقصص التي وردت في القرآن الكريم، كقصة أهل الكهف، التي نسجها كثير من الأوزبكيين، مثل ستياريف، وسعيد بيك حسن. وينقل الباحث عن أ. كريمسكي أن (٦٤ مؤلفًا أعطوا تفسيرات مختلفة للآيات الكريمة عن أهل الكهف) (ص٧٠).

وأثبت البحث أن الأدب العربي في بلاد ما وراء النهر، ومنها (أوزبكستان) قد حقق ازدهارا في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إذ صارت مدن هذا الإقليم مراكز ثقافية، وسادت اللغة العربية كافة المعاملات الرسمية، والكتب العلمية. وقد سجل أبو منصور الثعالبي، العالم النيسابوري، في مجموعته (يتيمة الدهر) معلومات عن سبعة وأربعين شاعرا من شعراء العرب في تلك الفترة في بلاد ما وراء النهر، منهم: أبو الحسين المرادي، وأبو الطيب محمد بن خاتم المصبعي، وأبو أحمد بن أبي بكر الكاتب، والإمام البخاري الذي خصه بالحديث المفصل (ص ٨٣) وما بعدها ؛ ليؤكد مدى اهتمام تلك البلاد بالحديث

الشريف، حفظًا، وشرحًا، وتدوينًا، فقد رفع مدرسة الحديث إلى مستوى الأمجاد العالمية.مع غيره من علماء ما وراء النهر، مثل: الترمذي، الذي ترك نحو أربع مئة مؤلف في علوم الدين الإسلامي الحنيف، والعلوم الأخرى، والإمام محمد بن موسى الضرير الترمذي، صاحب الجامع الصحيح، والمرغلاني، صاحب كتاب (الهداية) الذي وضح فيه كثيرًا من القوانين الشرعية التي أقرها له علماء المسلمين في أقطار الدنيا (ص٨٧).

ومن الكتب التي تخصصت في دراسة اللغة الأوزبكية كتاب (ديوان لغات الترك) لمحمود كاشغري، فقد جمع في طياته معلومات شاملة عن لغات الترك، وقبائلهم، وأفخاذها، وتقاليدهم، وإبداعهم، ودياناتهم، وأثر الإسلام الحنيف على التقاليد الأدبية التركية عامة، والأوزبكية خاصة. حيث قسم الأدب الأوزبكي إلى:

١. الشعر الغنائي.
٢. القصص والحكايات الشعبية.
٣. الأحاديث النبوية الشريفة.
٤. الحكم والأمثال.

ووقف المؤلف مع كتاب (قوتا دغو بيليك) ليوسف خاص الحاجب، الذي يعني: (المعرفة المباركة) وركز على (الأدب والتهذيب) وألفه بين عامي ٤٦٢ – ٤٦٣ هـ، وجعله في قرابة (٦٥٠٠) ستة آلاف وخمس مئة بيت من الشعر، يكاد أثر القرآن الكريم، والحديث الشريف، والقيم الإسلامية عمومًا، لا يفارق واحدًا منها، كالشرف، والكرم، والصبر، والحلم، والتهذيب و... والدعوة واضحة فيه إلى التمسك بطريق الدين.

ورأى أن (يوسف خاص الحاجب) استعمل فن التلميح الذي أغنى الأدب الأوزبكي الإسلامي ، وهو الفن الذي يشيع في الأدب الروحي، وترجم له ما دلّل به على أثر الحديث الشريف، في قوله:

« "السلام" للإنسان سلام وهناء
وبطرح السلام يلقى النعيم والطمأنينة
العظيم من يسبق الصغير بالسلام
وبسلامه ينهي كل الأعمال
السلامة والعافية بانتظار من يبدأ السلام
ويهنأ من يرد السلام بـ (عليك السلام)»

أمّا وقفته مع (أحمد يغناكي) وكتابه (هبة الحقائق) فقد وضح الهدف من تأليفه، وهو (تفسير عدد من المسائل والقضايا الاجتماعية، والسياسية، والنفسية، والروحية، والأخلاقية، على أساس تعاليم الدين الإسلامي، إضافة إلى مدح الرسول ﷺ (والاستفادة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الصدق والعلم والبعد عن البخل.... وغيرها من تعاليم السنة المشرفة) (ص ١٠٧).

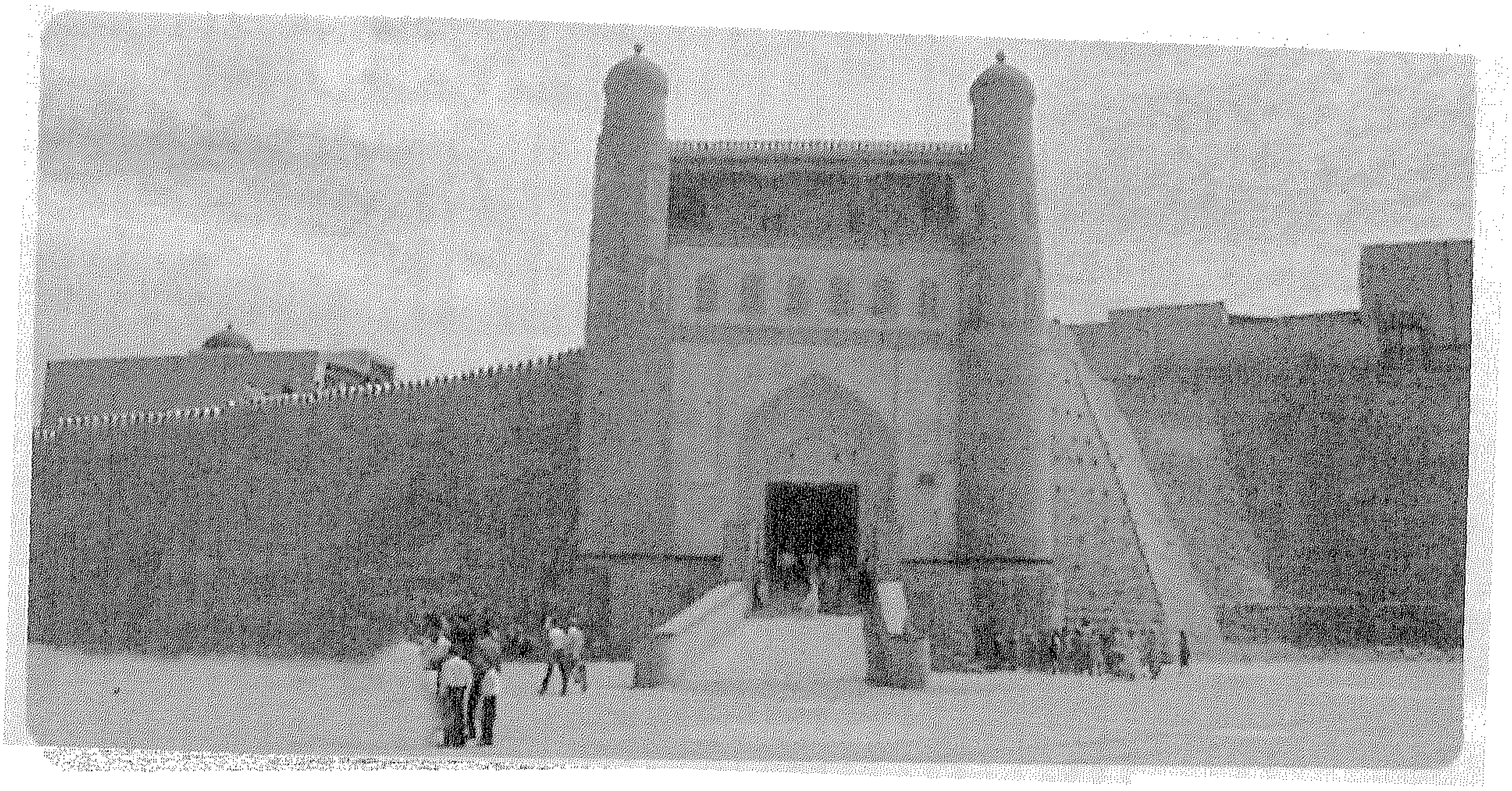

كما جعل (نصر الدين برهان الدين أوغلي ربغوزي) من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم مادة كتابه المشهور (قصص ربغوزي) حيث أقسم أمام التاريخ أنه ألفه (بسبب رغبته واهتمامه الشديدين بسير الأنبياء) وكتب أن وجه محمد ﷺ (أحسن من نور الشمس والقمر. وقد أسهمت قصصه في نشر الثقافات الإسلامية.

لكن (أحمد يساوي) في مؤلفه (مناجاة نامة) يصرح بأن (مصادر حكمته الأحاديث الشريفة، والتافهون من الناس هم الذين لا يقبلونها، لأن فيها معاني القرآن الكريم، والنبي (لا ينطق عن الهوى) (ص١٣١)، وقد ضمنها كثيرا من تعاليم الإسلام، وأركانه، وسننه، وقواعده الروحية، والمادية، وهو بذلك قد وضع (الأسس لتيار جديد في الأدب التهذيبي الأوزبكي، القائم على الأفكار الإسلامية) (ص١٣٨).

وعلى نهج يساوي جاء (سليمان باقر غني) في (كتاب باقر غني) الذي عدّه النقاد السوفييت مع قصيدته (كتاب آخر الزمن) قصيدتين دينيتين متزمتتين، يدعو فيهما إلى التذلل كالعبيد، ويحاول بث الرعب في قلوب الناس، عن طريق طرحه لعذاب الناس وحتمية يوم القيامة (ص١٣٩).

حديث د. شاه رستم غياث عن (الأدب الأوزبكي في عهد التيموريين) يرسم صورة الدولة التي قامت على أساس إسلامي، وعملت على نشر الدين الحنيف، وتعليم الناس تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف؛ مما أسهم في ظهور أدباء أوزبكيين في هذا العصر لا سبيل لحصرهم، ومنهم: (شيخ زاده عطائي، وحافظ الخوارزمي، ولطفي الشاسي وعلي شيرنوائي في كتابه (تاريخ الأنبياء والحكماء) وهو مؤلف نثري لم يقتصر فيه على سير الأنبياء، بل أضاف لها بعض الفلاسفة، وتحدث عن بعض أفكارهم. ومنهم أيضا ظهير الدين محمد بابر، الذي اتسم شعره بالمغالاة في كتابه (المبين) الذي وجهه إلى ولديه ليعلمهما تعاليم الشريعة، فكان أسلوبه ميسرا، حوى كل التعاليم الشرعية والعقدية، بلغة سهلة، وشعر تعليمي، خال من العواطف والانفعالات.

ومنهم عبد الله خان الشيباني العبيدي، الذي حكم بخارى بين عامي ٩٤٠ - ٩٤٦ هـ، وكان حاكما مثقفا، له دواوين شعرية باللغة العربية، والفارسية، والأوزبكية، وقد عده الدارسون السوفييت ممثلا للأدب الديني، ورفضوا اعتباره من المبدعين، وقيموا تراثه بأنه (.. يدعو من ناحية إلى التشاؤم والزهد،... ويمجد خطّي الدين والأدب الإقطاعي الإكليريكي) (ص٢١٢).

ويعد الباحث أن الصراع على السلطة بعد موت تيمور، واهتمام الحكام بالعبث واللهو أثر على الحياة الثقافية، وأدى إلى انتشار الجهل، والفقر، وانحطاط الأدب، بل وإلى سقوط البلاد في يد الروس. فقد تحول العلماء إلى طلاب دنيا، بطريقة جشعة، واستغلوا الدين لذلك، فكانوا سببا في تخلف الناس وإفقار البلاد والعباد.

من هنا ظهرت ثقافة جديدة عبرت عن ترك الأدب الأوزبكي الديني المجال لهذه الثقافة التي تدعو إلى تعليم الجماهير، وتطوير البلاد، والدعاية لتلك الخطوات ونتائجها. مع أن أدباء هذه الفترة لم ينسلخوا عن الدين، ولم ينسوا أن الدين يحث على طلب العلم، فكان في أدبهم كثير من الومضات القرآنية، والنبوية المشرفة، تحث الناس على التمسك بروح الأخلاق العالية، في مثل ما نجد في مؤلفات (بهبودي، وأولاني) إضافة إلى الأدباء الذين ظلوا ملتزمين، ولم يحيدوا عن الخط الديني للأدب الأوزبكي، وهم الذين لم يكن من الممكن أن يظهروا كأدباء مبدعين في زمن الاحتلال الروسي. ومن ترجمة أشعارهم قول فيروز:

« إن شئت ألا تتعرض لتجارب الحسرة والندم
فاقنع بما رزقك الله
وكن دائما صبورا
فلا تتحسر عندئذ على شيء»

وقد وصل شعر الهجاء قمته عند (مقيمي وذوقي ومحمود) على قاعدة الثقافة الجديدة، وإدانة الأمية والتخلف، والانحلال الأخلاقي، وظلم المحتلين أحيانا. ولعل رجال الصوفية الذين أظهروا صورة سلبية للمسلم الذي يدعي التمسك بالدين، بينما هدفه الحقيقي (الدنيا)، هي الصورة التي كانت محط الهجاء، مثل قول مقيمي:

« يضع على رأسه مرة قبعة، ومرة عمامة.
يمسك في يده عصا،وفي رقبته إثم.
تُب أيها الصوفي، فمثل حالك يعني
أنك تغرم بكل النساء والفتيات.
وعجائب الصوفي أنه يبحث دائما عن مكان يستضاف به للطعام،
ويحسب أن كل شيء مسموح له »

بينما لم يكن العلماء الحقيقيون يفدون على الحكام، بل كان الحكام هم الذين يتقربون إليهم ويطلبون ودهم، ولما انقلبت الصورة انحط المسلمون، وصار هؤلاء المنحرفون مع المفتين يفتون للحكام، ويمدحونهم ،ويبررون أعمالهم، وطغيانهم، وتركوا الفقراء يواجهون الظلم والتعسف والجور، وقد رسم الشاعر عوض، أوتار هذه الصورة بقوله:

«أيها الذين بتعصبكم عشتم لأنفسكم،
وأوصلتم الناس إلى الفقر،
أحدكم قاض والآخر مفت،
أقمتم الحفل فوق تعاسة الشعب،
ولكي تبقونا في غياهب الظلمات،
لم تمنحونا الحرية،
وأقفلتم علينا في زنزانة مظلمة،
على هذه الجرائم طبعا ستعاقبون،
فبظلمكم أفلستم الأمة،
لو أنكم فتحتم المدارس،
وأعطيتم المعرفة،
لأمكن أن نصبح بشرا،
فبدون المعرفة جعلتم بعضنا كالحيوانات،
كما أفاق عوض سيفيق الناس ويسألون:
لماذا قضيتم على الأمة ؟؟؟؟»(ص١٣١)

والشاعرة (عنبر)ترسم صورة لمن جمع المال الكثير ليحج به، ولكن ليس لوجه الله، بل ليحمل لقب الحاج:

« مالا كثيرا جمع، سافر إلى الحج كي يصبح حاجا
وبعد العودة من الكعبة، بقي على حاله حاجنا »

ويؤكد د.شاه رستم غياث ارتباط شعراء هذه الفترة بالدين ، وعدم تخليهم عن عقيدتهم، وشواهد ذلك كثيرة، منها قول حمزة:

«إذا كنت من أصحاب التصرف الحسن
فستحصل على الاحترام في الدنيا والآخرة».

❖ ❖ ❖

عُرف بتصرفه الحسن بين الكفار
وقبل نزول الوحي عرف بالأمين

أما الشاعر (تولي)فهو مناضل من أجل العلم والمعرفة، ولا يمكن تصور وجه المجتمع الأخلاقي بدون الإسلام، ومن شعره:

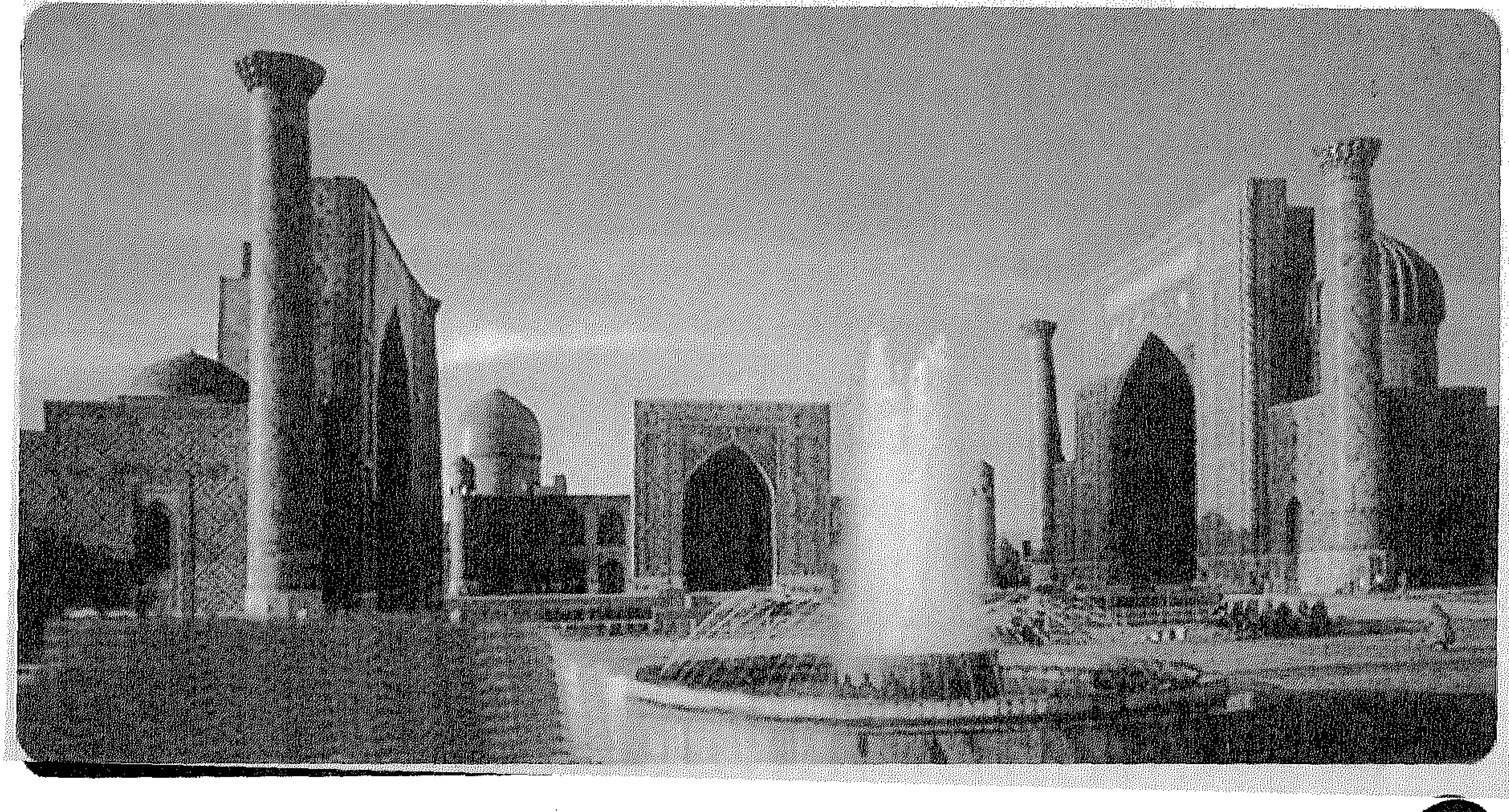

«علينا أن نتعلم،

وعلى آبائنا أن يسمعونا،

❖ ❖ ❖

قال النبي في العديد من أحاديثه:

فليقرأ كل مسلم القرآن،

يحيا العلم، يحيا الشعب،

... نمنا طويلا، متى نستيقظ يا إلهي ؟؟

والوطني الحقيقي هو (عبد الله أولاني) الذي انطلق من الإسلام إلى الوطن؛ ليظهر مسلما يريد الخير للوطن، ومن مؤلفه التربوي (أتراك غولستان) أو (الأخلاق) قوله:

«ينور الله الناس دون استثناء،

إلا أن التربية وحدها توصلهم إلى الكمال،

والطفل المتروك يصبح ويلا،

وإذا ربيتم روحه يصبح جناحا،

وإذا ربي ابن الحداد يصبح عالما،

وإذا لم يربَّ حتى ابن لقمان يصبح مهملا،

ابن نوح اقتدى بالسيئ فأصبح بلا ضمير،

وإذا ربي الكلب جيدا يخدم صاحبه بأمانة».

وربط د. شاه رستم الفصل السابع بالعصر الحديث، عصر الاستقلال، الذي تأكد فيه انتصار القيم الإسلامية، وثباتها في الأدب الأوزبكي، شعرا ونثرا، واتضح أثر النصوص الدينية، عند معظم الأدباء، مثل: عبد الله عارف، وعبد الرحمن القادري، وأنور حاجي أحمد، وشكور قربان و... غيرهم، الذين أكثروا من الاقتباس، فوصلت نصوصهم إلى قلوب الناس، وأثبتوا أن مصطلح (الأدب الإسلامي) يمكن أن يطلق على مجمل الأدب الأوزبكي، وكذلك مصطلح الأدب الصوفي، طيلة عشرة القرون التي عاشها الأدباء في ظل هذا الدين الحنيف، وما كان للصوفية من أثر على الناس في كل بلاد ما وراء النهر عامة، وأوزبكستان خاصة.

وإذا ظهر في عهد الاحتلال الروسي بعض التعبيرات الإلحادية،فإنها لم تتجاوز الحدود، بل كان بعضها بحذف كلمة، أو إضافة أخرى ليتسنى له مسايرة الثقافة الروسية، ويسهل نشره.

ويؤكد د. شاه رستم عدم القدرة على الإحاطة بالكثير من الأدب الأوزبكي، بل ما وقع في يده قليل من كثير، ويبقى الباب مفتوحا للباحثين، كي يتعرفوا على ما لم يستطع الوصول إليه.

ومع حرصه على تقديم بحث متكامل إلا أنه يكاد يغفل الجوانب اللغوية في دراسته، وكان أقرب ما يكون إلى المؤرخ الأدبي، الذي جعل المعاني مدار بحثه، ولم يكد يتجاوزها إلا نادرا. فلم يوازن بين الشعراء، ولا وضعهم في طبقات، بل لم يضع قاعدة يضع على أساسها النصوص في الإطار الأدبي أو في غيره.

وقد يكون يسيرا عليه أن يتابع بحثه في الأدب الأوزبكي، ليتناول الجوانب اللغوية والبلاغية، وغيرها من الجوانب المتعلقة بالنصوص الأدبية،والتي لا يغفلها النقاد عادة في كل لغات العالم.

ولعلنا نرى دراسة مقارنة لأدباء أوزبكستان مع إخوانهم من أدباء الأمصار الإسلامية الأخرى، خاصة الناطقة بالعربية منها، لما لهم من باع في مجالات الأدب الشعري والنثري، يكاد لا يجارى.

وعسى أن يكون ذلك في إطار الدلالة على مدى ما يحققه الأدباء الأوزبكيون من درجات الوحدة الإسلامية، وإن اختلفت الأعراق، ذلك أن انتماء المسلم لعقيدته هو الأصل، ولا يتعدى الانتماء الوطني أن يخرج عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات].

والأمل كبير في أن يكون ذلك قريبا ■

بائع الحكمة

بقلم: محمود محمد كحيلة
مصر

الشخصيات:

- الملك.
- الوزير.
- الطبيب.
- الحاجب.
- الحكيم.
- الخادم.
- الحارس.

المشهد الأول (قاعة العرش)

الملك: أخبرني عن أحوال البلاد يا وزير البلاد.

الوزير: البلاد يا مولاي الملك في ظل حكمكم تنعم بمنتهى الأمن والأمان والعدل والهدوء والسكينة.

الملك: أنت تعلم جيدا أنني عندما أهادن مجاورينا من الممالك والبلاد.. فأنا لا أهادن عن ضعف أو خوف، إنما عن قوة تستند إلى الحكمة والعدالة.

الوزير: سيدي الملك لا يفعل إلا ما فيه العدل وصالح البلاد ومصالح الرعية من مختلف أبناء الشعب.

الملك: شعبي حارب إلى جانبي طويلا ولا بد أن يلقى من السلام والأمان جزاء صبره وجلده.. هذا هو العدل.

الوزير: (بخبث) نعم يا مولاي.. العدل.. ولكن الشعب إذا ما استراح انقلب على سادته وحكامه.

الملك: هذه أقوال غبية ومدسوسة من رجال أرادوها فتنة بين الملوك وشعوبهم. إن الشعوب إذا أحببتهم أحبوك، وإن أهملتهم كرهوك.

الوزير: ولكن يا مولاي؟!

الملك: كُف عن آرائك الغبية فيما يتعلق بسياسة الحكم.. ولا تجعلني أندم على اختياري لك.

الوزير: عفوا يا مولاي.. لم أقصد أن أغضبك.

الملك: (هادئا) اعلم يا وزيري أنني أغضب من أجلك.. فأنا سأترك هذا الملك عاجلا أو آجلا لك.. لأنه لا ابن لي ولا أخ كما تعلم.. وأنا اخترتك كي تتولى الحكم من بعدي جزاء إخلاصك وصبرك في خدمتي على أن تفعل ما فيه صالح هذا الشعب الطيب.

الوزير: أنا خادم مخلص لمولاي وتابع أمين.

الحكيم: (ينادي من الخارج) من يشتري الجواهر والدرر.. من يشتري مني اللؤلؤ والألماس.. من يشتري..؟؟!!

الملك: على ماذا ينادي هذا البائع؟!

الوزير: يبدو يا مولاي أنه يبيع الجواهر!!

الملك: جواهر في الشوارع!!.. هل وصل الناس إلى هذا الحد من الثراء والرخاء؟

الوزير: الخير يعم البلاد.. نعم.. وعدد الفقراء في زوال.

الملك: ولكن إلى حد شراء الجواهر من الباعة الجائلين!!.. هذا ثراء عظيم.

الوزير: في الحقيقة أنا لا أفهم يا مولاي الملك.

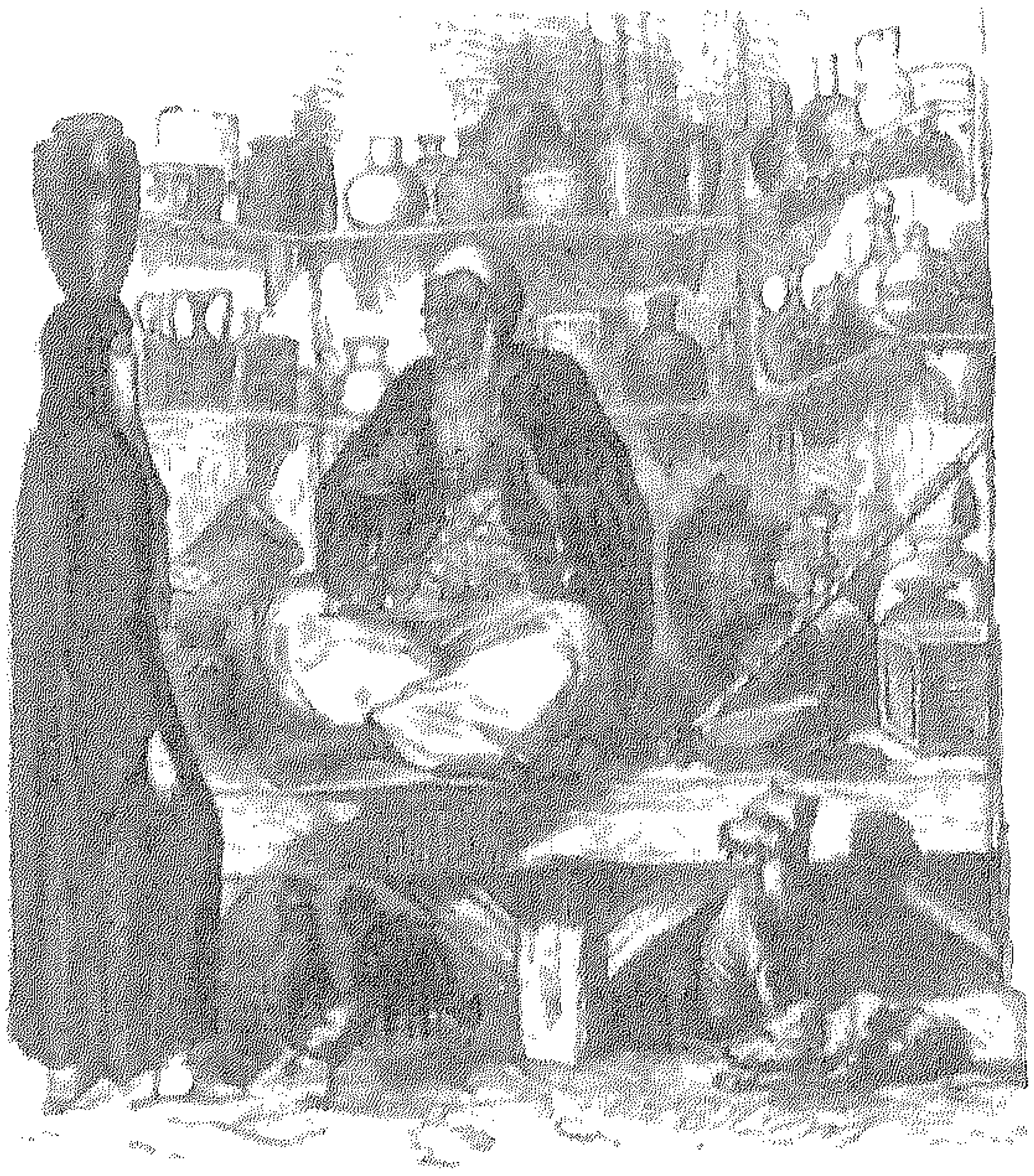

الملك: ولكن واجبنا ومكانتنا في هذه المملكة التي نحكمها تحتم علينا الفهم.. نحن مسؤولون عن كل ما يجري على أرض هذا البلد.. أحضر هذا البائع.

الوزير: (للحاجب) أحضر هذا البائع.

الحاجب: (للحارس) أحضر هذا البائع.

الحارس: (ينادي) أيها البائع!!

الحكيم: ماذا تريد أيها الحارس؟

الحارس: الملك يطلبك.

الحكيم: أنا قادم فورا.. السلام والتحية على مولاي ملك الرعية.

الوزير: ماذا تبيع يا رجل؟

الملك: دعه يلتقط أنفاسه أولا ثم يعرض علينا بضاعته.. لنشتري.

الحكيم: أنا يا مولاي أبيع جواهر الكلم من الدرر واللآلئ والمرجان والياقوت والألماس.

الوزير: إذن هيا أخرج لآلئك واعرضها لنا حتى نشتري أفضلها.

الحكيم: لكني يا مولاي لا أحمل بضائعي.. بل أحفظها.

الملك: نعم.. يحق لك أن تحفظ بضائعك الغالية في خزائن ثمينة حتى لا تسرق أو تبدد.. ولكن مع ذلك لا أرى معك خزائن.. فأين تحفظها؟!

الحكيم: أحفظها.. أحفظها هنا.. في عقلي.. أنا أبيع...

الوزير: هل تمزح مع الملك أيها الرجل السوقي.. هل جئت هنا لتعبث بنا (ينادي) أيها الحاجب.

الحاجب: أمر مولاي.

الوزير: خذه إلى السجن.

الملك: انتظر أيها الوزير.. انتظر حتى نفهم حديثه.. أفهمنا أيها الرجل ما سلعتك؟

الحكيم: الحكمة يا مولاي.. أنا أبيع الحكمة.. أبيع جواهر الكلم كما قلت.. وجواهر الكلم هي الحكمة.

الوزير: وهل أصبحت الكلمات سلعة تباع وتشترى ، ويجري المرء في الشارع لتسويقها؟!

الحكيم: ولم لا؟.. إذا كانت تساوي من المال الشيء الكثير.. بقدر ما قضاه المرء من سنوات في الاطلاع والمعرفة والبحث والقراءة للوصول إلى هذه الكلمات الحكيمة.

الوزير: ما زال الرجل يسخر في حضرة الملك.. خذوه إلى السجن.

«يتقدم حارسان نحو الحكيم»

الملك: انتظروا.. وما أغلى سلعك.. أقصد حكمك .. أيها البائع الفريد؟!

الحكيم : لدي واحدة ثمينة يا مولاي.. فهل تشتريها؟

الملك: سأشتريها منك مهما بلغ عظم ثمنها.. وهي لي.. هاتها على الفور.. هات.

الحكيم: (مفكراً) «فكر في عاقبة أي شيء»

الملك: «فكر في عاقبة أي شيء».. نعم نعم.. إنها حكمة عظيمة.. فكر..

الحكيم: في عاقبة أي شيء.

الوزير: نسجنه يا مولاي أم ننتظر؟!

الملك: بل انتظر.. قبل أن تسجنه فكر في عاقبة هذا الشيء.. سجنه؟!

الوزير: وما عاقبة سجن صعلوك كهذا؟!

الملك: هذا ليس صعلوكا، بل حكيماً.. وسجنه يحرم المملكة من حكمته.. هذه أولاً.

الوزير: وثانياً؟!

الملك: سأظلم وأسجن رجلاً بريئاً.. وما أسوأ عاقبة الظلم على الظالم!!

الوزير: وثالثاً

الملك: سأكتسب عدواً.

الحكيم: وعدو واحد أخطر على المرء من مئة حبيب.. هذه الحكمة هديتي لك يا مولاي.

الملك: هل سمعت الحكمة يا وزير؟.. لذلك فمن الحكمة أن نعطيه حقه ونصرفه سالماً غانماً راضياً عنا.

الوزير: كم أجرك يا حكيم؟

الحكيم: ألف.. ألف دينار يامولاي.

الوزير: ألف.. ألف دينار.. نسجنه أوفر يا مولاي.

الملك: لا، بل يأخذ ما طلب من المال.

الوزير : أمر مولاي.

الملك: أما عن الحكمة المشتراة والجوهرة المنتقاة فلتكتب على كل شيء (آمراً) يكتب في كل مكان ظاهر من القصر.. «فكر في عاقبة أي شيء» أما هذا الرجل الحكيم فلينصرف سالماً غانماً مشيعاً برضانا وعطفنا.

الوزير: أمر مولاي، (بضيق) هيا أيها الحكيم المفكر في عاقبة أي شيء.

«إظلام»

المشهد الثاني (غرفة نوم الملك)

الملك: آه.. آه.. أواه.. إنني أتألم.

الحاجب: الملك يتألم..

الحارس: (من الخارج) الملك يتألم.

الملك: آه..

الحاجب: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحارس: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحاجب: مُرْنا يا مولاي؟

الملك: (متألماً) الطبيب.. أحضروا الطبيب.

الحاجب: أحضروا الطبيب.

الحارس: أحضروا الطبيب.

الملك: الطبيب.

الطبيب: (يدخل) أنا هنا يا مولاي.

الملك: أنقذني أيها الطبيب من الألم.. الألم يفترسني.

الطبيب: أمرك يامولاي..

الملك: الأمر أمرك من الآن.. افعل ما فيه خلاصي.. أو مُرْ بقتلي لأتخلص من هذا الألم اللعين.

الطبيب: (مازحاً) أطال الله عمر الملك.. إنه مجرد خرّاج يا مولاي.. خرّاج فقط يؤلم ولا يميت.

الملك: لكني أموت من الألم.

الطبيب: ما إن يكتمل تجمع الصديد حتى نفقأه، ولحظتها تستريح تماماً يا مولاي «يضع المرهم» سنضع هذا الدهان وننتظر قليلاً.

الملك: افتحه الآن.. وإلا فتحته أنا بسيف هذا الحاجب، (آمراً) أيها الحاجب أعطني سيفك.

الحاجب: (مشهراً السيف) أمر الملك.

الطبيب: (متدخلا) كلا يا مولاي.. السيف لا يصلح.. وقد يزيد من مرضك.. لا بد أن يفتح الخراج بأدوات معقمة تماماً حتى لا يحدث مزيد من التلوث والمرض.. لم يبق إلا أقل القليل.

الملك: لا ينقذك من بطشي سوى المرض.. آه.

الطبيب: مولاي.. أنت تعلم أني لا أفعل إلا ما فيه صالحك.

الملك: آه.. أعلم، ولكني أتألم.. خلصني من الألم وإلا أمرت بقتلك فوراً..

الطبيب: اهدأ يا مولاي.. لقد حانت ساعة الحسم.. سنفقأ عين الخرّاج اللعين ونُريحك منه إلى الأبد «يخرج المشرط المعدني».

الوزير: (يقتحم المكان) انتظر أيها الطبيب.

الطبيب: مرحبا سيدي الوزير.

الملك: أنت ابتعدت يا وزيري وتركتني أتألم وحدي.. ألا تحمل عني بعض هذا الألم؟ ماذا كنت تفعل؟

الوزير: كنت أعد مشرطا ذهبياً.. ليليق بالخرّاج الملكي يا مولاي.

الطبيب: (منتشياً) مشرطاً ذهبياً لفتح خراج الملك!! نعم إنها بادرة طيبة منك سيدي الوزير.. فالخراج

الملكي لا بد أنه مختلف عن باقي الخرّاجات التي نعرفها!!

الملك: لقد عينته وزيراً لهذا السبب.. هو دائما يأتي بأفعال حسنة.

الطبيب: أحسنت ياسيدي الوزير، فالذهب هو ما يليق بالملوك.

الوزير: أنا طوع أمر مولاي وفي شرف خدمته.

الملك: (متألماً) آه.. يجب أن تكفوا عن الثرثرة لأنني أتألم.

الطبيب: حسنا، سنفتح الخراج الآن.. ولكن أحتاج إلى منشفة نظيفة، ولتكن منشفة من نسيج ثمين كي أستخدمها في التخلص من محتويات الخراج الملكي.

الملك: أعطوه مناشف.

الوزير: أحضروا له منشفة حريرية فورا.

الحاجب: المناشف الحريرية فورا.

الحارس: المناشف الحريرية فورا.

الطبيب: لكن المناشف لا تنشف إلا إذا كانت من القطن.

الملك: (متألماً) إذن هاتوا مناشف قطنية.. قطنية.

الحاجب: قطنية.

الحارس: قطنية.

الخادم (يدخل ويتجه إلى الملك) المناشف القطنية يا مولاي.

الملك: أعطها للطبيب (يتألم) آه.

الخادم: تفضل يا سيدي الطبيب، (للملك) سلامتك يا مولاي الملك.

الطبيب: ما هذا المكتوب على ثياب الخادم (يقرأ) «فكر في عاقبة أي شيء».

الملك: هيا أيها الطبيب.. أسرع قبل أن آمر بقتلك.. آه.. اذهب أيها الخادم (يخرج الخادم).

الطبيب (يستعرض المنشفة) إنها حكمة عظيمة فعلا يا مولاي.. ومكتوبة على المنشفة أيضاً.. لا بد أن آخذ بها وأستفيد منها.

الملك: ماذا تفعل يا طبيب الهم؟.. آه.

الطبيب: أستعد يا مولاي.

الملك: تستعد لماذا؟!

الطبيب: لأداء عملي على أكمل وجه، وأفكر في عاقبة أي شيء (يخرج مشرطه ومناشفه الخاصة).

الوزير: (آمراً) استخدم المشرط الذهبي.

الطبيب: لن أستخدمه يا سيدي الوزير.

الوزير: ولماذا لا تستخدمه؟

الطبيب: لأني أفضل أن أستخدم مشرطي الخاص.

الوزير: ولكني أصر على أن تستخدم المشرط الذهبي.. لأن مشرطك هذا لا يليق بجلال جرح الملك.

الطبيب: إذن إفعل به أنت ما تريد يا سيدي الوزير.. أما أنا فلن أستخدم إلا مشرطي الذي أعرفه ويعرفني.. ولن أستخدم غيره.

الوزير: (منفعلا) بل ستستخدم المشرط الذهبي وإلا طردتك من القصر، وأحضرت طبيبا غيرك.

الطبيب (مبرزاً المشرط الذهبي) خذ مشرطك وسأغادر.

الملك: انتظر أيها الطبيب.. هات هذا المشرط الذهبي.

الطبيب: أمرك يا مولاي.

الملك: (يضع المشرط الذهبي تحت الوسادة) اتركه الآن يا وزير.. وسأعاقبه بنفسي إن عشت.. ولكن دعه.. يخلصني الآن من هذا الألم.. آه.. حتى لو تم ذلك بمشرطه العادي.

الوزير: أمرك يا مولاي (ينصرف غاضباً).

الملك: هيا يا طبيب.. اقتل الألم.. قبل أن أقتلك.. آه.... فكر في عاقبة ما تفعل.

الطبيب: أمرك يامولاي (يقترب منه).

الملك: (يصرخ صرخة عظيمة).. آه.. (يغيب عن الوعي).

الطبيب: لن أغادر.. قبل أن أطمئن على الملك.. من الأفضل.. أن يفكر المرء في عاقبة كل شيء.

«إظلام»

المشهد الثالث (قاعة العرش)

الملك: جاء وقت الحساب أيها الطبيب.

الطبيب: مولاي يعلم أنني خادمه المطيع.

الملك: كنت كذلك قبل أن تستغل ضعفي ومرضي وتستهين بقدرتي وأنا الملك.

الطبيب: أنا أبعد الناس عن هذا الاتهام يا مولاي.

الملك: أنت تستخدم مشرطاً حديدياً في فتح جرحي وتترك المشرط الذهبي ، قل سريعاً لم فعلت ذلك؟!

الطبيب: مولاي.. سأشرح لك كل شيء.

الملك: حياتك الآن بين فكيك.. تكلم سريعا وإلا قتلتك.

الطبيب: ما حدث يا مولاي الملك إنني كدت أن أستخدم المشرط الذهبي ولكني قرأت على ثياب الخادم.. «فكر في عاقبة أي شيء» ، وما إن تناولت المنشفة حتى قرأت الحكمة ذاتها «فكر في عاقبة أي شيء» ولما فكرت في عاقبة استخدام المشرط الذهبي وجدت أنه في أفضل الأحوال قد يكون ملوثاً.

الملك: (مفكراً) أو قد يكون مسموما.

الطبيب: نعم مثلا.

الوزير: أنا أقتلك يامولاي الملك العادل.

الملك: يكاد المذنب أن يقول خذوني.

الوزير: (منفعلاً) سأقتل الطبيب الشيطان.

الطبيب: أنا أقول مثلا.

الملك: وأنا أقول لا بد من الاستيثاق من هذا الأمر.. (يخرج المشرط الذهبي) خصوصاً وأنا ما زلت أحتفظ بهذا المشرط الذهبي.. أعطني يدك أيها الوزير الطيب.

الوزير: (خائفاً) يدي.. لم يا مولاي؟!

الملك: كي أستوثق من نقاء المشرط الذهبي.. وصفاء صفحتك.

الوزير: (مذعوراً) لا.. لا يمكن (يهم بالهرب).

الملك: أمسكوا الوزير.

الحارس: (ممسكاً بالوزير) أمرك يا مولاي.

الملك: إذن فالمشرط مسموم.. هيا اعترف الآن.

الوزير: نعم يا مولاي هو مسموم.. لقد دفعني الطمع إلى الرغبة في قتلك.

الملك: ولم فعلت ذلك؟

الوزير: طمعاً في الملك.

الملك: بل تعجلا للملك الذي كنت أدخره لك دون طمع أو تعجل.. عجيب أمر طمعك وتعجلك يا رجل.. لقد كنت قاب قوسين من الملك، ولكنك بالطمع أصبحت أقرب ما تكون إلى الموت.

الوزير: اعف عني يا مولاي.. وسامحني.

الملك: لاعفو عندي ولا سماح.. إني أحب أن يجري العدل حتى لو كان عليّ، والعدل يقضي بأن يلقى المرء جزاء أفعاله.. لذلك لن تقتل..

الوزير: شكراً لك يا مولاي.

الملك: لن تقتل إلا بذات المشرط المسموم الذي أردت أن تقتلني به.. (يعطي المشرط للحاجب) خذوه واقتلوه بهذا المشرط الذهبي المسموم، وأخبروني عن طقوس الميتة التي كان يرتبها لي.. حتى أعرف إلى أي مدى كان مخلصا لي.

الحاجب: أمرك يا مولاي (يأخذونه وينصرفون)..

الملك: أما أنت أيهاالطبيب فقد أحسنت ولا بد من إثابتك.. إذ يقضي العدل بعقاب الآثم، وإثابة المحسن.. فماذا تطلب من جائزة لإحسانك؟

الطبيب: جائزتي يا مولاي أن تعيرني هذه الحكمة.

الملك: هي لك هدية لا ترد.. أما نحن فندعو الله أن يمنحنا حكمة بديلة لها.. ولكني أعدك حتى يحدث ذلك أن أفكر جيداً في عاقبة أي شيء.

«ستار الختام»

كلمة أخيرة حول كتاب (من شعراء الإسلام)

بقلم: عبدالله إبراهيم الهويش
السعودية

لما قرأت كلمة الدكتور محمد بن سعد بن حسين حول مقالي المنشور في العدد (٤٥) من هذه المجلة الغراء بعنوان(وقفة مع كتاب من شعراء الإسلام للدكتور محمد بن سعد بن حسين)انتابتني عدة مشاعر أمام هذا الرد الذي اختار أن يجعل عنوانه (تعليق وليس رداً)، وتساءلت لماذا اختار هذا العنوان؟ ولماذا التعليق وليس النقد؟ كما هي العادة في الردود العلمية والأدبية المعتبرة بمقارعة الحجة بالحجة، فما كان حقا اعترف به وما كان باطلا رده، وأوضح جوانب النقص فيه وخاصة من أستاذ النقد في الدراسات العليا، ولكنه هكذا اختار لنفسه.

وحفظاً لوقت القارئ الكريم أذكر أهم النقاط التي رأيت الوقوف عندها ومناقشتها مناقشة مختصرة توضح الحقيقة وهي تتلخص في:

١ - مسألة رفع الدرجة.
٢ - شعراء المملكة في كتابه وكثرة عددهم.
٣ - أنني أطعن في شاعرية بعض العلماء.
٤ - قضية الأدب الإسلامي.
٥ - أنني أطالبه التفصيل في أنساب الشعراء.
٦ - أنني اعتمدت في شعر شوقي على النسخ التي لعبت بها الأهواء.
٧ - عصر أبي تمام في من خلال الواقع التاريخي الصحيح.
٨ - وأخيرا الاتهامات التي وصمني بها سعادته وهي تقارب ثماني عشرة تهمة أورد هنا أهمها للعبرة والعظة وهي:

١ - عدم المعرفة بالمنهج.
٢ - وصفي بالجهل في أكثر من موقع في مقاله.
٣ - قوله:إنني أقول لمجرد القول فقط.
٤ - قوله: إني أخبط خبط عشواء،وإنما أريد أن أقول ولاشيء غير ذلك.
٥ - اتهامي بعدم احترام القارئ، وأني لم أضع ذلك في حسابي مطلقا.
٦ - أنه ينبغي علي ألا أعلم الأستاذ التعامل مع الشيوخ لأن فاقد الشيء لايعطيه.
٧ - اتهامي أن نقدي لكتبه هو لمجرد الطعن.
٨ - قوله: إنني أنطلق في نقدي لمجرد شهوة الكلام وهو- كما يقول – داء لا دواء له إلا الدعاء بالشفاء.

وعندما قرأت هذه الاتهامات الكثيرة اتضح لي أمر كنت حائرا فيه وهو أني عرضت هذه المقالة على أكثر من جهة أدبية في الرياض لنشرها، وكل اعتذر عن النشر من دون سبب يذكر، فلما كتب الأستاذ رده انكشف المستور. وكأن من اعتذر خشي أن تصيبه بعض هذه الاتهامات التي وجهت إلي، مع أني في مقالي لم أتعرض لشخص الدكتور من قريب أو بعيد، وهذا يدركه القارئ المنصف من المقارنة بين المقالتين.

ونعود لنقاط البحث المهمة:

أولا: مسألة رفع الدرجة: يقول: (كثرت النبال علي فلم أنهض لصدها لسببين أولهما أن بعض الناقدين يتسلقون يريدون مهارشة من هو أعلى منهم ليرتفعوا درجة) ومعنى هذا الكلام أنني أهارشه على حد تعبيره من أجل التسلق عليه لأرتفع درجة.

فأقول أولا: لماذا كثرت عليه النبال لولا أن هناك مايدعو إلى ذلك لدى الرجل حتى توجه إليه هذه السهام،ثم إن كلمة (مهارشة) ليست لائقة، لأن المهارشة في الأصل خاصة بين الكلاب، وورد في الصحاح (المهارشة بين الكلاب بعضها البعض)، وقال صاحب القاموس:(الهرش: التحريش بين الكلاب والإفساد بين الناس، والمهارشة: التحريش بين بعضها البعض) فهل أصبح النقاد بمنزلة الكلاب عنده؟

ثانيا: إن من يفعل ذلك أعني التسلق للارتفاع درجة وهو من يكون في حاجة للتسلق والارتفاع ولو عن طريق المهارشة، وهذا ليس شأن كاتب المقال

ولا حاجة إليه. ولله الحمد والمنة، فكل من يعرفني يقدر جهودي، ومكانتي محفوظة لديه، وليعلم الأستاذ أن أول قصيدة قلتها وأول مقال نشرته وأنا على مقاعد الدراسة، أي قبل ست وثلاثين سنة.

ثانيا: شعراء المملكة ووفرة عددهم في الكتاب: ولا يخفى أن الكتاب وضع للشعراء الإسلاميين منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، فهل يصح أن يكون أكثر من ثلث المختارين من بلد واحد؟ فأين بقية شعراء الإسلام في البلاد الأخرى زمانا ومكانا، أما تعليله كثرة شعراء هذه البلاد بأنه يقصد به خدمة أدب بلاده ولا يزايد على ذلك، فأقول: من زايده على ذلك؟ ومن قال: إنه لم يخدم بلاده؟ فهذه قضية أخرى ليست محل نقاش، لأن الموضوع هو أن الكتاب لا يمثل شعراء الإسلام في الأقطار والأزمنة المختلفة، وهذا حق لا يماري فيه أي مصنف.

ثالثا: قوله إني أطعن في شاعرية بعض العلماء: يقول: (ويطعن في شاعرية بعض العلماء بقوله "وهذا النوع وإن احتوى مضامين إسلامية فإن اعتبار أصحابه من الشعراء الإسلاميين وترجمتهم في هذا الكتاب بعيد عن الصواب") ثم يقول:(ومعلوم أن كثيرا من العلماء كانوا من الشعراء المرموقين كالأرجاني ولعله يقصد الجرجاني والتوحيدي الأندلسي وأمثالهما كثير)،فأقول: إن الحديث ليس عن العلماء الشعراء بدليل أنه لم يترجم للجرجاني،ومعلوم مايسمى بشعر العلماء،وأنه ليس بالشعر المعتبر

وقفة مع كتاب
من شعراء الإسلام
للدكتور محمد بن سعد بن حسين

تعقيب الدكتور محمد بن سعد بن حسين
تعليق وليس رداً

إلا من رزق موهبة الشعر ثم انصرف إلى العلم وتعمق فيه، من أمثال الإمام الشافعي وعروة بن أذينة. أما أكثر العلماء فليس شعرهم هناك، وهو رأي معروف ليس محل أخذ ورد، أما التوحيدي الأندلسي كما يقول، فهو أولا ليس من الأندلس يقول عنه ياقوت الحموي:(علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي شيرازي الأصل وقيل: نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول: إنه الواسطي) (ج٥، ص٩٢٣ ، رقم الترجمة٨٢). وقال السبكي في الطبقات:(المتكلم الصوفي صاحب المصنفات، شيرازي الأصل، وقيل: نيسابوري وقيل: واسطي(ج٥ ص٢٨٦)، كما أنه لم يذكر عنه أنه من الشعراء حتى إنه قال عن نفسه: (لست من الشعر والشعراء في شيء) (أمراء البيان ج٢ص٥٠٦). ولعله يقصد أبا حيان الأندلسي صاحب تفسير البحر المحيط الذي ترجم له فيه ص٨٥، إضافة إلى أنني لم أطعن في شاعرية العلماء، ومقالي معروض أمام القارئ، وليس فيه طعن في أحد منهم، وبإمكان من شاء الإطلاع عليه ومعرفة حقيقة الأمر.

رابعا: قضية الأدب الإسلامي: ويقول: (وهذا دليل على جهله "تساهل المؤلف في إيراد بعض الشعراء ممن لا يصلح أن يقال عنهم: إنهم من شعراء الإسلام، بمعنى الالتزام بمضامينه وتمثل قيمه والمنافحة في سبيله وتوظيف شعرهم في سبيل ذلك" ثم قال : إن هناك فرقا بين الذات وإبداع الذات، ولذا فأنا أرفض وصف الشاعر بأنه إسلامي مهما بلغ من الإحسان في إبداعه،ولكن أقول: هذا شعر إسلامي، وبناء على ذلك فإن صاحبه يوصف بأنه من شعراء الإسلام، ولا يوصف بأنه إسلامي، وإنما الذي يوصف بذلك هو الإبداع)، ثم ذكر أنه أوضح ذلك في كتبه في هذا المجال. وهذا الكلام يقبل من المؤلف لو كان عنوان كتابه(الشعر الإسلامي) أما والحديث عن شعراء الإسلام فالأمر في نظري

يختلف، فالحديث عن الشعر الإسلامي بعامة ينظر فيه إلى ذات الشعر، وهل يمثل القيم الإسلامية ومن ثم يحكم عليه، أما عندما يكون الحديث عن الشعراء الإسلاميين أو شعراء الإسلام بالإضافة فهذا يقتضي أن من يوصف بهذا الوصف يكون ممثلا للإسلام فكرا وسلوكا، وهذا أشبه مايكون لو قيل: شعراء الزهد في العصر العباسي، فهل يصح أن نتحدث عن شعراء قالوا بعض الأبيات في الزهد كأبي نواس مثلا، ونصفهم بأنهم شعراء الزهد في هذا العصر؟ أما لو كان الموضوع شعر الزهد في العصر العباسي فإن الحديث ينصب على الشعر نفسه وليس على الشاعر، وأظن هذا لا يخفى على علم الدكتور الفاضل، وحديثه كله ينصب على الشعر الإسلامي وهو ليس محل نزاع. مع أن قضية الشعر الإسلامي قضية لم تحسم بعد، ولا تزال محل نقاش بين المعنيين، وما كتبه الأستاذ في هذا ليس حجة على أحد بل هو مجرد رأيه الشخصي، وهو قابل للمناقشة وليس الفيصل في الموضوع.

خامسا: قوله: إنني أطالبه بالتفصيل في أنساب الشعراء:

يقول: (ومما عده الكاتب تقصيرا عدم التفصيل في أنساب الشعراء ممثلا بأبي تمام) وحتى يطلع القارئ على حقيقة الأمر أنقل له ماذكرت في هذا الصدد لينظر أطالبته بالتفصيل في أنساب الشعراء أم أن الأمر التبس عليه؟، قلت:(كما أنه يعرض لكثير من القضايا ويتركها معلقة بحجة أن الوقت ضيق أو لايتسع، أو أن المجال ليس مجالها، وهكذا كأنما هو في عجلة من أمره مثل نسب أبي تمام ص٦١) وكان مما قاله في كتابه (لا يعنينا أصحت نسبته إلى طيء القبيلة العربية المشهورة أم كان من أهل قرية جاسم من أعمال دمشق أو أن اسم أبيه ماكان أوسا...إلى آخره) فهل يفهم أحد أني أطالبه بالتعرض لنسب الشعراء فضلا عن التفصيل فيه؟! إنما كان التمثيل على تركه قضايا معلقة، فأين هذا من ذلك؟

سادسا: قوله أني اعتمدت في شعر شوقي على النسخ التي لعبت بها الأهواء:

وهذا في الواقع من الرجم بالغيب، وهو ادعاء في غير محله، لأنه لم يطلع ولم يعلم عن مكتبتي التي تحوي كتبا شتى في فنون المعرفة المختلفة ومنها الدواوين الشعرية التي قد تتجاوز ثلاثمائة ديوان، ومنها ديوان شوقي المطبوع قبل الثورة،والشوقيات المجهولة التي جمعها محمد السربوني، ومنها الموسوعة الشوقية التي جمعها ورتبها وشرحها الأستاذ إبراهيم الأبياري في تسعة مجلدات، يقول فيها: (هذه المرة الأولى التي يجمع فيها آثار المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقي في جامعة واحدة لايفلت منها شيء)(ج٢ ص٥) فأين النسخ التي لعبت بها الأهواء من هذا كله؟

سابعا: عصر أبي تمام من خلال التاريخ الصحيح:

يقول: (وأما استنكاره وصف عصر أبي تمام بالتساهل فيبدو أنه يجهل واقع تلك الأزمنة) وأقول: إن هذا موضوع له خطورته عندما نحكم على العصور الإسلامية المفضلة بالانحلال والمجون بناء على روايات غير موثقة وردت في كتب الأدب والمسامرات التي لم توضع أصلا لرواية التاريخ الإسلامي في عهوده المشرقة الحافلة بالعطاء والصلاح والجد والاستقامة على العموم، لأن أي مجتمع إنساني كان لا يكاد يخلو من بعض الجوانب الشاذة، ولكنها تبقى في إطارها المحدود، ولا تمثل المجتمع كله، وليست هي الظاهرة البارزة المسيطرة، وإنما هي جانب من جوانب حياة البشر يمثلها حفنة ممن ضعف عندهم التمسك بالقيم لظروفهم الخاصة، فكان منهم هذا التوجه الذي يجب أن يوضع في إطاره الخاص، وخاصة عندما نعلم مصادر هذه الأخبار وحظها من القبول والثقة لدى صيارفة النقد من المحدثين الذين استطاعوا تنقية السنة المشرفة من شوائب الوضع في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى المصادمة مع الحديث المتفق عليه عن عمران بن الحصين وجاء فيه:(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...) قال الحافظ في الشرح: واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وتقارب منازلهم في الفضل، وهو محمول على الغالب والأكثرية) (الفتح ج٧، ص٧). فهل نترك هذا كله لرأي مستشرق مأفون أو تلميذ مفتون؟!. والموضوع على كل حال يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي والنظر:هل تصلح مثل هذه الكتب للاعتماد عليها في معرفة واقع المجتمع الإسلامي في تلك العصور المتقدمة؟ والله الهادي إلى سواء السبيل■

شعر الغزل في ضوء منهج الأدب الإسلامي

دراسة نقدية

إعداد: بدر بن علي المقبل المطوع

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (شعرالغزل في ضوء منهج الأدب الإسلامي)، وتتضح أهمية شعر الغزل لأنه يعد من أبرز الأغراض الشعرية، فهو يتحدث عن عاطفة الحب، وهي عاطفة إنسانية عامة يشترك فيها أبناء البشرية قاطبة.

وتتأكد أهمية هذا الشعر لما فيه من عنصر الجذب والتشويق والإثارة، فالحديث عن النساء مما تشتهيه الأنفس، وهو فن قابل للتحوير والتأويل ليصبح دعوة صريحة للوقوع في الفاحشة، ودغدغة العواطف والغرائز الجنسية عند المتلقي.

ولإبراز موقف الأدب الإسلامي من هذه القضية وقع اختياري على هذا الموضوع، فالساحة الأدبية بحاجة لطرح مثل هذه القضايا ليسمع صوت الأدب الإسلامي، وبخاصة بعد كثرة دواوين الغزل الشعرية في العصر الحديث.

ويعضد ذلك إهمال بعض نقاد الشعر الحديث - بقصد أو من دون قصد- لميزان الإسلام عند دراسة الشعر الغزلي، فيذهبون لتطبيق المقاييس النقدية المختلفة، ويغفلون عن المقياس الأهم وهو النظرة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة.

لذا كان الهدف من هذه الدراسة الخروج بالرؤية الإسلامية الواضحة حول غرض الغزل، والوقوف بعد ذلك على السمات العامة لشعر الغزل الذي يرتضيه الأدب الإسلامي وتأصيل ذلك كله بالبحث والدراسة.

وقد انتظمت هذه الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول مشتملة على تسعة مباحث، وخاتمة مذيلة بفهارس عامة.

حيث حاولت في التمهيد تحديد مفهوم شعر الغزل بالرجوع إلى المعاجم العربية، متتبعا مناهج الأدباء والنقاد في تقسيماتهم لهذا الغرض الشعري. فأوضحت مفهوم الغزل، والفرق بينه وبين النسيب والتشبيب، وبينت أن لفظة الغزل، والنسيب، والتشبيب ترد في استعمالات الأدباء والنقاد والكتاب بمعنى واحد، وهو ذلك اللون الشعري الذي يتحدث فيه الشاعر عن محاسن المرأة، وما يبث فيه من شكوى وألم وصبابة بسبب معشوقته. كما أوجزت الحديث عن أبرز أنواع الشعر الغزلي شيوعا عند دارسي الأدب، ذاكرا تعريف كل نوع من هذه الأنواع، ومبينا زمان نشأته ومكانه، موضحا ما يتسم به كل نوع من خصائص تميزه من غيره من الألوان الغزلية.

ثم تناولت في الفصل الأول انقسام الأدباء والنقاد، ومن قبلهم علماء الشريعة حول قبول شعر الغزل، أو رفضه، ذاكرا مسوغات الرفض، والإباحة، عارضا لبعض النماذج التي يستشهد بها كل فريق،

ومقفيا ذلك بالموقف النقدي من كل رأي، فكان المبحث الأول معنيا ببيان فكرة من يرى كراهة التغزل بالنساء مطلقا، مستندا إلى ذلك على ما جاء في الكتاب والسنة من أدلة تنهى عن إشاعة الفحش في المجتمع الإسلامي. كما استند أصحاب هذا الرأي على ما في الشعر الغزلي من خاصية تدعو إلى الصبابة، وتهيج الغرائز، وتحريك مكامن الشهوة، وما إلى ذلك، مما يدعو إلى الفسوق والعصيان، ولاشتمال بعض قصائده على الأذى وقذف المحصنات الغافلات.

أما المبحث الثاني فخصصته لمن يرى إباحة الغزل العفيف بشكل واسع، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على سماع الرسول ﷺ لقصيدة (بانت سعاد) مع ما فيها من غزل. كما أن التشبيب في رأيهم صنعة يظهر فيها الشعراء مقدرتهم على تحسين الكلام، وتزويقه، وليس القصد منه تحقيق ما يذكره الشعراء في قصائدهم.

وخرجت في المبحث الثالث برأي مختار، مؤيدا ما ذكرته بأدلة ترجيح هذا الاختيار ومسوغاته.

وفي الفصل الثاني تناولت شبهات قبول شعر الغزل الفاحش، والموقف النقدي منها، فوجدت أن أصحاب هذا الاتجاه تأولوا الإباحة بدليل من القرآن بناء على فهم خاطئ لما ورد في الآيات الأخيرة من سورة الشعراء، ولم تكن أقوال الرسول ﷺ وسلف الأمة الصالح بمنأى عن أعينهم، كما اتخذوا مما ورد في بعض المصنفات الأدبية من مجون، ومناهج التأليف عند بعض أعلام الإسلام، وما روي من سماع عبدالله بن عباس رضي الله عنه لرائية عمر بن أبي ربيعة، حجة لهم يستدلون بها على صحة مذهبهم.

وبالوقوف مع هذه الشبهات في ساحة النقاش، اتضح بطلان منهجهم، القائم على التأويل المغلوط، وليّ أعناق النصوص، وبتر أقوال الرسول ﷺ، وصحابته الكرام من سياقها الخاص الواردة فيه. كما ظهر جليا تعارض هذه الشبه مع نصوص الشريعة الإسلامية العامة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما الفصل الثالث، فقد قدمت له بمدخل تحدثت فيه عن ظاهرة المقدمة الغزلية في تاريخ الأدب العربي، توصلت فيه إلى أن المقدمة الغزلية تعد تمهيدا لاجتذاب قوى الشاعر وملكاته المبدعة، فإذا هو

مندفع بنشوة ليقول الشعر فيما يريد، كما أنها في الوقت نفسه تسترعي انتباه السامع ليصغي إلى ما يريد الشاعر قوله. وليس بالضرورة أن يصدق هذا الرأي على جميع الشعراء، فمنهم من استهل قصيدته بهذا المطلع الغزلي عن طيب نفس وفيض خاطر، لأن معشوقته أعزعليه من كل ما يملك، فكان من الطبيعي أن يلهج لسانه بذكرها. كما التزم البعض الآخر من الشعراء هذه الظاهرة الأدبية لأنه جعلها بمثابة القاعدة الفنية، والتقليد الشعري الذي لا يمكن الخروج عليه ومخالفته بحال من الأحوال

ثم انتقلت بعد ذلك إلى توثيق المقدمة الغزلية لقصيدة بانت سعاد من خلال كتب الحديث والسيرة النبوية، وخلصت من ذلك إلى ثبوت سماع المصطفى عليه الصلاة والسلام لهذه القصيدة وما جاء فيها من غزل، وقد روى ذلك عدد من أهل العلم بأسانيد مختلفة، منها الموصول، والمرسل، والموقوف. وخلاصة القول في ذلك : أن تلقي أهل العلم لها بالقبول وعدم النكير دليل على ثبوتها.

أما الموقف النقدي من التصوير الحسي للمرأة في قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه، فقد تناوله جميع النقاد، رأى بعضهم تفسير هذه المقدمة الغزلية بالرمزية، وذهب بعضهم الآخر إلى القول:

إن الرسول ﷺ قد فصل بين قول الشاعر وفعله، مستدلا على ذلك بقبول الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه المقدمة الغزلية، مع ما فيها من غزل حسي، وأنكر بعض النقاد سماع الرسول ﷺ لما جاء في هذه القصيدة من غزل، مع أنه ﷺ سمعها وقبل ما جاء فيها على اعتبار أنها تقليدية لم يخرج فيها الشاعر عن حدود العفة والالتزام بتعاليم الإسلام.

وقد ذيلت هذه الدراسة بفهارس للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس للنصوص الشعرية الواردة في البحث، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس تفصيلي للموضوعات التي اشتملت عليها الدراسة.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي للنصوص في الكتب المختلفة، ودراستها، وتحليلها، وتوثيقها، والكشف عن الفروق الدقيقة بينها بالنظر والتأمل. فليست طبيعة هذه الدراسة الاستقصاء التاريخي للأشعار الغزلية عبر تاريخ الأدب الإسلامي الطويل، وإنما هي تقعيد وتأصيل للشعر الغزلي الموافق للتعاليم الإسلامية، وإبراز لسماته التي يرتضيها الأدب الإسلامي، ثم اختيار شواهد شعرية كاشفة عن هذه السمات، وموضحة لهذا المنهج.

ولا أخفي على القارئ الكريم أني عندما شرعت في هذه الدراسة برزت أمامي بعض الصعوبات التي حاولت جاهدا تخطيها لتحقيق الهدف من هذا الموضوع، ومن أظهر تلك الصعوبات:

١ - جدّة الموضوع، وشح مصادره، وتفرق مادته العلمية، حيث إن ميدان الأدب الإسلامي ما زال في طور التأصيل والتنظير.

٢ - مساس هذا الموضوع وتعلقه ببعض المسائل الشرعية، فكان عليّ أن أتوخى الحذر، وأن أعتمد على المصادر الشرعية حين ينبني على الموقف حكم شرعي.

٣ - تداخل موضوعات البحث في المباحث والفصول، فأحسب أنني قد اجتهدت، ومع هذا يبقى جهدي بشريا يعتوره النقصان من بين يديه ومن خلفه، ويخضع للمناقشة والأخذ والرد، وهذا سبيل الدراسات والبحوث العلمية من قبل ومن بعد.

أما أبرز النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، فهي:

١ - قبول الغزل العفيف، إذا لم يتغزل فيه الشاعر بامرأة أجنبية معينة لا تحل له.

٢ - أن ربط الأدب بالتعاليم الإسلامية، والقيم الأخلاقية، أمر لا يشكل أي خروج عن طبيعة الأدب، ولا يعد قيدا على حرية الشاعر التي يتمتع بها، بل إن ذلك يهيئ له أوسع مجال للتعبير، وأكثره تلاؤما مع الفطرة البشرية.

٣ - ضعف بعض الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ، والتي تدل على إباحة الغزل العفيف مطلقا.

٤ - تراجع بعض الأئمة الأعلام عما صدر عنهم من آراء تبيح الغزل على إطلاقه، كابن حزم في رسالته (طوق الحمامة)، والشيخ علي الطنطاوي في كتابه: (من غزل الفقهاء).

٥ - انفراد ابن إسحاق برواية مرسلة للبيت المنسوب لكعب بن زهير رضي الله عنه:

هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول[1]

وعدم ثبوته عن طريق المحدثين، أما أهل العلم بالسيرة فلم يثبته أحد منهم إلا من رواه نقلا عن ابن إسحاق في سيرته.

٦ - اتضح من خلال دراسة الأبيات الغزلية الواردة في مقدمة قصيدة بانت سعاد، أن الوصف الحسي فيها لم يتجاوز أربعة أبيات فقط، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن هذه الأوصاف تقليدية لا جدة فيها ولا ابتكار، وعلى هذا فمن غير المناسب القول بأن هذه المقدمة ركزت على الأوصاف الجسدية للمرأة. وقد قدمت الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام. وأشرف عليها الدكتور عبدالله بن صالح العريني، وناقشها كل من د.محمد علي الصامل، ود. عويض حمود العطوي. وأوصت اللجنة بمنح الطالب الماجستير بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى للعام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ ■

(١) سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق، ٩٣٩/٣.

إشراف د. أحمد السعدني

●● هاشم فتحي أحمد - مصر

❖ قصيدة: إباء عاشق:

السطر الشعري الأول(لا زلت أنتِ دائماً) الصحيح (ما زلت) فالفعل ما زال، مضارعه لا يزال.

البناء الشعري في القصيدة بناء جيد، يدل على موهبة طيبة، بيد أن الصورة الشعرية يحوطها أحيانا بعض الخفوت في الخيال والعاطفة مما يؤثر على البناء الجمالي في القصيدة، وأنصحك بأن تشحذ أدواتك الشعرية، الخيال والعاطفة، والإيقاع، والوزن، بالقراءة العميقة المتأنية في الشعر، وخاصة الشعر القديم في عصر بكارته الأولى، الشعر الجاهلي الذي جاء على غير مثال، مما جعله شحنة جمالية دفاقة.

❖ قصيدة: ويرقص في الفضا قمر

قصيدة جيدة، ولأنني أرنو إلى الأفضل مما تقوله شعرا فلا أقول أكثر مما قلناه عن القصيدة السابقة. وأقف أمام أبيات من القصيدة:

لماذا كلما أشتاق
تهتز الربا حولي
ولا يهتز لي وتر
لماذا كلما أصفو
أرى في الصخر إنسانا
ويرقص في الفضا قمر
أعيش الهمسة الأولى
وفي سكراتها أغفو
وأمضي ثم أستتر

ألست ترى هنا أن الصورة الشعرية مضطربة، ففي حالة الشوق (للأنا) تهتز الربا ولا تهتز له وتر، وحين تهفو (الأنا) يكون الإنسان في الصخر، ثم بعد ذلك (نفسيا للأنا) يرقص القمر، وتعيش الهمسة الأولى وفي سكراتها تغفو ثم تمضي ثم تستتر. راجع يا شاعري الواعد معجمك الشعري، لفظا ومعنى، ودلالة وخيالا وعاطفة من خلال البعد النفسي للشاعر في حال قوله الشعر. وننشر لك فيما يأتي نص(وبدأت أسأل):

وبدأت أسأل

وبدأت أسأل
كيف أسأل؟
والجواب هو الجوابْ
من ذا يقاوم نار أسئلتي
ويرضى بالحرابْ
من ذا يساوم وهج أوردتي
بأشعار يصفدها الكتابْ
النار تحرق والدماء تثور
والجرح المعبأ بالعذابْ
وقصائدي
بالحذف والإضمار أحيانا تعابْ
ماذا سيبقى.....؟!
بعدما انكسر اليراع
وكبلت شمسي السحابْ
ماذا سيبقى.....؟!
بعدما جمدت دموعي
وانزوت عند الغيابْ
ماذا سيبقى.....؟!
ومشاعلي خجلى يراودها الشهابْ
الحر أنت وكل ما في القلب
يا عزمي مصابْ
يا أمتي......
إني تعبت من السباحة في السرابْ
ومن اندلاع النار في صمت
ويخمدها الخطابْ
والصمت يقتل من يبوح
ومن يفكر في اقترابْ
يا أمتي......
هذا دمي المعصوم مهدور
تستر بالترابْ
هذا أبي المصلوب تعرفه المفاوز والشعابْ
هذا أخي المكلوم
والأم الممزقة الثيابْ

●● محمد الحبيب - الجزائر

❖ قصيدة: المشاغب

هذه البداية في قول الشعر مع (الصرخة) والبيت اليتيم الذي قلته عند فراق أحد الأحبة، تشير إلى أنك تحاول أن تكون أداتك الفنية شعرا، وأن يعرف المبدع أي الأجناس الأدبية تناسب إمكاناته الفنية، شيء طيب.

بعد هذه الخطوة الأولى، تأتي الخطوات التالية التي تتمثل في الوعي بدور الكلمة وأدائها المعنوي والموسيقي، وما في هذه الكلمة من مخزون معرفي وثقافي، وتراث وقيم، هذا الوعي يصنع ذوقا ورصيدا لدى المبدع، هذا الوعي الذي أشير إليه له روافده التي تتمثل في الثقافة.. في الأدب بصفة عامة، وفي الشعر بصفة خاصة، والثقافة في الإنسانيات: التاريخ والحضارة والفلسفة والاجتماع وعلم النفس. كل هذه الثقافة المتنوعة تشكل الذوق الشعري والوعي بدور الكلمة الذي أشير إليه. اقرأ كثيرا في هذه العلوم المختلفة، وركز على الأدب والشعر، حتى تستقيم أدواتك، وتصبح شاعرا.

هناك نقطة أخرى أحب أن أشير إليها، ذكرت أنك تأمل في أن يسلم شيطان شعرك، ليس للشعر شيطان، فهذا تصور قديم، أخرجه من فكرك تصلح لك الأمور.

●● يسمينة المرابط

elmorabetyasmina@yahoofr

❖ أعمال الأطفال قبل سن التمدرس، ❖ نهاية الأسبوع، ❖ أقول باسم الله

الكتابة للأطفال ليست يسيرة - إنها فن - وتدخل في كل الأجناس الأدبية، هناك قصة للأطفال، وهناك شعر للأطفال، وهناك دراما للأطفال، والذي كتبته هنا، ليس إلا خواطر لا تدخل في أي من الأجناس الأدبية. ومن اللافت للنظر أنك متسرعة في الكتابة، نصيحتي اقرئي عشرات الكتب، بل المئات في الأجناس الأدبية، ثم تأتي الكتابة خطوة ثانية، لأن الكتابة في حاجة من الكاتب إلى رصيد ثقافي ومعرفي، والكتابة ثمرة هذا الرصيد، ومن ناحية أخرى فالرصيد يحدد الجنس الأدبي الذي يصلح لموهبتك، كما أن الرصيد ليس وقفا على الأجناس الأدبية، بل تدعمه العلوم الأخرى التي ترفد الأدب.

●● أحمد دحمان صبايحة - الجزائر

❖ إلهي أحتاج إليك

مجرد خاطرة، اقرأ نصيحتي ليسمينة المرابط خاصة، واقرأ نصيحتي لكل من سبقك من الذين أرسلوا أعمالهم وعلقت عليها. الفكرة، حاجة الإنسان إلى ربه، فكرة طيبة، قيل فيها الكثير من الشعر منذ عصر صدر الإسلام حتى اليوم، سواء كان شعرا عربيا أم غير عربي، وكثير من غير الشعر العربي مترجم إلى اللغة العربية شعرا، من الفارسية والأردية والتركية وغيرها، فإن كنت مهتما بهذا الغرض الشعري فقم بعملية رصد وقراءة متعمقة في الشعر الذي أشرت إليه، وفي الشعر العربي عامة حتى تستقيم لك أدوات الشعر، وتصبح طيعة في يدك، القراءة أولا ألف مرة، ثم الكتابة بعد ذلك.

إلهي.. أحتاج إليك

إلهي..
لقد ضاقت بي الدنيا بما فيها..
فلم أعد أستوعب ما فيها
كثرت المآسي منها..
ازدادت الآلام..
فكادت أن تقضي عليّ بجراحها
ولكني يا الله..
ولأن إيماني أقوى.. يا خالقي
ها أنا ذا أطرق بابك..
فإني إلى رحمتك محتاج..
وإلى عفوك أكثر احتياجا..
فكن معي يا إله الكون،
وكن لي السند الدائم،
فمهما بلغت من الارتفاع شأنا
سيبقى احتياجي إليك على الدوام
منذ خلقتني..
إلى أن ترتفع روحي.. فتعود إليك

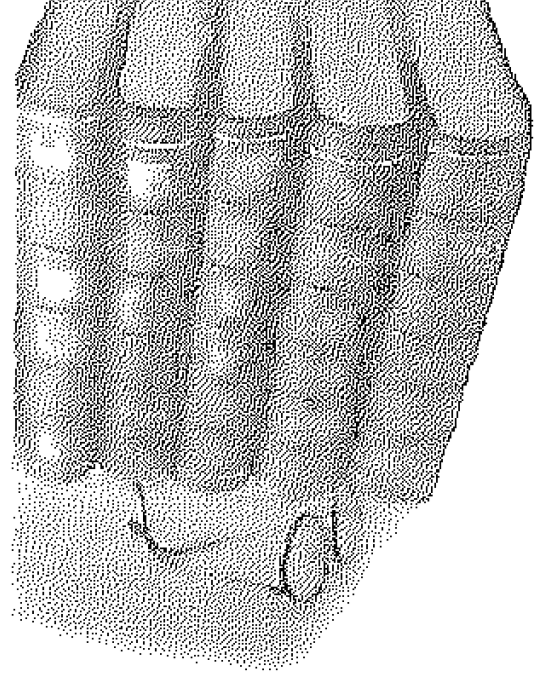

اسم الكتاب: معجم التعبيرات القرآنية

المؤلف: محمد محمد عتريس

الناشر: الدار الثقافية للنشر - القاهرة

عرض: محيي الدين صالح

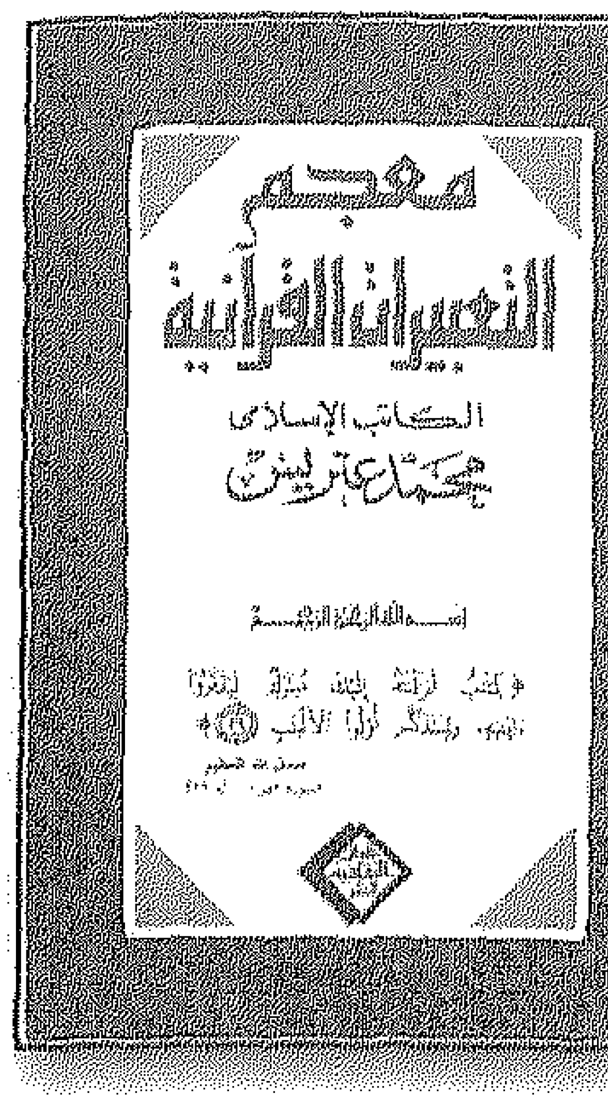

للمعاجم دور كبير في دراسة العلوم المختلفة، لما توفره من معلومات متجانسة مجموعة بعضها إلى بعض لتكون في متناول الباحثين بسهولة ويسر كلما أرادوا الحصول عليها أو الرجوع إليها.

وقد ظهرت المعاجم الخاصة بالدراسات الإسلامية في كثير من جوانبها المتعددة، كمعجم ألفاظ القرآن الكريم، ومعجم أطراف الحديث النبوي، وأخيراً أضيفت إلى المكتبة العربية والإسلامية (معجم التعبيرات القرآنية) في ٦٢٥ صفحة من القطع المتوسط للكاتب الإسلامي/ محمد محمد عتريس، الذي تأثر بعمله في الترجمة وتعامله اليومي مع عشرات المعاجم الإنجليزية والعربية، ولاحظ ندرة المعاجم العربية المتخصصة، في الوقت الذي تغطي فيه المعاجم الإنجليزية كل فروع العلم والمعرفة تقريباً، بل هناك معاجم للتعبيرات الإنجليزية.

والمؤلف بحكم تعمقه في الدراسات المتنوعة من خلال عمله مترجما، تولدت لديه الغيرة المحمودة على دينه الإسلامي ولغته العربية وثقافته، فأراد أن يستخرج من القرآن الكريم بعض التعبيرات القرآنية ذات الدلالة البيانية التي تتخطى حدود الكلمات، ويقدمها إلى الباحثين والمثقفين على غرار معاجم التعبيرات التي وجدها في اللغة الإنجليزية.

وفكرة المعجم تتلخص في تجميع انتقائي لبعض التعبيرات القرآنية البلاغية التي تحتاج من القارئ إلى تأمل واسع لإدراك معانيه، مبيناً الأبعاد

اسم الكتاب: معجم مصطلحات الأدب الإسلامي

المؤلف: د. محمد عبد العظيم بن عزوز

الناشر: دار النحوي، الرياض

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

عرض: محمد ظافر القحطاني

يقع هذا الكتاب في ٢١٦ صفحة، وقدم له المؤلف بمقدمة ذكر فيها أهمية المعاجم عامة ومعاجم المصطلحات خاصة.

وقد رتب معجمه على حروف الهجاء دارساً ومحللاً أهم المصطلحات التي يحتاجها الدارسون للأدب العربي مقدماً في كل ذلك وجهة نظر إسلامية في دراسة الأدب. ابتداءً من المصطلح الذي يعبر عن منطلقاتنا الفكرية والدينية والثقافية والخلقية.

هذا المعجم الذي يقدمه الدكتور محمد بنعزوز للقراء العرب هو واحد من الاجتهادات التي يبذلها كثير من الأدباء والنقاد في سبيل بلورة منهج إسلامي في نقد الأدب بمختلف أنواعه، وهو معجم للمصطلح الأدبي والنقدي المنطلق من رؤية إسلامية في الإبداع والنقد.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت مؤلف "معجم مصطلحات الأدب الإسلامي" إلى تأليف كتابه ما يأتي:

١ - عدم وجود معاجم مصطلحات تنطلق من رؤية أدبية إسلامية.

٢ - اضطراب مفاهيم بعض المصطلحات في المعاجم الأدبية والنقدية العامة في الرؤية والخلفية الفكرية أو الثقافية.

٣ - قلة التأصيل للكثير من المصطلحات في الدراسات الأدبية الحديثة وشيوع الترجمة والنقل الحرفي للمصطلحات.

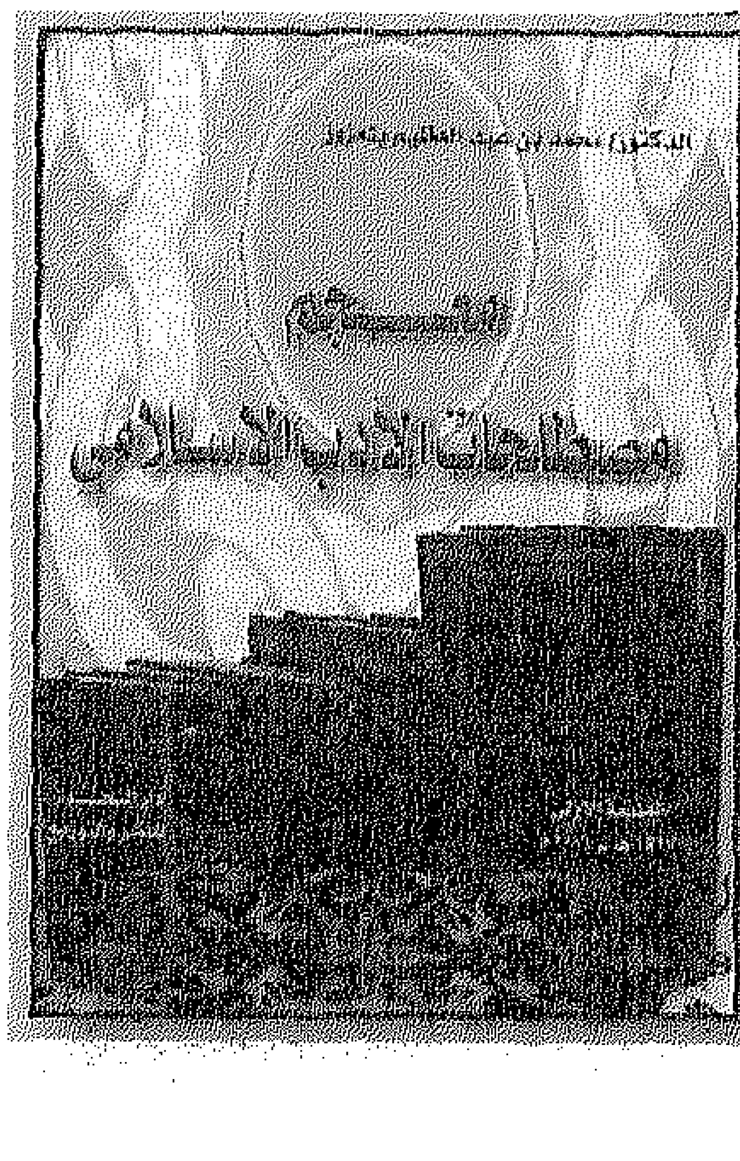

أما عمل الدكتور بنعزوز فهو يقوم على تأصيل كل مصطلحات معجمه انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتب اللغة والمعاجم العامة، وكتب النقد والأدب، فيعطي المصطلح خلفية ثقافية عربية وإسلامية.

التي قد تخفى على القارئ المتعجل، ملتزماً الترتيب المصحفي في إيرادها، وأيضاً ملتزماً التفسيرات الموثقة، ووضع هذه التعبيرات في ترتيب منهجي على حسب الحروف الهجائية لأوائل الجملة التعبيرية، وفي خاتمة المعجم وضع كشافين اثنين لتسهيل الوصول إلى التعبير القرآني المراد، الكشاف الأول مرتب على أساس الترتيب الأبجدي للكلمة الأولى من التعبير، أما الكشاف الثاني فهو على أساس الترتيب الأبجدي للكلمة الأساسية في كل تعبير.

وجدير بالذكر أن إجمالي التعبيرات القرآنية التي أوردها الأستاذ محمد محمد عتريس في هذا المعجم تبلغ (٥٦٧) تعبيراً، ومن أمثلة هذه التعبيرات (شياطين الإنس والجن) الذي ورد في قوله تعالى في الآية رقم ٦ من سورة الأنعام ﴿وكذلك جعلنا لكي نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾، وترتيب هذا التعبير القرآني في المعجم هو (١٨٥)، أما سبب اختيار هذا التعبير ووضعه في المعجم لأن كلمة (شياطين) اعتاد الناس أن تطلقها على الجن، فإذا ورد قوله تعالى (شياطين الإنس) فإن هذا التعبير لابد أن يتوقف عنده القارئ طويلاً، مستلهماً آيات البلاغة والبيان ليقرأ من خلال الآية ما بين السطور وما وراءها، ليأخذ حذره الكامل من كل وسوسة تأتي إليه من أي طرف، ويستعيذ بالله منها سواء كانت من الجنة أو من الناس.

وكذلك اختار المؤلف قوله تعالى في الآية رقم ٢٥ من سورة الفرقان ﴿وهو الذي جعل الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً﴾ ووضعها ضمن التعبيرات القرآنية التي لها دلالات بعيدة المدى تحت رقم (٤٢٤). وهكذا، فإن التعبيرات التي اختارها ووضعها في المعجم لها معان ينبغي على المسلم الاستشهاد بها في تفاعله مع آيات الذكر الحكيم، حتى لا يكون من الذين يمرون عليها وهم معرضون(حسب رؤية المؤلف).

وقد قام المؤلف بعرض فكرته على مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، الذي أفاده أن هذا المشروع ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية، وأن لا مانع من طبعه ونشره، فكان هذا الكتاب الذي يعد من الإضافات القيمة للمكتبة العربية عموماً، والإسلامية على وجه الخصوص■

إن وجود كتاب مثل هذا في المكتبة العربية ضرورة تمليها ظروف الأدب العربي المعاصر، بل ضرورة للثقافة العربية، وذلك لأن قضايا المصطلح " من حيث استيعاب مدلوله وتوظيفه ذات شأن بعيد وأثر عميق في مجال البحث والدراسة والمناظرة، ذلك لأن كل علم وكل فن وكل مجال فكري أو مهني يتميز بوجود مصطلحات خاصة به تكون منبثقة من صميم جوهره وطبيعة موضوعه، والمصطلحات لا تؤدي المعنى الذي صيغت من أجل التعبير عنه إلا في المجال الذي ابتكرت فيه».

لقد اشتمل معجم مصطلحات الأدب الإسلامي على كثير من المصطلحات الأدبية والنقدية في فروع الأدب كلها إلا أن نصيب الأنواع السردية كان أكبر من الشعر، وذلك لكثرة أنواع السرد، إضافة إلى كثرة الدراسات المعاصرة فيها. وقد كانت دراسة كل مصطلح تقوم على ما يأتي:

١ - التعريف الدقيق بالمصطلح.

٢ - استقصاء ما يرتبط به من اصطلاحات فرعية.

٣ - تأصيل كل مصطلح وبيان استعماله في تراثنا الثقافي أو الفكري أو الديني كمصطلح (الشخصية) مثلاً، مع الاستفادة من المصطلحات الأجنبية بما لا يخالف التصور الإسلامي.

ومع كل ما يتميز به هذا المؤلف من جهد مشكور إلا أنه :

١ - لم يكتمل بعد، والمؤلِّف يعد بإخراج الجزء الثاني إن شاء الله.

٢ - لم يثبت المؤلف إلى جانب المصطلح الذي يتحدث عنه ما يقابله باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، بل لم يثبت في قائمة المصادر.والمراجع سوى مرجع واحد بالفرنسية ... وهنا أقترح أن يكون هناك سرد في آخر الكتاب يشمل المصطلح المدروس ويقابله المصطلح باللغة الأجنبية ؛ لأنه بهذا يتيح للدارسين المقارنة أو الموازنة بين الترجمات العربية ومن ثم اختيار ما يراه الدارس .

وعلى كل حال فهذه ملاحظات لا تقلل من قيمة هذا الجهد الطيب والعمل المتميز، وإنما هي مشاركة بأفكار لعلها تنفع، بإذن الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

أخبار الأدب الإسلامي

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب مصر - محيي الدين صالح:

المؤتمر الأدبي الإقليمي الرابع

الإمام محمد عبده أديباً

بالتعاون بين جمعية رابطة الأدب الإسلامي بمصر ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، أقيم المؤتمر الأدبي الإقليمي الرابع بعنوان: (الإمام محمد عبده أديبا) وذلك يومي الخميس والجمعة ٢٣-٢٤ رجب ١٤٢٧هـ الموافق ١٧-١٨ آب/أغسطس ٢٠٠٦م، بالمركز الكشفي العربي الدولي بالقاهرة، وقد ارتكز المؤتمر على ثلاثة محاور رئيسية:

١ - دور الإمام محمد عبده في خدمة التراث الأدبي.

٢ - الإمام محمد عبده أديبا.

٣ - دور الإمام محمد عبده في النهوض بالحركة الأدبية.

وقد تفرعت عن هذه المحاور بعض الجوانب المتعلقة بفن المقال وتحرير الأسلوب من أثقال الصنعة.

تقدم الباحثون بأربعة عشر بحثا تناولت كل المحاور والجوانب.

قدم د . عبدالمنعم يونس (رئيس المؤتمر ورئيس مجلس إدارة جمعية الأدب الإسلامي بمصر) بحثه عن محمد عبده وتحقيق التراث، وضح فيه جهود الإمام في تنقية التراث الأدبي عند التحقيق، وضرب مثلا لذلك بتحقيق الإمام محمد عبده لمقامات بديع الزمان الهمذاني، حيث وضع الإمام نهجا إسلاميا للارتقاء بالذوق العام، وذلك بترك الكلمات أو العبارات التي تخدش الحياء، بل ترك الموضوعات التي لا تخدم الإسلام مع الإشارة إلى ذلك، كما وضح د . عبدالمنعم يونس أسلوب الإمام في اختيار الكتب التي يريد تحقيقها، بحيث تكون ذات فائدة عظيمة وتخدم الإسلام والمسلمين أو الأدب العربي الأصيل، وضرب مثلا لذلك بكتاب نهج البلاغة المنسوب لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

وتحدث د. عبدالحليم عويس في بحثه عن فن المقال عند الإمام وقسمه إلى مراحل، موضحا أن المقالة عنده في المراحل الأخيرة من حياته قد تطورت بعدما كان ثوريا بتأثير أستاذه جمال الدين الأفغاني في المرحلة الأولى. وجاء بحث د.أحمد حنطور أيضا عن فن المقال في أدب الشيخ محمد عبده. وقدم د . عبدالولي الشميري بحثا عنوانه الإمام محمد عبده شاعرا، تناول فيه قصيدته المطولة الشهيرة، وأورد بعض الأبيات ذات الدلالة على شاعرية الإمام، وإن لم يكن معروفا بذلك. كما تحدث عن الشعر عند الإمام محمد عبده كل من د. علي عبدالوهاب، ود. محمد بدر معبدي. وقدم د . حسن الهويمل بحثه عن المصالحة في خطاب محمد عبده.

وتحدث د . صلاح الدين عبدالتواب بحثه عن المنهج الأدبي للإمام في تفسير القرآن الكريم، وقدم

د . سعد أبو الرضا بحثه عن الملامح الفنية للسيرة الذاتية عند الشيخ محمد عبده، وقدمت د . عزة منير بحثها عن فن الرسائل في كتابات الإمام، أما د .أحمد محمد على (عبده زايد) فقد تناول دور الإمام في إصلاح الذوق العام عند المتلقين والمبدعين على حد سواء، وتناول د.علي علي صبح أسلوب الإمام الأدبي في فكره، وقدم د. محمد السعيد جمال الدين بحثه عن الإمام والثقافة الفارسية موضحا أن الإمام قام بترجمة بعض الكتب إلى اللغة العربية، وتناول تأثر الإمام بالعلوم الفارسية بحكم أستاذية جمال الدين الأفغاني له. كما قدم الأستاذ متولي عطية بحثه عن سمات الكتابة في رسالة التوحيد نموذجا، وتمت مناقشة البحوث المقدمة على عدة جلسات.

هذا، وقد عقد المؤتمر تحت رعاية الأستاذ د . أحمد عمر هاشم، رئيس جامعة الأزهر السابق الذي ألقى كلمة ضافية عن الإمام ودوره في الأدب العربي والفكر الإسلامي، مقدما الشكر لرابطة الأدب الإسلامي العالمية لتبنيه إزالة غبار النسيان عن أعلام الفكر والأدب.

وكانت فعاليات المؤتمر قد بدأت بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، تلاها د . عبدالحليم عويس (نائب رئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامي بمصر) ثم ألقى د. عبدالمنعم يونس كلمة جمعية رابطة الأدب الإسلامي بمصر، فتحدث عن المؤتمرات الثلاثة: السابقة للجمعية، ووجه الشكر للدكتور أحمد عمر هاشم على رعايته للمؤتمر. وتحدث د . عبدالباسط بدر (نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مكتب البلاد العربية) عن التعاون الوثيق بين رابطة الأدب الإسلامي العالمية وجمعية رابطة الأدب الإسلامي بمصر، وعن أهمية مثل هذه المؤتمرات.

وأقيمت أمسية شعرية موسعة على هامش المؤتمر حضرها لفيف من الأدباء والشعراء قدموا إبداعاتهم المتنوعة، عن هموم الأمة العربية والإسلامية، أدار الأمسية الشاعر د . زهران جبر (عضو الهيئة الإدارية ورئيس لجنة الشعر في جمعية الأدب الإسلامي).

وفي نهاية الفعاليات تلا د . عبدالمنعم يونس (رئيس المؤتمر) البيان الختامي والتوصيات التي ركزت على ضرورة الاهتمام بما خلفه الإمام محمد عبده من تراث فكري وأدبي، مع حث الباحثين على إعداد المزيد من البحوث والدراسات المنهجية عن الجانب الأدبي في نتاج الشيخ، وكذلك حض الجامعات العربية على الاهتمام بالبحث العلمي الجاد، وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه وبحوث الترقية في أدب الإمام، وحض الهيئات الثقافية على تعزيز ظاهرة تكريم الأدباء وإعداد الدراسات المنهجية عنهم ونشرها.

وفي نهاية التوصيات عبر د . عبدالمنعم يونس عن تضامن المؤتمر مع الشعب اللبناني في محنته فقال: «إذ يشارك المتندون الشعب اللبناني آلامه بما أصابه من وحشية التدمير، وأفراحهم بالنصر، ليتمنون على الشعب اللبناني بخاصة، والأمة العربية بعامة أن يتكاتفوا في الوقوف صفا واحدا لمواجهة ما يحيك لهم أعداء الإسلام من مؤامرات للنيل من كرامة الأمة وعزتها ووحدتها».

مكتب الأردن - هيام فؤاد ضمرة:

مسابقة القدس الشعرية

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن يوم السبت الموافق ٢٢/٧/٢٠٠٦م حفل إعلان نتيجة المسابقة الأدبية لهذا العام في الشعر بعنوان: القريحة الشعرية، حيث تولى الأديب محمد جمال عمرو إدارة الحفل الذي دعي إليه جميع المشاركين في المسابقة وذووهم.

وحضر حفل إعلان النتائج والإشراف على توزيع الجوائز السيد ماهر عبدالقادر مدير تنمية الموارد البشرية للبنك العربي الإسلامي الدولي، الذي تبنى رعاية المسابقة سنويا ودعمها المادي ما دامت المسابقة قائمة كنهج تنموي مجتمعي للثقافة والأدب الذي يتبناه البنك، ويخصص البنك إدارة خاصة لذلك بهدف تقديم المشاركة الفاعلة لدفع المجتمع للارتقاء أدبا وفكرا وممارسة تتواءم وسياسة البنك العامة.

استهل الحفل بقراءة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم، تلاها الدكتور أحمد شحروري... ثم ألقى الدكتور عودة أبو عودة كلمة الافتتاح باسم الرابطة شاكرا ومباركا مبادرة البنك العربي الإسلامي ممثلة بشخص الأستاذ ماهر عبدالقادر لرعايته الكريمة للمسابقة، مستعرضا خطوات إجراءات المسابقة وتقويمها من قبل لجنة متخصصة. وتألفت اللجنة من الدكتور مصطفى عليان، والدكتور منير تيسير الشطناوي، والدكتور إبراهيم الكوفحي من الجامعة الهاشمية.

ثم ألقى الأستاذ ماهر عبدالقادر مدير تنمية الموارد البشرية في البنك العربي الإسلامي كلمة أثنى فيها على جهود المكتب الإقليمي الأردني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ودوره الفاعل في نشر الثقافة عموما والثقافة الإسلامية خصوصا، ودور الرابطة الحي في تبني الإبداعات الشابة وتحفيزها ورعايتها.

ثم قام السيد ماهر بتوزيع الجوائز على الفائزين حسب ترتيبهم، وأتيح المجال للفائزين لقراءة قصائدهم الفائزة التي توضح كفاءتهم وارتقاء إبداعهم، وهم:

الجائزة الأولى: إيمان محمد حسني عبدالهادي عن قصيدتها (القدس أول أحرفي!!).

الجائزة الثانية: حجبت لوجود ثغرة كبيرة مع المستوى الأول.

الجائزة الثالثة: زينة محمد علي إيراني، عن قصيدتها (وقالت القدس).

الجائزة الرابعة: مهند سليمان كساسبة، عن قصيدته (إلى القدس أمضي)..

الجائزة الخامسة، مشتركة بين:

١ - حمزة محمد فرحان قديسات، عن قصيدته (ضمي فؤادي يا رؤوم).

٢ - سيف الدين محمد محاسنة، عن قصيدته (ذاكر الرعب).

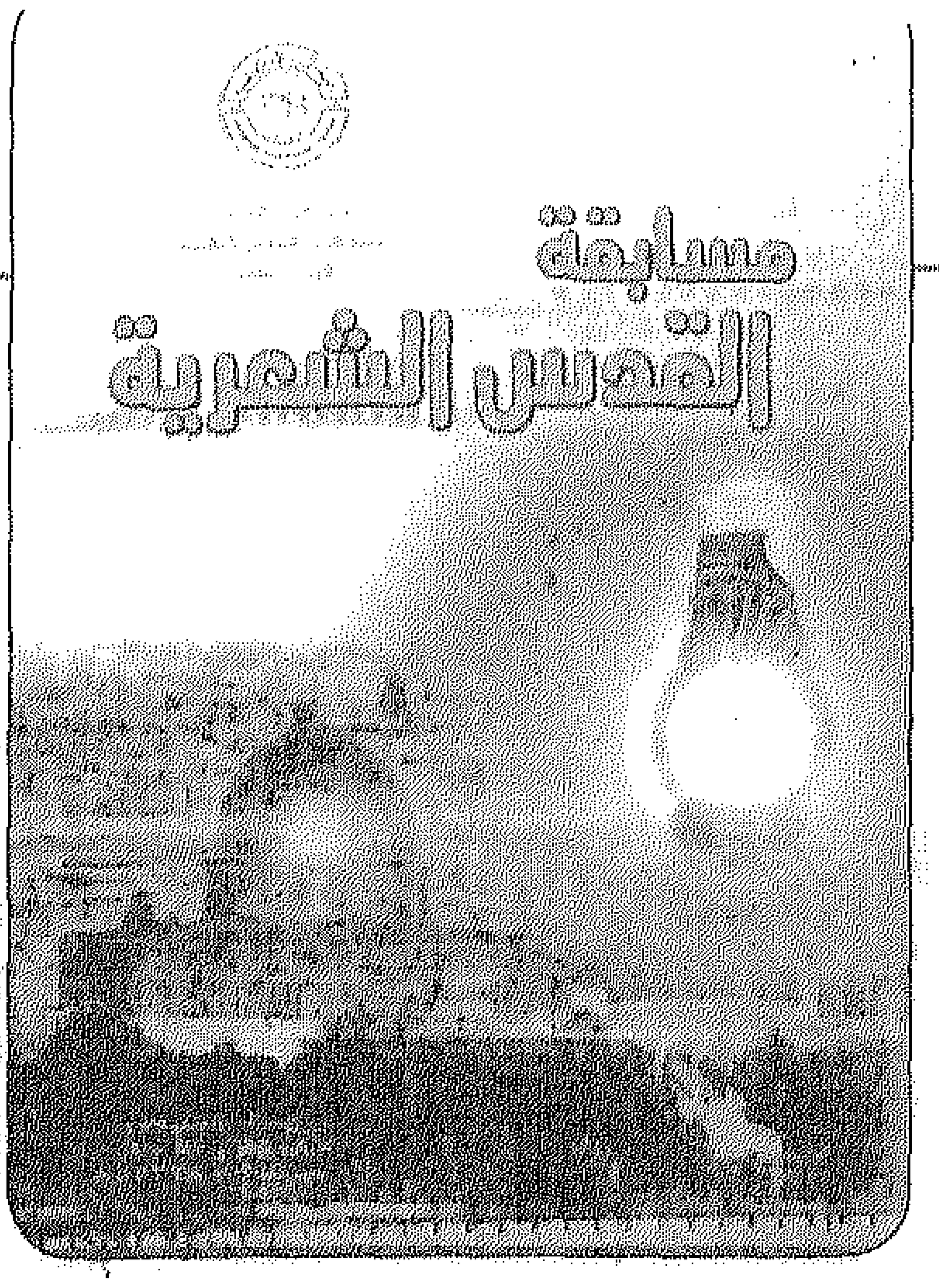

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ...

أقيمت في مقر المكتب الإقليمي بالأردن الأمسية الثقافية الدورية مساء السبت الموافق ١٥/٧/٢٠٠٦م، وقد استهلها رئيس المكتب ومقدم الأمسية الدكتور عودة أبو عودة بشرح مفصل حول فعاليات الأسبوع الأردني للأدب الإسلامي الذي عقد في المغرب الشقيق، والذي كان بمثابة المؤتمر الثقافي بالتعاون مع جامعة الملك محمد الخامس في الرباط، وجامعة الملك محمد الأول في مدينة وجدة.

ثم قدم المهندس حاتم فايز البشتاوي محاضرته في موضوع "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيدين والمعارضين»، حيث بين أن القرآن الكريم يزخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون .. ظواهره وموجوداته ونظامه، وبلغ إحصاء الإشارات الكونية فيه حوالي ألف آية صراحة، وعدد آخر يوصف دلالاتها.

مكتب الرياض - محمد شلال الحناحنة:

الملتقى الأدبي الشهري

د. أبو صالح

❖ تحدث الدكتور عبدالقدوس أبو صالح في الملتقى الأدبي لشهر شوال ١٤٢٧هـ عن تجربته الشعرية، التي وصفها بالمحدودة، وبين في حديثه بداياته الشعرية، وأشار إلى أن من أهم محفزات الإبداع الشعري المعاناة بأنواعها، وقرأ عددا من قصائده مثل أمي الحبيبة والنسر والوطن المباح. وقدم الملتقى نائب رئيس المكتب الإقليمي د. ناصر بن عبدالرحمن الخنين.

❖ وتحدث في الملتقى الأدبي لشهر ذي القعدة ١٤٢٧هـ الأستاذ محمد سعيد المولوي عن تجربته الأدبية في الشعر والقصة، وقرأ عددا من النصوص الشعرية والقصصية.

وقدم الملتقى الأستاذ يوسف محمد الدوس.

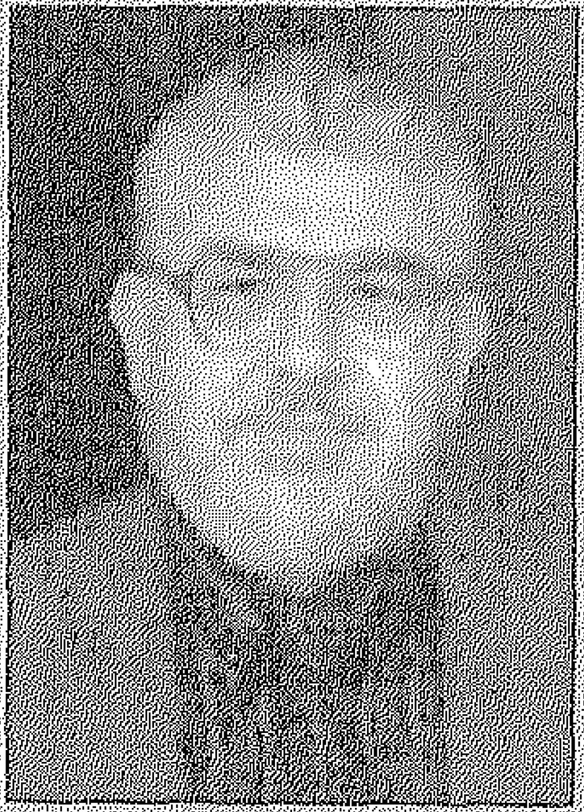

المولوي

ملتقى الإبداع

عقد المكتب الإقليمي أربعة ملتقيات للإبداع خلال المدة شعبان - ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

شارك في إلقاء النصوص الشعرية كل من: عماد الدين دحدوح، محمود حسن، سامي البكر، شيخموس العلي، هيثم السيد، معاذ الهزاني، مؤيد رضا حجازي، وبدر الحسين، وسليمان محمد الزمامي، ومحمد عبدالله عبدالباري، ونبيل أحمد الزبير.

وشارك في قراءة النصوص السردية كل من: أحمد صوان، منذر سليم، عبدالستار الألفي، أيمن ذو الغنى بدر الحسين، وائل العريني، عبدالإله بكار، وطارق عبدالمحسن.

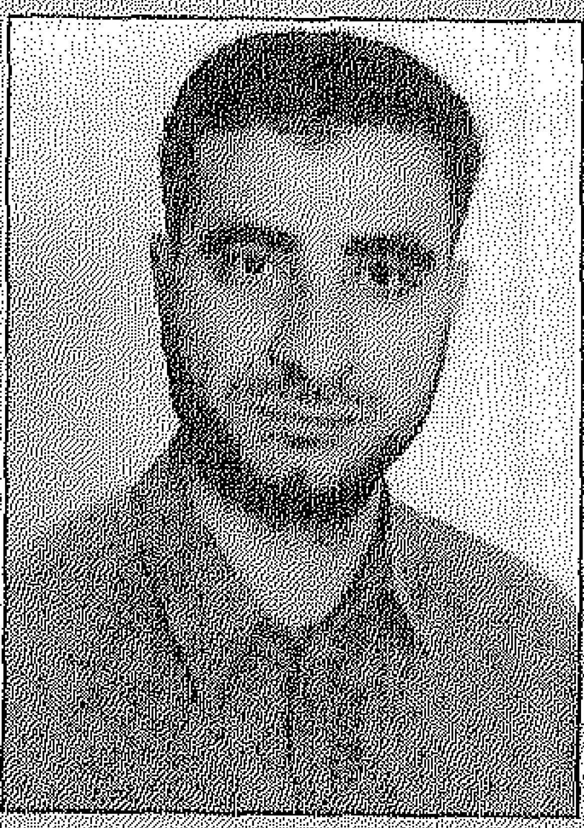

عماد الدين دحدوح

محمود محمد حسن

وسجل النص المترجم من الأدب التركي الإسلامي حضورا في الشعر والقصة فقرأ شمس الدين درمش نصين شعريين وقصة قصيرة.

وأشرف على هذه اللقاءات بالتعليق والتوجيه كل من النقاد الأساتذة د. حسين علي محمد، ود. عبدالله العريني، ود. صابر عبدالدايم، ود. وليد قصاب. وتناول التعليق عددا من قضايا الإبداع في الشعر والنثر وبخاصة الأدب الموجه إلى الطفل.

كما شارك الأساتذة المشرفون أنفسهم بنصوص شعرية ونثرية من إبداعاتهم، وتمت مناقشتها مع الحاضرين في الملتقيات، مما شكل كسرا للحاجز بين المبدع والناقد، وأشاع جوا من الرضا والارتياح للنقد الموجه. ويدير هذه الملتقيات الأستاذ محمد شلال الحناحنة.

مكتب اليمن - إبراهيم محمد طلحة، ومحمد أحمد حسن فقيه::

أمسية رمضانية في صنعاء

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في اليمن إفطارا جماعيا أعقبته فعالية أدبية رمضانية بمشاركة عدد كبير من أعضاء الرابطة وشعراء اليمن المتألقين، وبحضور مكثف لمجموعة من كبار الأساتذة والنقاد في جامعة صنعاء، وذلك يوم الأربعاء ١٢ رمضان ١٤٢٧هـ الموافق ٤ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦م.

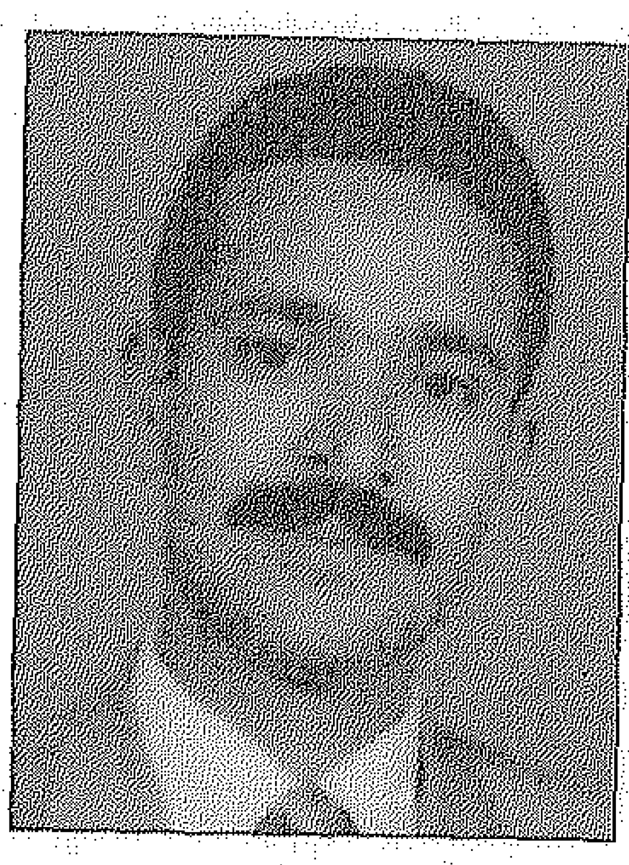

د. العبيدي

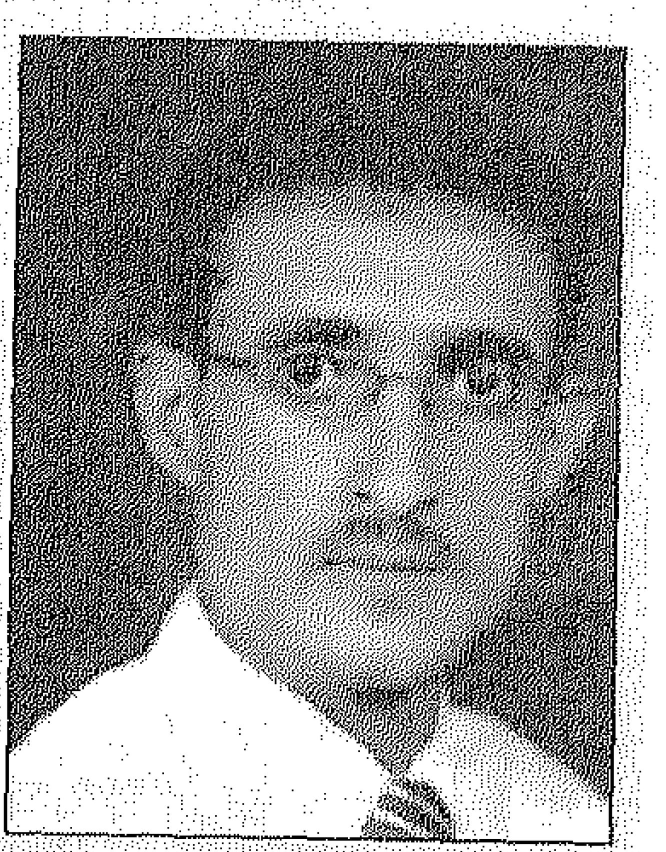

سيف الشرعبي

الحارث فضل الشميري

وفي مستهل الأمسية رحب الدكتور محمد عبدالله العبيدي - رئيس المكتب - بالضيوف والمشاركين، ثم قدم الأستاذ أحمد قائد الأسودي - رئيس مركز القرن الحادي والعشرين للتجديد والتنمية - ورقة بعنوان الإعجاز الحياتي لشهر رمضان، ثم ألقى الأستاذ / زيد الشامي عضو مجلس النواب، عضو الرابطة خاطرتين حول رسالة الصحافة ودور الأدب في تهذيب النفوس.

وقدم الدكتور عبدالواسع الحميري - رئيس منتدى الناقد العربي والأستاذ المشارك بكلية اللغات بجامعة صنعاء - ورقة نقدية تحدث فيها عن بنية النص الشعري وثنائيات الأصالة والمعاصرة، والتراث والحداثة.

وبعد ذلك بدأت الأمسية الشعرية التي شارك فيها كل من الحارث بن فضل الشميري، وأحمد هادي جمال الدين، ومحمد عبدالرازق أبو مصطفى، وسيف رسام الشرعبي، وفيصل عبدالله البريهي، وعبدالله الفقيه، وإبراهيم محمد طلحة مسؤول لجنة الشعر بالمكتب، ومبخوت العربي الوصابي، وعبدالرقيب الوصابي، ويحيى شرف الدين، وصدام نجيب الشيباني، وعلي هلال الفحم، وشهاب اليوسفي، وفائز محيي الدين البخاري.

مكتب تركيا - علي نار:

❖ عقد المكتب ندوة خاصة عن الشاعر الكبير «نجيب فاضل» تطرق البحث فيها إلى الجوانب المجهولة في أدب هذا الشاعر، والسمات الفنية والأدبية فيه.

❖ ألقى د. محمد نور دوغان من كلية الآداب في جامعة إستانبول محاضرة عن الشعر التركي القديم المعروف بالديواني.

❖ تم تنظيم مسابقة شعرية في الإلقاء فاز فيها كل من عبدالله أويغون وجمال أوتال بالمرتبة الأولى والثانية.

وفي كتابة الشعر فاز متين قزل أوق بالمرتبة الثانية واشتركت الشاعرتان خديجة قوتتاش وفاطمة بوروس بالمرتبة الثالثة، وحجبت المرتبة الأولى.

وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من د. شاكر ديجلةخان، وعمر بولات، ومحمد أرسلان.

❖ تكريما للشاعر والقاص (محمد نار) رحمه الله، تم اختيار مجموعة شعرية مؤلفة من خمسين قصيدة من عيون شعره لنشرها باسم المكتب الإقليمي في ديوان خاص.

إثنينية عبدالمقصود خوجه تكرم عددا من أعضاء الرابطة

د. القاعود

د. النحوي

❖ كرمت إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه في جدة الكاتب والناقد د. حلمي محمد القاعود وذلك يوم ١/٢٨/ ١٤٢٧هـ، وتحدث د. حلمي القاعود عن تجربته الأدبية والإنسانية، وأكد على تصوره الإسلامي للحياة، وأجاب على عدد من الأسئلة فيما يتعلق بالأدب الإسلامي والأصالة والحداثة.

❖ وكرمت الإثنينية الأديب **الدكتور عدنان علي رضا النحوي** وذلك بتاريخ ١٤٢٧/٤/٣هـ، وتحدث د. جميل المغربي أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عن جهود د. عدنان النحوي الدعوية والأدبية والنقدية.

وأجاب د. النحوي على جملة من أسئلة الحضور حول قضايا مختلفة في مقدمتها قضية فلسطين.

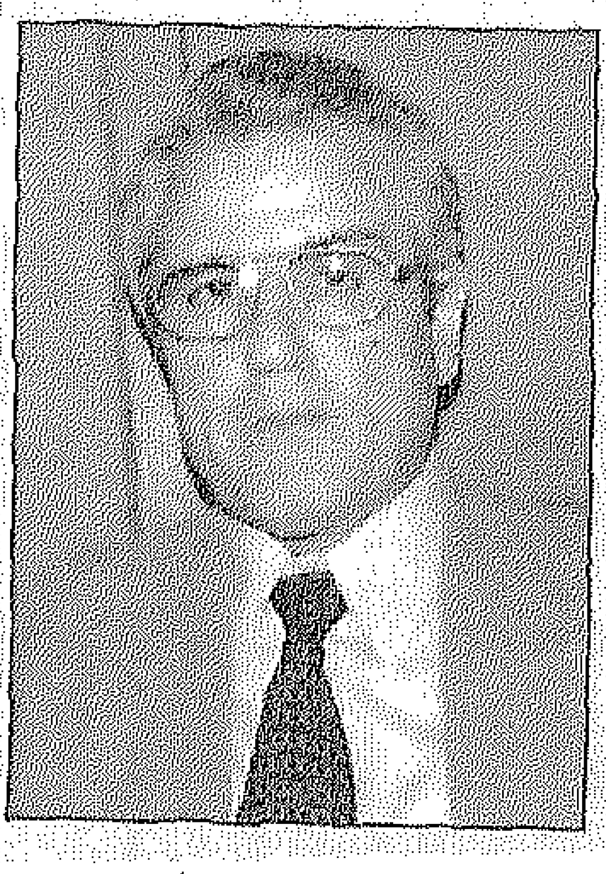
د. وليد قصاب

❖ وكرمت الإثنينية الأديب د. وليد إبراهيم قصاب وذلك بتاريخ ١١/٢٠/ ١٤٢٧هـ، وتحدث د. عبدالقدوس أبو صالح عن أبرز جهود د. وليد وكتاباته النقدية. كما تحدث د. وليد عن سيرته الذاتية.

هذا، وتحتفي الإثنينية بالعلماء ورجال الفكر والأدب والثقافة عرفاناً بجميل ما يقدمونه للأجيال.

د. عمادالدين خليل

❖ نال د. عماد الدين خليل الناقد والأديب الإسلامي العراقي المعروف جائزة رئيس الجمهورية السودانية للإبداع العلمي للمبدعين العرب.

د. عودة أبو عودة

صدرت الموافقة الملكية السامية في المملكة الأردنية الهاشمية على قرار مجلس مجمع اللغة العربية الأردني بتعيين د. عودة أبو عودة عضوا عاملا في المجمع، وتلقى د. أبو عودة رئيس المكتب الإقليمي في الأردن تهنئة رئيس مجمع اللغة العربية د. عبدالكريم خليفة بهذه المناسبة.

د. ربيع عبدالحليم

❖ حصل الدكتور ربيع السعيد عبدالحليم على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بالمناصفة مع الدكتور يوسف محمد زيدان وذلك في مجال التراث العلمي العربي والإسلامي في علم الطب وتاريخه.

ملتقى النقد الأدبي

❖ شارك في ملتقى النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية في دورته الأولى (الخطاب النقدي في مراحله المبكرة) والذي أقامه النادي الأدبي بالرياض في مركز الملك فهد الثقافي عدد من أعضاء الرابطة، وهم:

- د. **حمد بن عبدالعزيز السويلم** بعنوان: معالم المنهج التاريخي عند النقاد السعوديين.
- د. **صابر عبدالدايم** بعنوان: قراءة في معالم الخطاب النقدي للدكتور محمد بن سعد بن حسين.
- د. **حسن بن فهد الهويمل، ود. محمد صالح الشنطي** مشاركة في ندوة بعنوان: النقد الأدبي في المملكة قضايا وإشكالات.
- د. **خليل أبو ذياب**، بعنوان: عبدالله عبدالجبار وكتابه التيارات الأدبية الحديثة.

وشارك في إدارة الجلسات كل من د. محمد علي الهرفي الجلسة الأولى، ود. عبدالله عبدالرحمن الحيدري، الجلسة الخامسة.

مشاركات في الندوات الثقافية

راشد المبارك

❖ شارك عدد من أعضاء الرابطة في الندوات الثقافية في الرياض خلال موسم ١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ.

ففي أحدية د. راشد المبارك تحدث:

- د. **عبدالقدوس أبوصالح** رئيس الرابطة في موضوع بعنوان: هل يعوق الانتماء الإبداع: .. الأدب الإسلامي نموذجاً.
- د. **أحمد البراء الأميري** في موضوع بعنوان: من نفحات الإيمان.

و شارك مع د. راشد المبارك صاحب (الأحدية) بقراءة مختارات شعرية بعنوان: لآلئ من ديوان الشعر العربي.

- د. **عزالدين موسى** في موضوع بعنوان: التنوع في الثقافة العربية: السودان نموذجاً.

وفي ندوة خميسية الوفاء للشيخ أحمد محمد باجنيد تحدث:

أحمد محمد باجنيد

- د. **صابر عبدالدايم** عن: العلامة محمد محمود شاكر.
- د. **عبدالله الحيدري** في موضوع بعنوان: حسين سرحان الطائر الذي تناثر ريشه.
- **شمس الدين درمش** في موضوع بعنوان: مجلة الأدب الإسلامي.

❖ شارك د. **عبدالقدوس أبو صالح** في مؤتمر الشباب وبناء المستقبل، الذي أقامته الندوة العالمية للشباب الإسلامي في القاهرة.

❖ وألقى محاضرة عن الأدب الإسلامي ورابطته العالمية في معهد العلوم الشرعية بمسقط عاصمة سلطنة عمان، وذلك بدعوة كريمة من مفتي عام سلطنة عمان سماحة الشيخ أحمد الخليلي، وأسهم د. عبدالقدوس في مهرجان الشعر العماني بإلقاء عدد من قصائده.

❖ بدعوة من النادي الأدبي بالرياض، ألقى الدكتور حسن

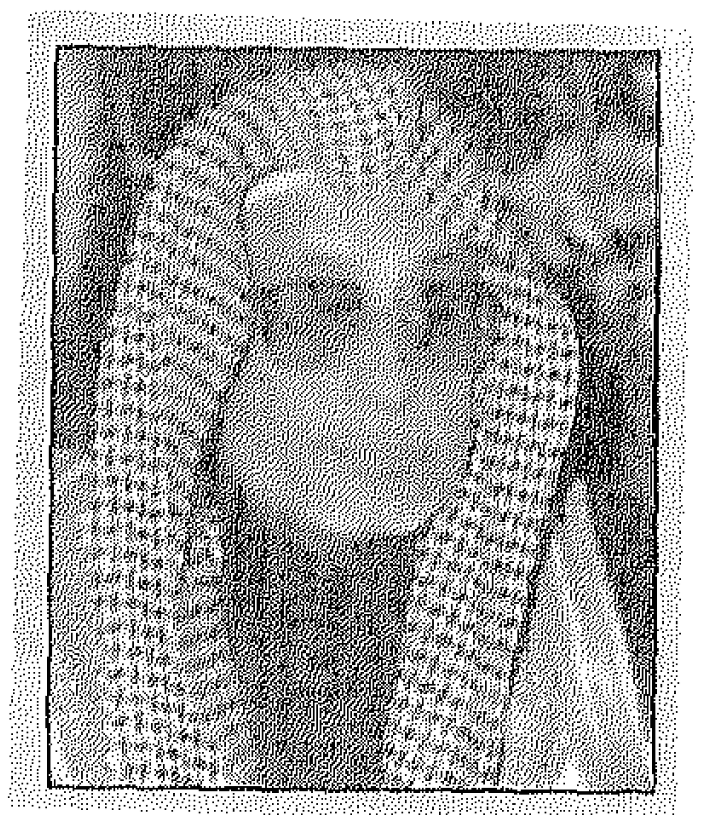

د. الهويمل

الهويمل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض، ورئيس النادي الأدبي بالقصيم(سابقا)محاضرة بعنوان: «الأدب الإسلامي بين فهم الخطأ وخطأ الفهم. شهدت المحاضرة عددا من المداخلات، منها مداخلة د.عبدالقدوس أبو صالح الذي شكر رئيس النادي د. سعد البازعي على إقامته هذه المحاضرة، ود. صابر عبدالدايم. والأديب عبدالواحد الأنصاري، وآخرون.

❖ وكرمت ندوة الأستاذ محمد المشوح الثلاثائية في الرياض الناقد **الدكتور حسن الهويمل** . وتحدث في الندوة ثلة من الأدباء والنقاد في المملكة، وأشادوا بجهود الدكتور الهويمل النقدية ودراساته في الأدب السعودي.

❖ وتم تكريم د . الهويمل في النادي الأدبي في القصيم مع أعضاء الهيئة الإدارية السابقة للنادي.

❖ ألقى د. **ناصر الخنين** نائب رئيس المكتب الإقليمي بالرياض محاضرة بعنوان: الغيث.. آيات ودلالات، وذلك في كل من أحدية أبابطين الثقافية، وفي كلية المعلمين في الرياض.

كما شارك في الأمسية الثقافية التي أقامتها السفارة المصرية في الرياض، وتحدث عن فضل ليلة القدر وأحكام صدقة الفطر، وذلك في الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ.

❖ تحدث د. **محمد أبوبكر حميد** في صالون د. نبيل المحيش الثقافي بالأحساء عن: علي أحمد باكثير.. مراحل مجهولة من حياته وأدبه.

❖ تم تقرير قصيدة.. قطوف من شجرة الدمى للشاعر **أحمد عبدالحفيظ شحاتة** للدراسة في كلية الآداب بالمنوفية، بمصر وكذلك كلية التربية بالمنوفية بالفرقة الرابعة ضمن كتاب د.أسامة موسى.. الأدب الحديث.

❖ شارك الشاعر **أحمد شحاتة** بدار الأوبرا، المجلس الأعلى للثقافة في أمسية شعرية مع الشعراء: أحمد عبدالمعطي حجازي وفاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبوسنة.

❖ حصل الدكتور **أحمد قاسم الزمر** على درجة أستاذ مشارك، علماً بأنه أستاذ النقد الأدبي والبلاغة في قسم اللغة العربية والترجمة بكلية اللغات جامعة صنعاء.

❖ تولى الدكتور **محمد عبدالله العبيدي** رئيس المكتب الإقليمي في اليمن رئاسة قسم اللغة العربية والترجمة بكلية اللغات جامعة صنعاء.

وأجرت إذاعة صنعاء البرنامج العام حواراً معه حول الأدب الإسلامي (مفهومه - ومسوغات وجوده وخصائصه) وأنشطة مكتب الرابطة في اليمن، وذلك في برنامج (دين ودنيا) الحواري الأسبوعي الذي يقدمه الدكتور محمد ناصر حميد.

كما أجرى الأستاذ عبدالغني المقرمي حواراً مع الدكتور العبيدي حول أنشطة الرابطة، نشر في صحيفة الصحوة العدد (١٠٠٣) دار حول وضع المكتب الإقليمي في اليمن وبعض المفاهيم والتصورات عن الأدب الإسلامي.

المؤتمر الأول للمجلس العالمي للغة العربية

❖ حضر الدكتور **صابر عبدالدايم** المؤتمر الأول للمجلس العالمي للغة العربية الذي أقيم في بيروت في المدة من ١١-١٢ ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ١-٢ ديسمبر ٢٠٠٦م. وقد انتخب د.صابر عبدالدايم عضوا بالهيئة الإدارية للمجلس.

ومثل المملكة العربية السعودية في المؤتمر كل من: د. عوض القوزي، د.صابر عبدالدايم، د.حسن النعمي.

❖ حصل الباحث الأستاذ **سعيد الكرواني** على جائزة محمد السادس للفكر والدراسات الإسلامية لعام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

وتشرف على الجائزة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب.

❖ نظمت جمعية الدعوة الإسلامية بشفشاوة في المغرب دورتها العاشرة للتعريف بالحضارة الإسلامية تحت شعار: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، استفاد منها ٧٠ مسلما جديدا أغلبهم من أسبانيا، تعلموا اللغة العربية كتابة ونطقا، وسورا من القرآن الكريم، ضمن برنامج مكثف...

وكان العلامة د. **عبدالسلام الهراس** من منظمي هذه الدورة، وشاركت **نبيلة عزوزي** بمحاضرة تحت عنوان : ومضات من معاملة الرسول ﷺ للمرأة.

واختتمت الدورة بحفل على مسرح القصبة الأثرية بشفشاوة، وزعت خلاله شهادات تقدير ونسخا من المصحف الشريف على المشاركين، وبمشاركة فعاليات المجتمع المدني والسلطات المحلية التي مثلها عامل جلالة الملك على إقليم شفشاوة، ورئيس المجلس العلمي للمدينة.

آراء مرجليوث في ضوء الدراسات الاستشراقية والعربية

حصلت الباحثة الجوهرة آل جهجاه على درجة الماجستير في البلاغة والنقد من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك عن رسالتها (آراء مرجليوث في ضوء الدراسات الاستشراقية والعربية). وتكونت لجنة المناقشة من أ.د. عبدالله صالح العريني مقرراً ومشرفاً، ود. حبيب المطيري، ود. علي بن محمد الحمود مناقشين.

نوقشت الرسالة في مركز دراسة الطالبات يوم الأحد ٢٠ محرم ١٤٢٧هـ.

عبدالحميد إبراهيم ناقداً

نال الباحث أبو الحسن علي فريد درجة الماجستير عن رسالته بعنوان: (عبدالحميد إبراهيم ناقداً) بكلية دار العلوم بجامعة المنيا وتكونت لجنة المناقشة من الأساتذة د. محمد عبدالحكيم عبدالباقي، ود. حسن إسماعيل ود. شهير أحمد دكروري، ود.عصام خلف.

النزعة الإنسانية في الشعر بين أبي القاسم الشابي وغازي القصيبي

حصلت الباحثة هيفاء رشيد عطاالله الجهني على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم الأدب والنقد عن أطروحتها «النزعة الإنسانية في الشعر بين أبي القاسم الشابي وغازي القصيبي» دراسة فنية نقدية موازنة. وذلك يوم الأربعاء ١٤٢٧/٣/٢١هـ.

تكونت لجنة المناقشة من أ.د. عبدالله أحمد باقازي مشرفاً، وأ.د حمد ناصر الدخيل مناقشاً خارجياً وأ.د. سامي السيد مناقشاً داخلياً.

قضايا الالتزام في الرواية العربية النسوية في الأردن

نالت الباحثة أروى عبدالله فارس عبيدات الدكتوراه في الأدب الحديث عن رسالتها بعنوان (قضايا الالتزام في الرواية العربية النسوية في الأردن للفترة ١٩٧٣ - ٢٠٠٢م). ونوقشت الرسالة يوم الأربعاء الموافق ٢١/ ١٤٢٧/٣هـ في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض (مركز دراسة الطالبات).

أشرف على الرسالة أ.د.أحمد محمد السعدني، وشارك في المناقشة الدكتور صالح بن جمال بدوي من جامعة أم القرى، والدكتور محمد عبدالعظيم بن عزوز من جامعة الإمام.

مراثي أبي تمام.. دراسة بلاغية نقدية

نال الباحث نايف رشدان المطيري درجة الماجستير عن رسالته بعنوان: (مراثي أبي تمام.. دراسة بلاغية نقدية).

أشرف على الرسالة د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن الشعلان، وناقشها كل من د.وليد قصاب، من جامعة الإمام في الرياض، ود. حمدان بن عطية الزهراني من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

ونوقشت الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام في الرياض الأربعاء ١٤٢٧/٤/٢٦هـ.

فن المقال عند الشيخ الأديب علي الطنطاوي

نال الباحث ياسر محمد غريب الماجستير عن رسالته (فن المقال عند الشيخ الأديب علي الطنطاوي) من قسم اللغة العربية بكلية الألسن في القاهرة. وهي أول رسالة علمية عن الشيخ علي الطنطاوي في مصر.

شعر محمد الفهد العيسى.. دراسة موضوعية وفنية

نوقشت رسالة الماجستير للباحث جبر بن ضويحي الفحام التي كان عنوانها:(شعر محمد الفهد العيسى ، دراسة موضوعية وفنية) بإشراف الدكتور خالد بن محمد الجديع، وناقشها كل من الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل والدكتور حسن بن فهد الهويمل.

وذلك في مقر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية اللغة العربية ،القاعة الكبرى.

مسابقة الألوكة
(انصر نبيك وكن داعيا)

أعلنت نتائج مسابقة موقع الألوكة الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية، تحت عنوان: انصر نبيك وكن داعيا.

قسمت المسابقة إلى أربعة فروع هي : فرع البحث العلمي (٥٧٧ مشاركة)، وفرع القصة القصيرة(٢٠٢ مشاركة)، وفرع المقالة الصحفية (٥٨٧ مشاركة)، وفرع مقالات الأطفال (١٦٠ مشاركة). وبلغت قيمة جوائزها مئة ألف ريال سعودي.

تألفت لجنة الإشراف والمتابعة من الأساتذة:المشرف العام على الموقع د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ود.ناصر العمر، ود. سعد بن عبدالله الحميد، ود. محمد بن حامد الأحمري، و أ. تركي الزميلي.

وكان تحكيم فرع القصة القصيرة بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، اشترك فيه أربعة من أعضائها، هم الأساتذة: د. عبدالله العريني، و أ. عبدالرزاق ديار بكرلي، و أ. شمس الدين درمش، و أ. أيمن ذو الغنى.

وفاز في فرع القصة القصيرة كل من:

١ - أحمدي قاسم محمد، عن قصته (الإفك.. المحنة البليغة).

٢ - محمد حسام الدين الخطيب، عن قصته (هل أسلم القيصر؟).

٣ - أسامة عبدالمنعم معتوق الزيني، عن قصته (أنا وفيليب ومحمد).

٤ - مروة شيخ مصطفى، عن قصتها (المفتاح).

وقد افتتح موقع الألوكة رسميا في حلته الجديدة البهية، بشعار : (الألوكة رسالتكم في الحياة).

www.alukah.net

من إصدارات أعضاء الرابطة:

❖ **نشيد الإيمان، شعر** ، محمد ضياء الدين الصابوني، دار الصابوني، حلب ، سوريا.

❖ **من فيض الوجدان ، شعر** ، جميلة هادي الرجوي ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

❖ من تأليف د . عبدالرزاق حسين:

- **عصفور البحري، رواية**، دار الكرمل، عمان، الأردن.

- **مكة المكرمة في عيون الشعراء العرب**، ط١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مؤسسة البابطين الشعرية، الكويت.

❖ **مداد الروح ، شعر** ، حسام العفوري، عمان، الأردن، ط١ ، ٢٠٠٦م

❖ **قراءة في أدب المقاومة في الوطن العربي**، د . سهيلة الحسيني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

❖ **سلمى والكلمة: قصص للأطفال**، د.فاتح ممدوح عبدالحليم، دمشق .

❖ من تأليف بهية بوسبيت وإصدار دار عالم الكتب، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ط١:

- **أحلام عذراء ، مجموعة قصصية.**

- **الغوص في أعماق النفس البشرية، مقالات.**

❖ **وهج الليلة السابعة، شعر**، محمد فريد الرياحي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

❖ **الحداثة العربية الشعرية.** ، د . وليد قصاب، ط١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، إصدار جمعية حماية اللغة العربية ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة.

❖ **وطن المجد، شعر**، عبدالمجيد العمري، ط١ ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الرياض.

التقوى
١٤٠٠ - ١٤٢٥هـ
٢٥ عاماً
في خدمة الإعلام الإسلامي
عرفان ووفاء
بمناسبة اليوبيل الفضي
تتقدم أسرة مجلة التقوى
من مجلة الأدب الإسلامي
بالشكر والتقدير لجهودكم القيمة والفعالة في دعم مسيرة الإعلام الإسلامي الهادف
سائلين المولى الكريم أن يجعلنا وإياكم من المتعاونين على البر والتقوى،
بذلتم بدافع الوفاء ولكم منا عاطر الثناء.
عن أسرة المجلة رئيس التحرير
الشيخ مظهور الحموي

رابطة الأدب الإسلامي

يا فجراً شق لأيامي ... وطريق الورد لأحلامي
يا قدوة خير أتبعها ... فتنير التاريخ أمامي
ياشعلة فخر أرفعها ... في كل مكان لمقامي
يا صفحة عز أرمقها ... سطعت في دفتر أعوامي
يا هامة مجد ترفعني ... لأضم النجم بأعلامي
يا موجة بحر تغرقني ... لتصوغ اللؤلؤ أقلامي
يا منجم فكر يصهرني ... ليذيب الجوهر بكلامي
يا غاية قصدي يا أملي ... يا دربا يفضي لمرامي
يا موئل أدب منبعه ... من مصر لنجد للشام
لبلاد العالم تحمله ... إشراقة دين الإسلام
يا مهوى العقل ومهد الفكر ونور الدرب لإقدامي
يا دفء الشمس وبرد الظل لكل أديب إسلامي

مؤيد رضا حجازي - سورية

أحبابي.. ورابطتي

زرت الرياض فكانت هذه الأشواق:

أهلي هنا وهناك لي أهلي
والقلب في الأشواق والبذل

أهلي هنا والشام هاتفة
بردى الرياض وظلها ظلي

من ههنا وهناك قافيتي
نهلت من الزيتون والنخل

الشوق يعشقني وأعشقه
أرأيت في أشواقه مثلي

بيني وبين الشوق معممة
يقسو ولكن لا يرى قتلي

سأزور أحبابي، ورابطتي
لتكون أقوالي مع الفعل

يا نجد في جنبيك لي حب
ومع الدعاء قصائد الوصل

شعر: جودت أبو بكر - سورية

أشعبيات*

أشعب .. ولطف المسألة!!

قال إسحاق: قال ابن أبي عتيق رضي الله تعالى عنهما: دخلت على أشعب يوما وعنده متاع حسن وأثاث ، فقلت : أما تستحي أن تطلب من الناس وعندك مثل هذا ؟ فقال : يا فديتك! معي من لطف المسألة مالا تطيب نفسي بتركه. وكان يقول : أنا أطمع وأمي تتيقن ، فإذا اجتمع طمعي ويقين أمي فقلّما يفلتنا!.

وساطة أشعب

قال أبو بكر بن الأنباري : قال بعض مشيختنا : قال إسحاق ابن إبراهيم الموصلي: كان أشعب فيمن يألف مصعب بن الزبير، فغضبت عائشة بنت طلحة يوما على مصعب، وكانت زوجته ومن أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أشعب، فقال : مالي إن رضيت - أصلح الله الأمير؟ قال: حكمك، قال: عشرة آلاف درهم، قال : ذلك لك، فانطلق أشعب حتى أتاها، فقال لها: جعلت فداءك ! قد علمت حبي لك وميلي إليك قديما وحديثا على غير منال أنلتنيه، ولا فائدة أفدتنيها، وهذه حاجة قد عرضت ترتهنين بها شكري ، وتقضين بها حقي بغير مرزية . قالت: وما هي ؟ قال: قد جعل لي الأمير إن رضيت عنه عشرة آلاف درهم. قالت : ويحك! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنت وأمي ! ارضي عنه حتى يعطيني العشرة آلاف درهم ، ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء خلقك، فضحكت من كلامه ورضيت.

أشعب يتسور جدارا

قال : وحدثنا محمد بن يزيد قال: خرج سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى منتزه له ، وحمل معه بناته ، فاتبعه أشعب ، فلم يجد مسلكا للدخول عليه ، فتسور الجدار ، فقال له وقد بصر به : يا أشعب ، اتق الله.. بناتي .. بناتي!! فقال أشعب: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك تعلم ما نريد. قال : فضحك منه وأدخله.

* من نوادر الأمالي لأبي علي القالي، الأرقام ٢٠، ٣٨، ٩٠.

التاريخ والأدب

بقلم: د. عبدالباسط بدر

بين الأدب والتاريخ وشائج قربى ورحم، بدأت ببداية كل منهما، وتطورت بتطوره عبر الزمن، وما زالت وستبقى ما بقي تاريخ وأدب، وإن لبست لبوساً مختلفاً في كل عصر، وازدادت أو قلت مظاهرها الخارجية بين حين وآخر، فالعلاقة الحميمة قائمة في الأعماق، تمد جسورا بينهما، وتتداخل أمواج الأدب في شطآن التاريخ، ويمتد التاريخ جزراً وألسنة في محيط الأدب، ويأخذ هذا من ذاك ويمتاح بعضهم من بعض..

ففي الزمن البعيد عندما كان كل منهما في بدايته كانا متداخلين تماما، حيث يسكن التاريخ في صياغة شعرية، ويضع الشعر مادته الوحيدة من التاريخ الأسطوري، الذي تتعانق فيه الحقيقة مع الخيال، حتى تذوب الحدود بينهما، وكانت الملاحم الشعرية هي تاريخ الأمم الذي تعتز به وتتناقله جيلاً بعد جيل.

وعندما ارتقت ذهنية البشر وقررت حدوداً فاصلة بين الواقع والأسطورة ارتقت العلاقة بين الأدب والتاريخ دون أن تغيب، وصار الشعر واحداً من مصادر الدراسات التاريخية، يستشهد به على وجود الظواهر وتلمس الأحداث والأخبار، وصار التاريخ واحدا من موضوعات الأعمال الأدبية الكبيرة، بدءاً بالشعر المسرحي ووصولا إلى الروايات التاريخية الحديثة الولادة .

وما لبثت هذه العلاقة أن امتدت وصارت أكثر تطوراً مع ثبات الأدب في العصر الحديث وصار استحضار التاريخ في الأدب فنا من الفنون التي يحذقها الأدباء البارعون ويطبقونها بأساليب كثيرة تمتد من الحضور المباشر إلى الحضور في خطرات اللاوعي وطفرات العقل الباطن، وصار إسقاط التاريخ على الواقع، وإعادة تشكيل التاريخ برؤية الحاضر وفلسفته الموجهة أنواعاً من الإبداع الأدبي الذي يشيد به النقاد ويطرب له جمهور كبير.. حتى ظن بعض النقاد والدارسين أن الأمر سيعود كما كان، وأن الأدب والتاريخ سيتداخلان ثانية، ولو في بعض وجوههما.

وأياً كانت العلاقة المستقبلية بينهما، فإن العناصر التي يحتويها كل منهما تجعل هذه العلاقة مستمرة في شكل من الأشكال، فالأدب يعطي التاريخ سيرورة وانفعالا يُسكنه في أعماق المتلقي، والتاريخ يعطي الأدب مادة وموضوعاً يشد الناس إليه ويمتعهم ويؤثر فيهم أيما تأثير..

لذلك، ولأسباب كثيرة أخرى، كان التاريخ ركنا مساندا للأدب الإسلامي قديماً وحديثاً، بل إنه في العصر الحديث أكثر ظهوراً وأهمية، فالأدباء الإسلاميون هم أكثر من غيرهم التفاتاً إلى التاريخ، واستمداداً منه، يرجعون إلى عصوره الذهبية، ويعرضون أمجاد المسلمين فيه، ويستلهمون من أحداثه وعبره ما يشحنون به الشخصية الإسلامية بالقوة والصبر والعزم على الارتقاء. وقد صنع بعض الأدباء مطولات شعرية استمدوها من التاريخ الإسلامي، لا ليعلموا الناس تاريخهم وحسب، بل ليمنحوا الشخصية المسلمة ما تحتاج إليه من نماذج بطولية رائعة، ومشاعر تستعلي على صدمات الواقع عندما تقع، وعواطف إيمانية تعزز الفكر والعقيدة الإسلامية.

منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث - لشعراء الرابطة.
٢- نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي.
٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.
٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث - د.عبدالباسط بدر.
٥- النص الأدبي للأطفال - د.سعد أبو الرضا.
٦- ديوان «البوسنة والهرسك» - مختارات من شعراء الرابطة.
٧- لن أموت سدى «رواية» - الكاتبة جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية.
٨- ديوان « يا إلهي» - محمد التهامي.
٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د.عودة الله القيسي.
١٠- ديوان « مدائن الفجر» د.صابر عبدالدايم.
١١- العائدة «رواية» - سلام أحمد إدريسو «الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية».
١٢- محكمة الأبرياء « مسرحية شعرية» - د.غازي مختار طليمات.
١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني - د.حلمي القاعود.
١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» - د.جابر قميحة.
١٥- ديوان «في ظلال الرضا» - أحمد محمود مبارك.
١٦- في النقد التطبيقي - د.عماد الدين خليل.
١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي - دراسات وبحوث - مجموعة من الكتاب.
١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر - حليمة بنت سويد الحمد.
١٩- د. محمد مصطفى هدارة - دراسات وبحوث- مجموعة من الكتاب.
٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د.ماجدة مخلوف.
٢١- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».
٢٢- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية» محمد رشدي عبيد.
٢٣- الامال صارت آلاماً - رواية من الأدب التركي - ترجمة د . عوني لطفي أوغلو.
٢٤- نحو كوكب الحرية - رواية من الأدب الفارسي - ترجمة عثمان أيزدبناه.
٢٥ - مملكة النحل - رواية من الأدب التركي - ترجمة كمال أحمد خوجة.
٢٦- ديوان أقباس - شعر طاهر العتباني.

سلسلة أدب الأطفال:

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.
٢- قصص من التاريخ الإسلامي- أبو الحسن الندوي.
٣- تغريد البلابل - يحيى الحاج يحيى.
٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.
٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.
٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب- فوزي خضر.
٧- باقة ياسمين « مجموعة قصصية للأطفال من الأدب التركي » تأليف علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

تحت الطبع:

١- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د . كمال سعد خليفة.
٢- بحوث الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات.
٣- بحوث ندوة تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامي.
٤- الأعمال الفائزة في مسابقة ترجمة الإبداع من آداب الشعوب الإسلامية (ثلاثة كتب).
٥- الأعمال الفائزة في مسابقة الأدبيات الإسلاميات (١٠ كتب).
٦- الأعمال الفائزة في مسابقة أدب الأطفال التي أجرتها الرابطة، وهي:
- ٣ مجموعات شعرية.
- ٣ مجموعات قصصية.
- ٣ مسرحيات.

معتمدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي :

* السعودية :
— الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع:
– ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض – الرمز البريدي ١١٦٧١
– هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ، فاكسميلي :٤٨٧١٤٦٠
* الإمارات العربية المتحدة:
— دبي — دار الحكمة – هاتف ٢٦٦٥٣٩٤– فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ – ص.ب :٢٠٠٧
* الكويت : مكتبة المنار الإسلامية – حولي – ص.ب ٤٣٠٩٩ – الرمز البريدي ٣٢٠٤٥– هاتف ٢٦١٥٠٤٥– فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤,
* البحرين: المنامة – مؤسسة الأيام للصحافة والتوزيع – هاتف ٧٢٥١١١ – فاكس ٧٢٢٧٦٣
* قطر: الدوحة – مكتبة الرونق – هاتف ٤٦٦٩٥٥٥–٤٨٨١٨٧٨
* مصر: القاهرة – دار أخبار اليوم – هاتف ٥٧٨٢٧٠٠ – ٥٧٨٢٥٤٠
* الأردن: عمان – دارالمامون للنشر والتوزيع، ص.ب ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ – هاتف وفاكس ٤٦٤٥٧٥٧
* اليمن : صنعاء – دار القلم للنشر والتوزيع – هاتف ٢٧٢٥٦٣ – فاكس ٢٧٢٥٦٢
* المغرب: الدار البيضاء – الشركة العربية الإفريقية – هاتف ٢٢٤٦٢٠٠ – فاكس ٢٢٤٩٢١٤

عنوان الموقع في الإنترنت: web page adress:www.adabislami.org
العنوان في البريد الإلكتروني: E-mail: info@adabislami.org

قسيمة اشتراك

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة ....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة

بمبلغ..

بيانات المشترك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل:............... هاتف العمل:....................

ملاحظات أخرى: ....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً .
خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض، وترسل صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي:

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة .... يرسل هدية إلى:

الاسم:..

العنوان:..

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة

بمبلغ: ....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل:............... هاتف العمل:....................

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها: ....

المبلغ المدفوع:..

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً.
خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض، وترسل صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

المشكاة

مجلة الأدب الإسلامي
تصدر عن المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المغرب

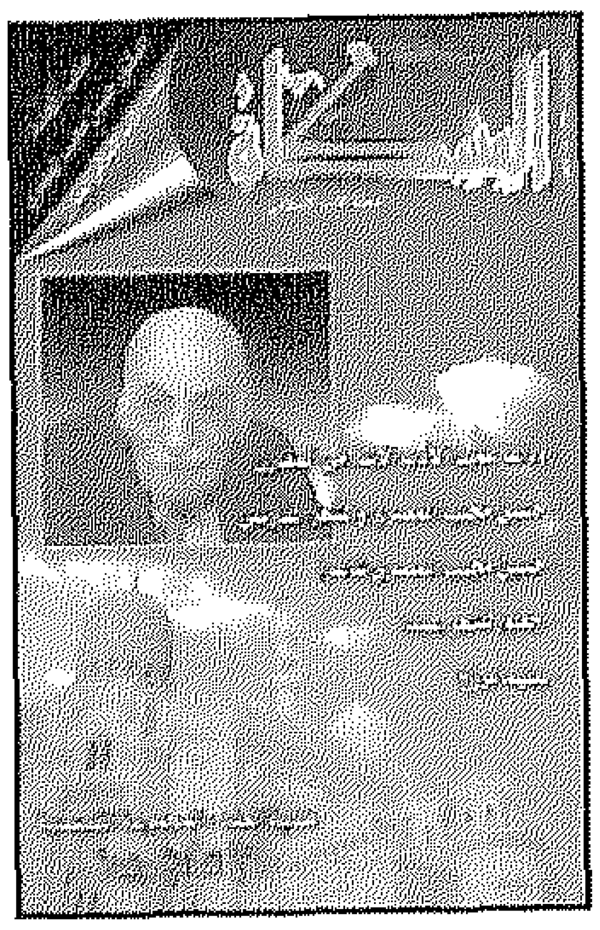

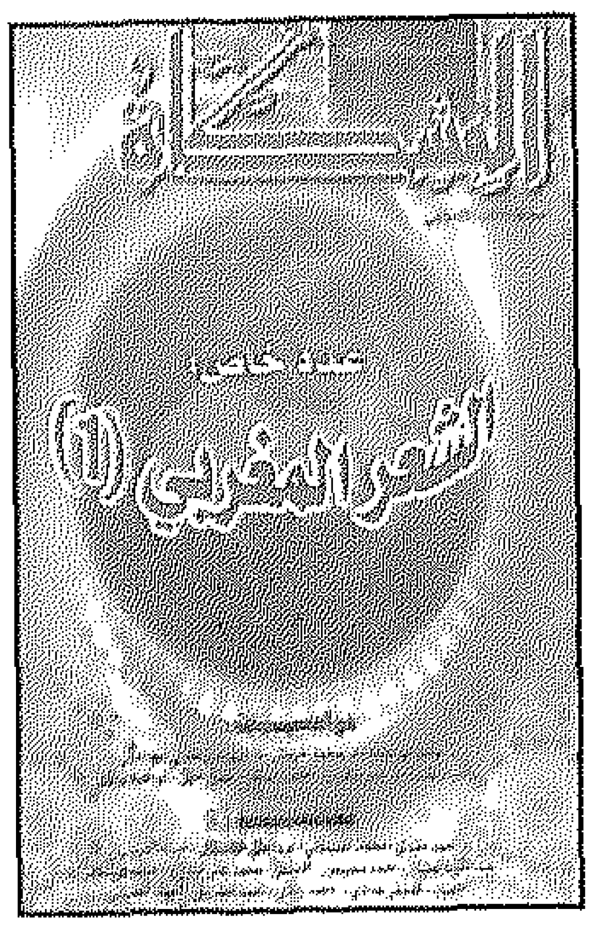

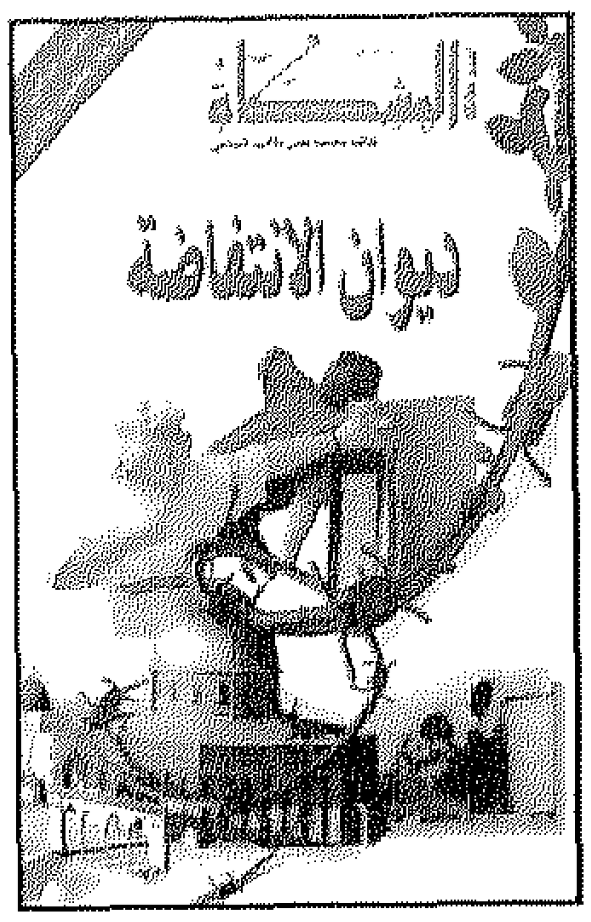

الإشتراك السنوي للأفراد : المغرب ١٠٠ درهم، الأقطار الإسلامية ٢٠٠درهم، الأقطار الأخرى ٣٠ يورو.
اشتراك الطلبة: ٥٠ درهما.
المؤسسات : المغرب ٢٠٠ درهم، الأقطارالإسلامية ٤٠٠ درهم، الأقطار الأخرى ٦٠ يورو.

تبعث الإشتراكات باسم المجلة على الحساب رقم ٢١٢١١١٥٧٩٥٠٥٣٠٠٠٤٠٠ ، البنك الشعبي ، وجدة
أو بحوالة بريدية باسم حسن الأمراني على العنوان الآتي:
مجلة المشكاة - ص.ب ٢٣٨ وجدة ، المغرب، هاتف وفاكس: ٠٠٢١٢٣٦٥٠١٩٢٥
البريد الإلكتروني: almichkat83@yahoo.fr

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سلسلة أدب الأطفال

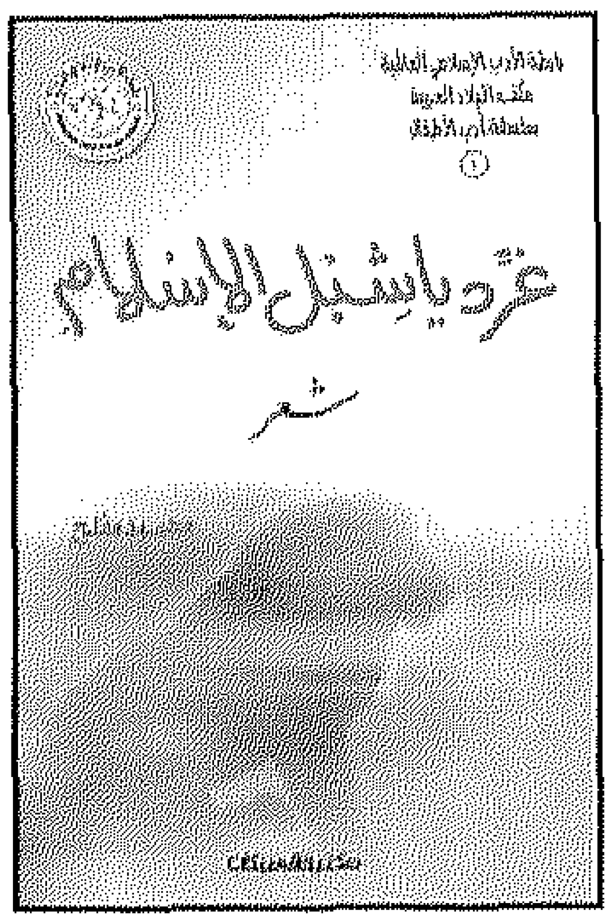

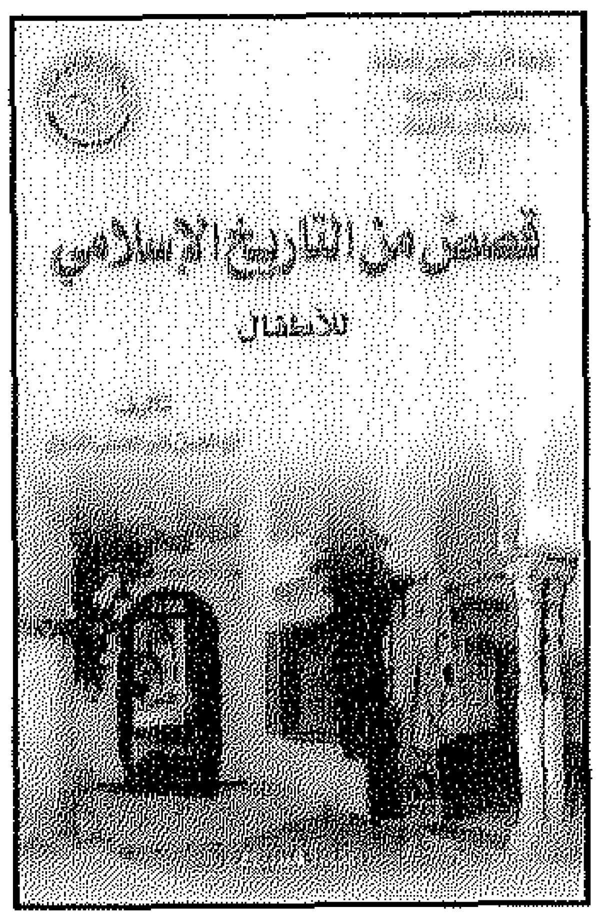

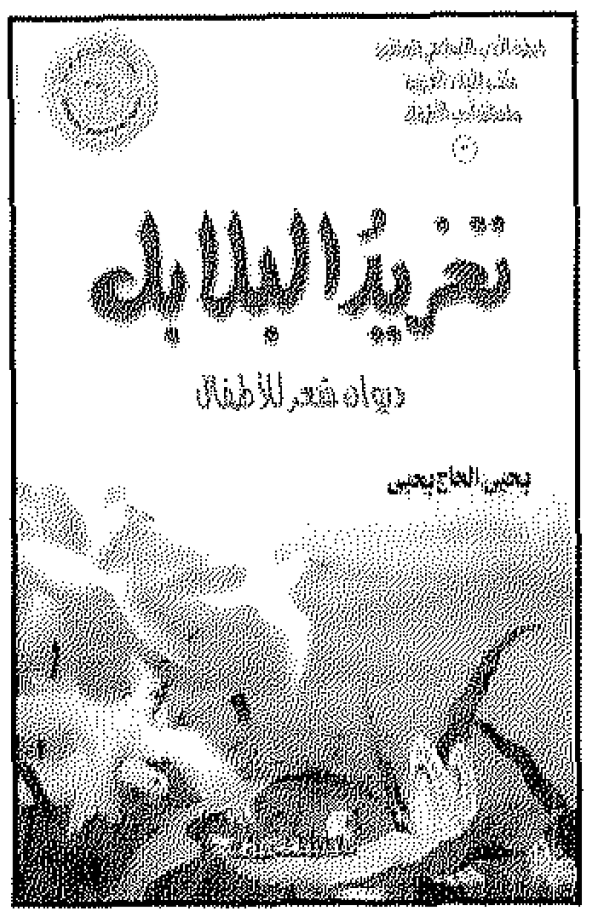

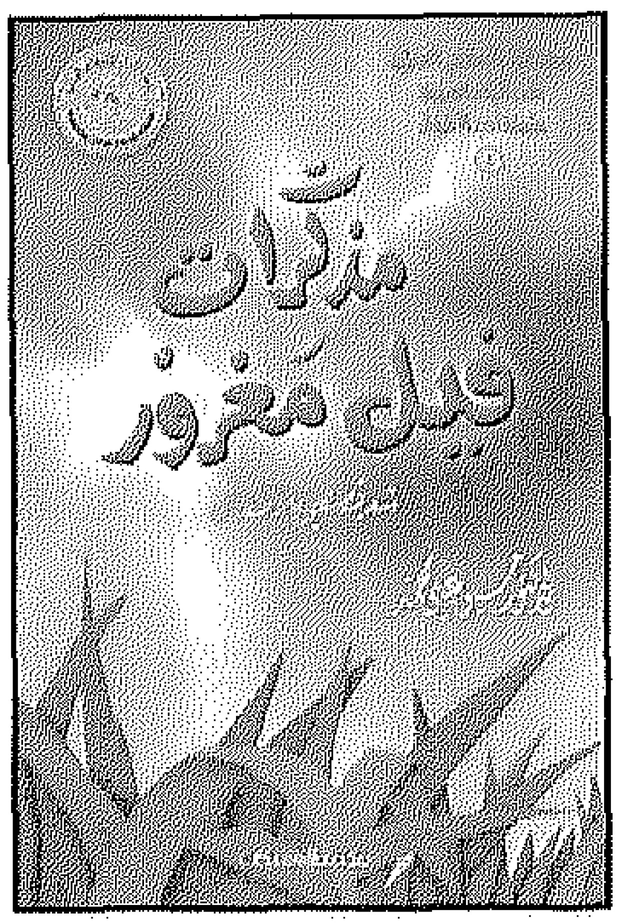

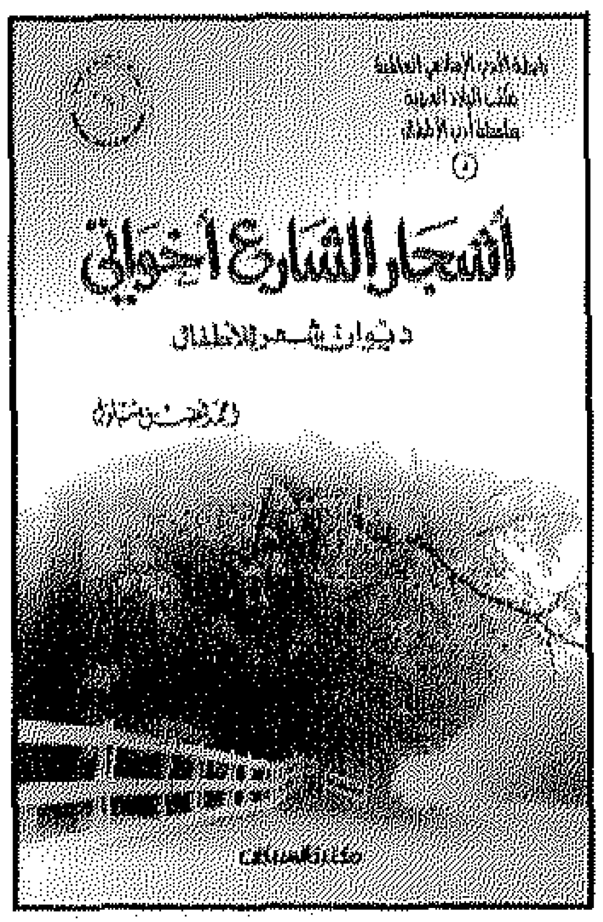

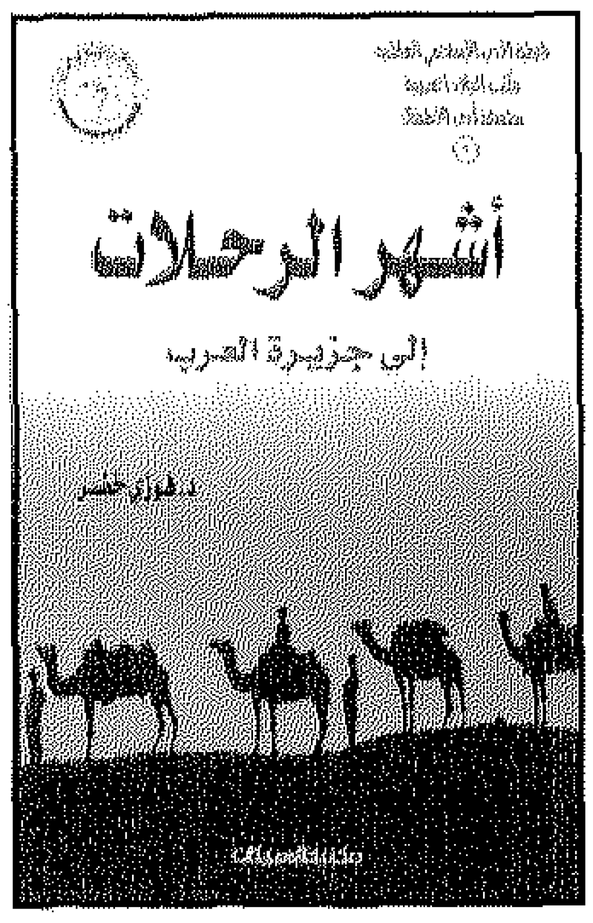

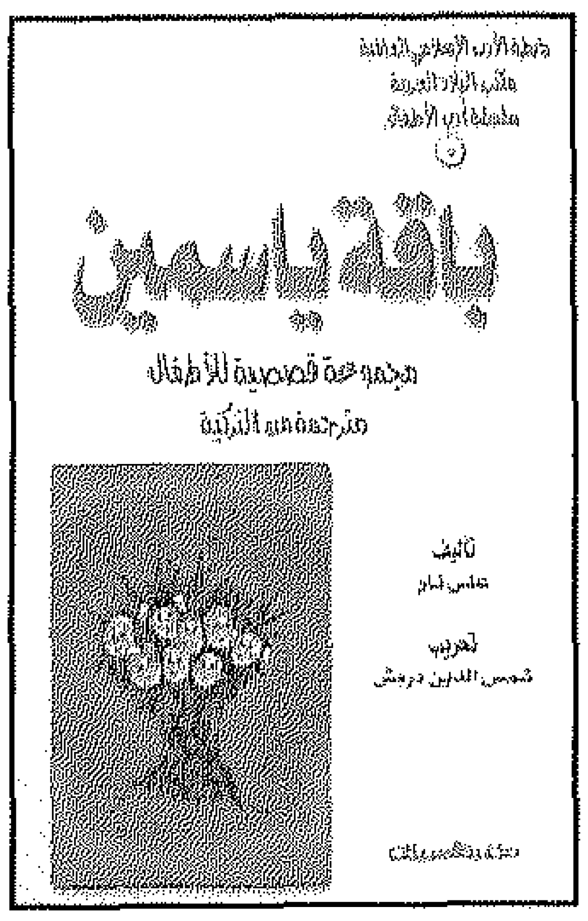

تطلب من مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية : الرياض- هاتف : ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ - فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
مكتبة العبيكان وفروعها في المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤٦٦٠٠١٨

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

تطلب من مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية : الرياض- هاتف : ٤٦٢٧٤٨٢ — ٤٦٣٤٣٨٨ — فاكس : ٤٦٤٩٧٠٦

مكتبة العبيكان وفروعها في المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨